

# الموت والقبر والقيامة!

(إن بكاء الشاعر ينبغي أن يُصاغ شعراً!)

ديوان: (السليمانيات)

شعر / أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(شاعر أهل الصعيد)

جميع الحقوق محفوظة

## الآن طاب الموت! (سليمان القانوني)

(قال الدكتور راغب السرجاني - حفظه الله - يصف السلطان سليمان القانوني - رحمه الله تعالى - ما نصه: (سليمان القانوني ابن سليم ، ويعرف في الغرب بسليمان العظيم ، وهو أحد أشهر السلاطين العثمانيين ، حكم مدة 48 عامًا ؛ منذ عام 926هـ ، وبذلك يكون صاحب أطول فترة حُكم بين السلاطين العثمانيين. قضى السلطان سليمان القانوني ستة وأربعين عامًا على قمة السلطة في دولة الخلافة العثمانية ، وبلغت في أثنائها الدولة قمة درجات القوة والسلطان ؛ حيث اتسعت أرجاؤها على نحو لم تشهده من قبل ، وبسطت سلطانها على كثير من دول العالم في قاراته الثلاث ، وامتدت هيبتها فشملت العالم كله ، وصارت سيدة العالم ؛ تخطب ودّها الدول والممالك ، وارتقت فيها النظم والقوانين التي تُسيّر الحياة في دقة ونظام ، دون أن تُخالف الشريعة الإسلامية التي حرص آل عثمان على احترامها والالتزام بها في كل أرجاء دولتهم ، وارتقت فيها الفنون والآداب ، وازدهرت العمارة والبناء. فأما والده فالسلطان سليم الأول ، ووالدته حفصة سلطان ابنة منكولي كراني خان القرم ، وُلد سليمان القانوني في مدينة طرابزون عام (900هـ - 1495م). وقد كان والده آنذاك واليًا عليها ، واهتمّ به والده اهتمامًا عظيمًا ؛ فنشأ محبًا للعلم والأدب والعلماء والأدباء والفقهاء ، واشتهر منذ شبابه بالجدية والوقار. تولّى السلطان سليمان القانوني الخلافة بعد موت والده السلطان سليم الأول في (9 من شوال 926هـ - 22 من سبتمبر 1520م) ، وبدأ في مباشرة أمور الدولة ، وتوجيه سياستها ، وكان يستهلّ خطاباته بالآية الكريمة: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ، وقد كانت الأعمال التي أنجزها السلطان في فترة حكمه كثيرة وذات شأن في حياة الدولة. ففي الفترة الأولى من حكمه نجح في بسط هيبة الدولة ، والضرب على أيدي الخارجين عليها من الولاة الطامحين إلى الاستقلال ، معتقدين أن صغر سنّ السلطان - الذي كان في السادسة والعشرين من عمره - فرصة سانحة لتحقيق أحلامهم ، لكن فاجأتهم عزيمة السلطان القويّة التي لا تلين ، ففضى على تمردّ جان بردي الغزالي في الشام ، وأحمد باشا في مصر ، وقلندر جلبي في منطقتي قونية ومرعش ؛ الذي كان شيعيًا ، وقد جمع حوله نحو ثلاثين ألفًا من الأتباع للثورة على الدولة. ولقد تعدّدت ميادين القتال التي تحرّكت فيها الدولة العثمانية لبسط نفوذها في عهد سليمان ؛ فشملت أوروبا وآسيا وإفريقيا ؛ فاستولى على بلجراد سنة (927هـ - 1521م) ، وحاصر فيينا سنة (935هـ - 1529م) ؛ لكنه لم يُفلح في فتحها ، وأعاد الكرة مرّة أخرى ، ولم يكن نصيبها أفضل من الأولى ، وضمّ إلى دولته أجزاء من المجر بما فيها عاصمتها بودابست ، وجعلها ولاية عثمانية. وفي آسيا قام السلطان سليمان بثلاث حملات كبرى ضد الدولة الصفوية ؛ ابتدأت من سنة (941هـ - 1534م) ، وهي الحملة الأولى التي نجحت في ضمّ العراق إلى سيطرة الدولة العثمانية ، وفي الحملة الثانية سنة (955هـ - 1548م) أُضيف إلى أملاك الدولة تبريز ، وقلعتا: وان وأريوان ، وأمّا الحملة الثالثة فقد كانت سنة (962هـ - 1555م) وأجبرت الشاه طهماسب على الصلح وأحقية العثمانيين في كل من أريوان وتبريز وشرق الأناضول. كما واجه العثمانيون في عهده نفوذ البرتغاليين في المحيط الهندي والخليج العربي ، فاستولى القائد أويس باشا والي اليمن على قلعة تعز سنة (953هـ - 1546م) ، ودخلت في عهده عُمان والأحساء وقطر ضمن نفوذ الخلافة العثمانية ، وأدت هذه السياسية إلى الحدّ من نفوذ البرتغاليين في مياه الشرق الأوسط. وفي إفريقيا دخلت ليبيا ،

والقسم الأعظم من تونس ، وإريتريا ، وجيبوتي ، والصومال ضمن نفوذ الخلافة العثمانية. وكانت البحرية العثمانية قد نمت نموًا كبيرًا منذ أيام السلطان بايزيد الثاني ، وأصبحت مسؤولة عن حماية مياه البحار التي تطل عليها الدولة ، وفي عهد سليمان ازدادت قوّة البحرية على نحو لم تشهده من قبل! وذلك بانضمام «خير الدين بربروس» ، وكان يقود أسطولاً قوياً يُهاجم به سواحل إسبانيا والسفن الصليبية في البحر المتوسط ، وبعد انضمامه إلى الدولة منحه السلطان لقب «قبودان». وقد قام خير الدين بفضل المساعدات التي كان يتلقاها من السلطان سليمان القانوني بضرب السواحل الإسبانية ، وإنقاذ آلاف من المسلمين في إسبانيا ؛ فقام في سنة (935هـ - 1529م) بسبع رحلات إلى السواحل الإسبانية لنقل سبعين ألف مسلم من قبضة الحكومة الإسبانية. وقد أوكل السلطان إلى خير الدين بربروس قيادة الحملات البحرية في غرب البحر المتوسط ، وحاولت إسبانيا أن تقضي على أسطوله ؛ لكنها كانت تُخفق في كل مرّة وتتكبّد خسائر فادحة ، ولعلّ أفسى هزائمها كانت معركة بروزة سنة (945هـ - 1538م). وقد انضمّ أسطول خير الدين إلى الأسطول الفرنسي في حربه مع الهابسبورج ، وساعد الفرنسيين في استعادة مدينة نيس (950هـ - 1543م) ؛ وهذا ما أدى إلى تنازل فرنسا عن ميناء طولون الفرنسي برضاها للإدارة العثمانية ، وتحوّل الميناء الحربي لفرنسا إلى قاعدة حربية إسلامية للدولة العثمانية في غرب البحر المتوسط. واتّسع نطاق عمل الأسطول العثماني فشمّل البحر الأحمر ؛ حيث استولى العثمانيون على سواكن ومصوع ، وأخرجوا البرتغاليين من مياه البحر الأحمر ، واستولوا على سواحل الحبشة ؛ وهو ما أدى إلى انتعاش حركة التجارة بين آسيا والغرب عن طريق البلاد الإسلامية. وكان السلطان سليمان القانوني شاعراً له ذوق فني رفيع وخطّاطاً يُجيد الكتابة ، ومُلمّاً بعدد من اللغات الشرقية من بينها العربية ، وكان له بصير بالأحجار الكريمة ، مغرماً بالبناء والتعمير والتشييد فظهر أثر ذلك في دولته ، فأنفق بسخاء على المنشآت الكبرى ؛ فشيّد المعامل والحصون في رودس وبلجراد وبودا ، وأنشأ المساجد والصهاريج والقناطر في شتّى أنحاء الدولة ، وبخاصة في دمشق ومكّة وبغداد! بالإضافة إلى ما أنشأه في عاصمته من روائع العمارة. ويؤكّد الباحث جمال الدين فالح الكيلاني - باحث عراقي متخصص في الدراسات التاريخية - أن عصر السلطان سليمان القانوني يُعتبر العصر الذهبي للدولة العثمانية ؛ حيث كانت الدولة الأقوى في العالم والمسيطرة على البحر الأبيض المتوسط. وظهر في عصره أشهر المهندسين المعماريين في التاريخ الإسلامي ؛ كالمهندس سنان باشا ؛ الذي اشترك في الحملات العثمانية ، واطّلع على كثير من الطرز المعمارية حتى استقام له أسلوب خاص. ويُعدّ مسجد سليمان القانوني أو جامع السلمانية في إسطنبول - الذي بناه للسلطان سليمان في سنة (964هـ - 1557م) من أشهر الأعمال المعمارية في التاريخ الإسلامي. وفي عهده وصل فنّ المنمنمات (أي الرسوم) العثمانية إلى أوج ازدهارها ، وقد قدّم «عارفي» وثائق الحوادث السياسية والاجتماعية التي جرت في عصر سليمان القانوني في منمنمات زاهية ، ولمع في هذا العصر عدد من الخطّاطين العظام ؛ يأتي في مقدّمتهم حسن أفندي جلبي القره حصارى ؛ الذي كتب خطوط جامع السلمانية ، وأستاذه أحمد بن قره حصارى ، وله مصحف بخطّه ، وهو يُعدّ من روائع الخطّ العربي والفنّ الرفيع ، وهو محفوظ بمتحف «طوبى قابي». وظهر في عهد السلطان سليمان عدد من العلماء في مقدّمتهم: أبو السعود أفندي ؛ صاحب التفسير المعروف باسم: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم». القانون والإدارة الذي اشتهر به السلطان سليمان القانوني واقترن باسمه هو وضعه

للقوانين التي تُنظَّم الحياة في دولته الكبيرة ؛ هذه القوانين وضعها مع شيخ الإسلام أبو السعود أفندي ، وراعى فيها الظروف الخاصة لأقطار دولته ، وحرص على أن تتفق مع الشريعة الإسلامية والقواعد العرفية ، وقد ظَلَّت هذه القوانين - التي عُرفت باسم «قانون نامه سلطان سليمان» ؛ أي دستور السلطان سليمان - تُطبَّق حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري الموافق التاسع عشر الميلادي. ولم يُطلق الشعبُ على السلطان سليمان لقب القانوني لوضعه القوانين ؛ وإنما لتطبيقه هذه القوانين بعدالة ؛ ولهذا يعدُّ العثمانيون الألقاب التي أطلقها الأوربيون على سليمان في عصره - مثل: الكبير ، والعظيم - قليلة الأهمية والأثر إذا ما قُورنت بلقب «القانوني» ، الذي يُمثِّل العدالة. ولم يكن عهد سليمان القانوني العهد الذي بلغت فيه الدولة أقصى حدود لها من الاتساع ، وإنما هو العهد الذي تمتَّت فيه إدارة أعظم دولة بأرقى نظام إداري. ولم يترك السلطان سليمان القانوني الجهاد قط ، وفي أواخر أيامه أصابه مرض النَّقْرَس ، فكان لا يستطيع ركوب الخيل ؛ ولكنه كان يتحامل - رحمه الله - إظهاراً للقوَّة أمام أعدائه ، وقد بلغ السلطان سليمان القانوني من العمر 74 عامًا ، ومع ذلك عندما علم بأن ملك الهابسبرج أغار على ثغر من ثغور المسلمين ؛ قام السلطان سليمان القانوني للجهاد من فورهِ! ومع أنه كان يتألَّم من شدَّة المرض ، فإنَّه قاد الجيش بنفسه ، وخرج على رأس جيش عرمرم في (9 من شوال 973هـ - 29 من أبريل 1566م) ، ووصل إلى مدينة سيكتوار المجرية ، وكانت من أعظم ما شيَّده المسيحيون من القلاع ، وكانت مشحونة بالبارود والمدافع ، وكان قبل خروجه للجهاد نصحه الطبيب الخاص بعدم الخروج لعلَّة النَّقْرَس التي به. فكان جواب السلطان سليمان الذي خلده له التاريخ: «أحب أن أموت غازياً في سبيل الله». سبحان الله! هذا السلطان كان قد بلغ من الكبر عتياً ، وكان يملك تحت قبضته نصف الدنيا ، وملوك الأرض طوع بئانه ، وكان بإمكانه التمتع بحياة القصور ، والتنقُّل بين الغرف والاستمتاع بالملذَّات ، ومع ذلك أبى إلا أن يخرج غازياً في سبيل الله. وخرج بالفعل على رأس جيشه ، وما كان يستطيع أن يمتطي جواده ؛ لازدياد علَّة النَّقْرَس عليه ، فكان يُحْمَل في عربة ؛ حتى وصل إلى أسوار مدينة سيكتوار ، وابتدأ في حصارها ، وفي أقلَّ من أسبوعين احتلَّ معاقلها الأمامية ، وبدأ القتال واشتدَّ النزال ، وكان أصعب قتال واجهه المسلمون ؛ لمتانة الأسوار ، وضراوة المسيحيين في الدفاع عن حصنهم. واستمرَّ القتال والحصار قرابة خمسة شهور كاملة ، وما ازداد أمر الفتح إلا صعوبة ، وازداد همُّ المسلمين لصعوبة الفتح ، وهنا اشتدَّ مرض السلطان ، وشعر بدنوَّ الأجل ، فأخذ يتضرَّع إلى الله تعالى ، وكان من جملة ما قاله: «يا رب العالمين ؛ افتح على عبادك المسلمين ، وانصرهم ، وأضرم النار على الكفار». فاستجاب الله دعاء السلطان سليمان ، فأصاب أحد مدافع المسلمين خزانة البارود في الحصن ، فكان انفجاراً مهولاً ، فأخذت جانباً كبيراً من القلعة فرفعته إلى عنان السماء ، وهجم المسلمون على القلعة ، وفتحت القلعة ، ورُفعت الراية السلিমانيَّة على أعلى مكان من القلعة. وعند وصول خبر الفتح للسلطان فرح ، وحمد الله على هذه النعمة العظيمة ، وقال: «الآن طاب الموت ، فهنيئاً لهذا السعيد بهذه السعادة الأبدية ، وطوبى لهذه النفس الراضية المرضية ، من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه». وتخرج روحه الطاهرة إلى بارئها ، إلى جنة الخلد - إن شاء الله - في (20 من صفر 974هـ - 5 من سبتمبر 1566م). وأخفى الوزير محمد باشا نبأ وفاة السلطان! حتى أرسل لولي عهده السلطان سليم الثاني ، فجاء وتسلَّم مقاليد السلطنة في سيكتوار ، ثم دخل إسطنبول ومعه جثمان أبيه الشهيد ، وكان يوماً مشهوداً لم يُرى مثله ، إلا في وفاة

السلطان محمد الفاتح ، وعلم المسلمون خبر وفاة السلطان سليمان القانوني ، فحزنوا أشدَّ الحزن ؛ أمَّا على الجانب الأوربي ؛ فما فرح المسيحيون بموت أحدٍ بعد بايزيد الأول ومحمد الفاتح كفرحهم بموت السلطان سليمان القانوني المجاهد الغازي في سبيل الله ، وجعلوا يوم وفاته عيدًا من أعيادهم ، ودقَّت أجراس الكنائس فرحًا بموت مُجدِّد جهاد الأمة في القرن العاشر - رحمه الله - الخليفة سليمان الأول أو سليمان القانوني (926-974هـ) بلغت الدولة في عهده أقصى اتساع لها حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت ، واشتهر بسليمان القانوني ، لأنه وضع نظامًا داخلية في كافة فروع الحكومة ، فأدخل بعض تغييرات في نظام العلماء والمدرسين الذي وضعه محمد الفاتح ، وجعل أكبر الوظائف العليا وظيفه المفتي ، وأدخل التنظيمات الدقيقة على جيش الإنكشارية ، وكانت كلها في ضوء الشريعة الإسلامية ، ولم تكن مستمدة من القوانين الوضعية كما قد يتبادر إلى الأذهان. ومن جهة أخرى تمرد حكام الشام: فما إن وصل خبر موت السلطان سليم الأول إلى جانبرد الغزالي إلا وأعلن تمرده ، وعرض على حاكم مصر أن يحذو حذوه فخدعه حاكم مصر بإبداء الموافقة ، وفي نفس الوقت كان يطلع الخليفة سليمان على كل ما يرمى إليه حاكم الشام ، وبدأ حاكم الشام في تنفيذ تمرده بمحاصرة حلب ، ولكن بمجرد وصول الجيوش العثمانية إلى حلب ، ولَّى حاكم الشام الأديار ثم تحصن بدمشق وواجه الجيوش العثمانية فهزم ، وحاول أن يفر متنكرًا فسلمه أحد أعوانه للعثمانيين فقتلوه. في بلاد فارس (الدولة الصفوية): في عام 941هـ دخل العثمانيون تبريز للمرة الثانية ، ومنها اتجهوا إلى بغداد فضمت إلى أملاك الدولة العثمانية ، وفي عام 954هـ طلب أخو الشاه الصفوي مساعدة السلطان ضد أخيه ، فدخل العثمانيون تبريز للمرة الثالثة. في بلاد العرب: احتدم الخطر الإسباني والبرتغالي الصليبي على المسلمين ، فبعدهما استولوا على آخر معاقل المسلمين في بلاد الأندلس ، وعاهدوا المسلمين على أن يكفلوا لهم الحرية الدينية وممارسة الشعائر ، لكنهم سرعان ما أخلفوا العهود ونقضوا المواثيق ، فأخذت محاولات التنصير الضارية تنهمر على المسلمين في الأندلس ، مستعملين في ذلك كل الوسائل من إبادة وتشريد وهتك للأعراض واستعباد ، وغيرها من الوسائل التي يعجز القلم عن وصفها ، فهم المسلمون في الأندلس على وجوههم ، منهم من لحقته الإبادة ، ومنهم من ذاب في المجتمع النصراني ، ومنهم من استطاع أن يفر بدينه ليهاجر للأمصار الإسلامية. ولم يكتف الأسيبان والبرتغاليون بالأندلس ، فبعد أن استتب لهم الأمر فيها اتجه الأسيبان نحو الأمصار الإسلامية الأخرى ليعيدوا المأساة فيها ، واحتلوا بعض المراكز في شمال إفريقيا مثل طرابلس والجزائر وبنزرت ووهران وغيرها. فأرادت الدولة العثمانية تحرير شمال إفريقيا من الأسيبان ، ثم الاتجاه للأندلس ولم شمل المسلمين. وماذا عن خبر البحارة خير الدين وأخوه عروج: في عهد السلطان سليم الأول ظهر أحد البحارة الذين لهم صفحات لامعة في التاريخ الإسلامي ، وهو البحار خير الدين الذي كان قرصانًا نصرانيًا في جزر بحر إيجة ثم اعتنق الإسلام هو وأخوه عروج ، ونذرا نفسيهما لخدمة الإسلام ، وكانا ينتقمان من القرصنة النصرانية الذين كانوا يعترضون السفن المسلمة ويسترقون ركابها وينهبون خيراتها ، فكانا بالمثل يعترضان سفن النصرانية ويبيعان ركابها عبيدًا ، ثم في عهد السلطان سليم الأول أرسل إليه إحدى السفن التي أسروها ، فقبلها منهما فأعلنا طاعتها وخدمتهما للعثمانيين. وانطلقا يطهران شواطئ إفريقيا من الصليبيين ، فحرر عروج مدينة الجزائر ومدينة تلمسان ، وكان ذلك في عهد السلطان سليم الأول ، فعين خير الدين واليًا على الجزائر ، وبالتالي ضمت الجزائر إلى الدولة العثمانية.

وأرسل السكان المسلمون إلى الخليفة يستغيثونه بعد احتلال الأسبان لطرابلس ، فأرسل إليهم قوة بحرية صغيرة عام 926هـ بقيادة مراد أغا ولكنه فشل في تحريرها ، فأرسل الخليفة الأسطول العثماني بقيادة طورغول بك فحرر المدينة من الأسبان وطردهم شر طردة ، وواصل تحرير المدن الإسلامية من وطأتهم فحرر بنزرت ووهران ، وغزا ميورقة (إحدى جزر البليار جنوب شرقي إسبانيا) وكورسيكا ، وبذلك غدت طرابلس الغرب (ليبيا) ولاية عثمانية. ودعا الخليفة سليمان البحار خير الدين وأمره بالاستعداد لغزو تونس وتحريرها من ملكها الحفصي ، الذي اشتهر بميله إلى شارلكان الملك النصراني شديد العداوة للإسلام ، فأعد خير الدين العدة وبنى أسطولاً كبيراً لهذا الغرض ، وسار من مضيق الدردنيل قاصداً تونس ، وفي طريقه أغار على مالطة وجنوبي إيطاليا للتمويه ، ولكيلا يعرف مقصده الأساسي ثم وصل تونس ، وبمنتهى السهولة سيطر عليها وعزل السلطان حسن الحفصي ووضع مكانه أخاه ، فاشتاق شارلكان ملك إسبانيا وإيطاليا والنمسا وغيرها من بلاد أوربا ، وصمم على استعادة نفوذه في تونس وإعادة ملكها العميل المخلص له ، فقاد شارلكان الجيوش بنفسه ، وتمكن من دخول تونس وترك الحرية لجنوده في النهب والقتل وهتك الأعراس وهدم المساجد والسبي والاستعباد ، وأعاد السلطان حسن الحفصي للحكم بعد أن أجبره على التنازل له عن مدن بنزرت وعنابة وغيرها ، واضطر خير الدين إلى الانسحاب من تونس. وكما ذكرنا من قبل الخطر الذي بدأ يظهر من قبل البرتغاليين واحتلالهم لبعض المواقع في جنوب شبه الجزيرة العربية ومواصلة الزحف لنشب قبر الرسول ، هذا بالإضافة إلى خطرهم على بلاد الهند التي كانت في ذلك الوقت تحت سلطان المغول المسلمين. أمر الخليفة سليمان بتجهيز أسطول للسيطرة على الجزيرة العربية وتطهيرها من البرتغاليين ، فتمكن العثمانيون من ضم اليمن وعدن ومسقط ومحاصرة جزيرة هرمز ، وبالتالي أغلقوا الأبواب في وجه البرتغاليين وأهدافهم الدنيئة ، وفي نفس الوقت استنجد المغول المسلمون بالسلطان سليمان من البرتغاليين الذين احتلوا بعض سواحل الهند ، فأرسل إليهم أسطولاً تمكن من تحرير بعض القلاع من البرتغاليين ، ولكن الأسطول العثماني هزم في معركة ديو البحرية ، فاضطر إلى الانسحاب وخاصة بعدما حاول الأعداء إثارة الفتن وإشاعة أن العثمانيين يريدون ضم الهند. وعندما سمع البحار خير الدين وأخوه عروج بما حدث للمسلمين قاما لنجدة إخوانهم في الأندلس ، وكانت سفنهم تتجه إلى شواطئ الأندلس لتحمل المسلمين الفارين بدينهم من محاولات الإبادة والتنصير الإسبانية إلى الأمصار الإسلامية ، وفي نفس الوقت أراد أن ينتقم لمسلمي الأندلس من نصارى أوربا بصفة عامة ونصارى إسبانيا بصفة خاصة ، والذين اشتركوا جميعاً وباركوا إبادة المسلمين في الأندلس. فأغار على الكثير من شواطئ إيطاليا وفرنسا وإسبانيا وزج في سفنه بالكثير من أهالي هذه البلاد تمهيداً لبيعهم عبيداً في الأمصار الإسلامية ، ليعلمهم أن المسلمين بقدر سماحتهم وعفوهم ، فهم قادرون على الانتقام لإخوانهم ، وكان قد صب تركيزه على إسبانيا بعد أن عقدت معاهدة بين العثمانيين وفرنسا. وانتصر خير الدين بعد انسحابه من تونس على أسطول شارلكان في عام 944هـ ، وحاول فتح جزيرة كريت ولكنه فشل في فتحها. واستغل الخليفة انشغال أوربا بالحروب كحروب شارلكان ملك النمسا مع ملك فرنسا فرانسوا وأيضاً الخلاف المذهبي بين الكاثوليك والبروتستانت واتجه لفتح جزيرة رودس ، وتمكن بالفعل من فتحها عام 929هـ ، وفر فرسان القديس يوحنا من رودس إلى جزيرة مالطة ، التي أهداها لهم شارلكان ملك النمسا. تحويل القرم إلى ولاية عثمانية: وقع الخلاف بين التتر المسلمين الذين يحكمون

القرم ، والتي تعترف بسيادة الدولة العثمانية ، فتدخلت الدولة العثمانية وجعلتها ولاية عثمانية عام 939هـ. وقرر السلطان سليمان أن يجعل ولاية الأفلاق ولاية عثمانية ، فدخلها عام 931هـ. ودخل عاصمتها بخارست ، ولكن الأعيان فيها ثاروا بمساعدة أمير ترانسلفانيا ، وعينوا أميراً جديداً فوافق الخليفة في مقابل زيادة الجزية. تحالف العثمانيين مع فرنسا: اشتد خطر شارلكان ملك النمسا على فرنسا ، وخاصة بعدما أحاط بها من جميع الجهات ، فقد ضم إليه إسبانيا وأجزاء كبيرة من إيطاليا وهولندا وألمانيا ، فاقترح ملك فرنسا على الخليفة سليمان القانوني أن يهاجم شرق مملكة شارلكان ، في حين يهاجم ملك فرنسا من الغرب ، فاقترح الخليفة بالفكرة. وأرسل الخليفة إلى ملك المجر يأمره بدفع الجزية ، فقتل الملك رسول الخليفة. فجهز الخليفة جيشاً قاده بنفسه وسار ففتح بلغراد عام 927هـ بعد أن كانت أكبر مانع للعثمانيين لدخول بلاد المجر. وسار الخليفة بنفسه ومعه جيش قوامه 100.000 جندي و300 مدفع و800 سفينة في نهر الدانوب جنوب بلاد المجر ، جاعلاً بلغراد قاعدته الحربية ففتح عدة قلاع في أثناء مسيرته ، واستطاع أن يفتح عاصمتها بودا في عام 932هـ بعد أن هزم ملك المجر وفرسانه والتقى بأعيان البلاد ، اتفق معهم على تعيين جان زابولي ملك ترانسلفانيا ملكاً على المجر. وادعى أخو الملك شارلكان فرديناند سلطته على المجر واستطاع أن يحتل عاصمتها بودا ، فاستنجد ملكها جان زابولي بالخليفة ، فانقضت الجيوش العثمانية على بودا التي فر منها فرديناند فتبعته الجيوش المظفرة وحاصرت عاصمة النمسا ويانه (فيينا) ، وأحدثت ثغراً في أسوارها إلا أن الذخيرة نفذت منهم وأقبل فصل الشتاء فرجع الخليفة إلى بلاده. وفي عام 938هـ حاول ملك النمسا احتلال بودا ولكنه لم يستطع ، فسار إليه الخليفة في العام الثاني ، ولكنه رجع عندما علم باستعدادات شارلكان. فرنسا تنقض الحلف مع العثمانيين ثار الرأي العام في أوروبا على تحالف فرنسا النصرانية مع الدولة العثمانية المسلمة ضد شارلكان ومملكته النصرانية ، فما كان من فرانسوا ملك فرنسا إلا أن عقد هدنة مع ملك النمسا ونقض التحالف مع العثمانيين ، فاستغلت النمسا الفرصة وأعدت الكرة في الحروب مع العثمانيين ولكنها انهزمت عام 943هـ. تحريض أمير البغدان على العثمانيين قام أخوا الملك شارلكان بتحريض أمير البغدان على الدولة العثمانية ، فأعلن تمرده فتمكن منه العثمانيون وعينوا أخاه أصطفان أميراً للبغدان ، وعززوا الحماية العثمانية فيها. مواصلة الحروب مع النمسا اقتنع زابولي ملك المجر بفكرة فرديناند في اقتسام المجر ، وإلغاء الحماية العثمانية عليها ، وأرسل فرديناند صورة من الاتفاق السري بينهما للخليفة ليعلمه بعدم ولاء زابولي له ، وقبل أن يعاقب الخليفة الملك زابولي كان الموت أسرع إلى زابولي عام 946هـ ، فاستغل فرديناند الفرصة ليحتل المجر فاحتل مدينة بست (على الضفة الأخرى لنهر الدانوب والمواجهة لمدينة بودا واللذان اندمجتا معاً لتكونا العاصمة الحالية للمجر بواذبست) ، فانقض عليهم الجيش العثماني عام 947هـ ففر النمساويون. وبهذا أصبحت المجر ولاية عثمانية ، ورضيت أرملة زابولي بذلك حتى يكبر ابنها الذي ما زال طفلاً ، وأخيراً عقدت معاهدة بين العثمانيين والنمسا لمدة خمس سنوات تدفع بموجبها النمسا جزية سنوية مقابل ما بقي تحت يديها من المجر. واستمر الأوروبيون النصارى في نقض العهود فتنازلت إيزابيلا أرملة زابولي عن ترانسلفانيا لفرديناند ، وبذلك نقض العهد بين العثمانيين والنمسا ، فأسرعت الدولة العثمانية بالسيطرة على ترانسلفانيا عام 957هـ. وأرادت الدولة العثمانية استمالة أحد الأطراف الصليبية إليها حتى تفرق وحدتهم ضدها ، فعقدت مع فرنسا اتفاقية في عام 942هـ ، ولكنها شملت

الكثير من الامتيازات لفرنسا التي سببت مشاكل كثيرة للعثمانيين حتى سقطت الخلافة ، خاصة وأن الكثير ممن خلفوا الخليفة سليمان قد تبعوه في منح الامتيازات التي جعلت للأجانب دولة داخل الدولة العثمانية ، وجعلت القنصل يحكم بقوانين بلاده في الدولة العثمانية في كل ما يتعلق بالرعايا الفرنسيين ، ومن أمثالها: ألا تسمع الدعاوى المدنية للسكان المسلمين ضد تجار ورعايا فرنسا ، ولا يحق لجباة الخراج إقامة دعاوى عليهم ، وأن يكون مكان دعواهم عند الصدر الأعظم لا عند أي محكمة كباقي الشعب ، وإذا خرج فرنسي من الدولة العثمانية وعليه ديون فلا يسأله أحد عنها ، وتكون في طي النسيان ، وغيرها من الامتيازات التي جعلت لهم نفوذاً كبيراً في أنحاء الدولة ، وبمرور الزمن أصبحوا يعيشون في أرض يباح لهم فيها فعل كل ما يريدون من استحلال للمنكرات والفجور ، ولا يستطيع أحد أن يكلمهم ، بل قيل إن سجونهم التي كانت تدار بواسطة بلادهم في الدولة العثمانية كانت عبارة عن قصور ، بها ما لذ وطاب من الجواري والخمر وغيرها. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أخذت كل دولة أجنبية تطالب بامتيازات لها في الدولة العثمانية كلما قوي أمرها ، ليزداد الخناق على الدولة العثمانية من الداخل ، إضافةً إلى الخناق المفروض عليها من الخارج والمتمثل في الحروب. ولقد أسر التتر المسلمون في القرم - في إحدى غاراتهم على الروس - فتاة بالغة الجمال تدعى روكسلان ، فأهدوها إلى الخليفة الذي اتخذها زوجة له ، وقيل إنها كانت يهودية روسية ، فعكفت على التدخل في شئون الحكم ، فطلبت من الخليفة أن يسمح لليهود الذين طردوا من الأندلس مع المسلمين بالاستيطان في أرجاء الدولة العثمانية ، والذين يطلق عليهم يهود الدونمة ، والذين لم يحفظوا الجميل للعثمانيين بعد أن رفضهم العالم وضافت بهم الأرض بما رحبت ، فلم يجدوا إلا الدولة العثمانية تفتح لهم أحضانها ، وتظلم بظلمها ، والذين سيكون لهم دور رئيسي فيما بعد في سقوط الخلافة العثمانية ، وتوسطت أيضاً لدى الخليفة ليمنع التتر في القرم من محاربة الروس ، برغم أن الروس في ذلك الوقت كانوا قد سيطروا على أكثر بلاد التتر ، وارتكبوا فيها أبشع الجرائم التي تدل على حربهم الصريحة للإسلام. ولم تكتف روكسلان بذلك ، بل اجتهدت لتولي ابنها من السلطان سليمان - والذي سمي بسليم - الخلافة بعد أبيه برغم وجود أخيه الأكبر مصطفى القائد العظيم الذي حظي بحب الجيش والشعب له ، فقامت بعمل دسيسة نفذها الصدر الأعظم رستم باشا (المعِين) بواسطتها وهو في نفس الوقت (زوج ابنتها من السلطان)! فحرّض رستم باشا الخليفة ضد ابنه ، وكتب إليه يحذره أن ابنه مصطفى يريد عزله وتنصيب نفسه على السلطنة فخرج إليه الخليفة ، وكان مصطفى يحارب الدولة الصفوية فاستدعاه أبوه إلى خيمته ، فما إن جاء ابنه حتى انقض عليه بعض الخدم فخنقوه ، ولم تكتف الأفعى بقتل مصطفى فأرسلت من يقتل ابنه الرضيع. ثم توفي الخليفة سليمان عام 974هـ ، وتولى بعده: الخليفة سليم الثاني).هـ. وأما عن سليمان القانوني المفترى عليه ، فقد كتب عنه وعن فضله ومناقبه الجمة الأستاذ جمال بن حويرب ، ما نصه: (لقد كان السلطان سليمان القانوني رجلاً عظيماً وقائداً مغواراً: فمنذ 1538 أمر السلطان سليمان بمحاربة البرتغاليين أينما كانوا ، وكان يرسل سفنه في كل مكان للدفاع عن أي مستعيث به حتى قام بتأمين كثير من المدن الإسلامية. وبانضمام القائد خيرالدين باربروسا إلى البحرية العثمانية استطاع السلطان أن يؤسس أقوى الأساطيل البحرية ، التي استطاعت أن تقلل من هجمات شارل الخامس وأمنت شمال إفريقيا تونس والجزائر وبعضاً من المغرب ، واستطاع إنقاذ آلاف المسلمين من قبضة الأسبان قيل بلغ عددهم 70 ألفاً. ولقد بقي السلطان سنة كاملة لم يرجع إلى قصره حتى حرر بغداد من



الصفويين ، وإني أنصح باقتناء كتاب "سلطان الشرق العظيم سليمان القانوني" ، وهو من تأليف هارلود لامب وقد ترجم إلى العربية ، وهو كتاب ممتع ومفيد).هـ. وأما روكسلان زوجة سليمان القانوني المفترى عليها ، فقد كتب عنها وعن فضلها ومناقبها الجمة الأستاذ جمال بن حويرب ، ما نصه: (لم يكن في ظنّ ميرال أوكاي ، التي ولدت في أنقرة سنة 1959م ، وهي كاتبة سيناريو مسلسل القرن العظيم أو ما ترجم عند العرب "بحريم السلطان" ، والذي أثار ضجة كبيرة في تركيا حتى أوصلت بعض المتحمسين الأتراك إلى التظاهر أمام القناة التركية المنتجة. وكتبت الصحف عنه كثيراً من المقالات خاصة حول شخصية أم السلطان سليم الثاني "روكسلان" ، التي ظهرت في المسلسل بشكل غير لائق بها ولا يمت إلى تاريخها ولا حقيقتها بصلة ، ولكن السيناريست "أوكاي" أخذت ما كتبه الأعداء عنها ولم يكتبه أحد من مؤرخي الدولة العثمانية فنسجت من خيالها هذا الدور الفظيع. والكاتبة أيضاً ليست مؤرخة ولا علاقة لها بتاريخ بني عثمان ، ولكنها كانت تنفذ ما يطلبه منها المنتج والمخرج لهدف الإثارة والترويج ولو على حساب الحقيقة التاريخية. وهي ليست بدعا من الكتاب ، بل أغلب مؤلفي القصص التاريخية يفعلون مثل فعلها عندما يكون نصب أعينهم حاجة المنتجين للربح وترويج أعمالهم التاريخية وإلا ستكون خسارتهم فادحة ، ولا ألومهم على ذلك وإنما ألوم من يصدق هذا التاريخ ويعتقد أنه حقيقة! وأما "روكسلان" أو "روكسانة" الجارية الأوكرانية ، التي عرفت بخرم سلطان أصبحت والدّة لرجل يعدّ من أعظم السلاطين العثمانيين وهو سليم الثاني ، ولها أفضال كثيرة وأوقاف وأعمال خيرية ، منها إكمال عيون زبيدة التي بدأتها زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد ، حيث وصل إلى علمها أنّ المياه صارت شحيحة لأهل مكة ، فأمرت بإكمال العيون حتى تصل إلى مكة المكرمة ، وقد قامت أيضاً ببناء مستشفيات ومبرات وأعمال خيرية ومساجد في تركيا وفلسطين ومكة وغيرها من بلاد المسلمين ، ولا يزال هناك مخطوطات ومصاحف تحمل اسمها أوقافاً لطلبة العلم والمساجد ، فهل يصح أن تسمى هذه المرأة الصالحة بالأفعى اليهودية كما ينعتها بعض من لا علم لديه؟ وهل نصدق ما يظهره هذا المسلسل عنها؟ الجواب: لا! ولن نقبل بتشويه هذا التاريخ العظيم لمجرد هوى كاتبة لا تعرفه ، هذا وقد توفيت هذه المرأة الجليلة في 18 إبريل من عام 1558م رحمها الله تعالى. ولا أدري ما سر إصرار بعض المؤرخين الغربيين على تشويه صورة والدّة سليم الثاني ، وقد يكون هناك أسباب خفية منها أن سليم الثاني قام بأعمال عظيمة في إيقاف التوغل الأوروبي ، حتى ضربت جيوشه البرتغاليين في الشرق الأقصى وقام بتأمين كثير من البلدان الإسلامية الخاضعة لسلطانه ، مفوتاً فرصة كبيرة على الطامعين الأوروبيين وغيرهم ، أم هي الادعاءات البغيضة على سلاطين الإسلام حتى تبقى صورة المسلمين مشوهة أمام العالم المتقدم! وبهذا يستطيعون التشكيك في الإسلام نفسه!).هـ. وتحت عنوان: (القصة الحقيقية للسلطان العثماني سليمان القانوني - مرارة الواقع ودراما كاذبة - وليس كما حرفها الكفار وجعلوا مسلسل حريم السلطان هي الرواية ، فقد كتب الأستاذ صلاح أبو دية ما نصه: (إنها قصة من تاريخنا المشرف العظيم ، وللأسف كثير منا لا يعرف هذا التاريخ ، والأغرب أن قصتنا اليوم عن ملك هو من أعظم ملوك الإسلام وأعظم سلاطين الأرض على مر العصور ، يكفي أن أقول بأن دولته ومملكته هي الأكبر والأقوى والأعظم في تاريخ البشرية باستثناء ملك سليمان! تخيل أن 99 بالمئة من المسلمين لا يعلمون شيء عن هذا السلطان ولا حتى يعلمون اسمه! إنه السلطان سليمان القانوني من خلفاء الدولة العثمانية وهو من أعظم سلاطين الإسلام وأعدلهم وأكثرهم

جهاداً! وللأسف الشديد شُوهِت صورة الدولة العثمانية من الغربيين والمناهج التعليمية لصرف أمة الإسلام عن عظيم تاريخها! أما السلطان سليمان القانوني فهو أكثر سلاطين المسلمين جهاداً وغزواً في أوروبا - فلقد وصلت جيوش المسلمين في عهده إلى قلب أوروبا عند أسوار فيينا مرتين! فهو بذلك مجدد جهاد الأمة في القرن العاشر! أقام السنّة وأحيا الملة وقمع البدعة والروافض! صاحب انتصار المسلمين في معركة موهاكس التي كانت من أيام الله الخالدة ، وتُعد غرة المعارك الإسلامية في شرق أوروبا بعد معركة وبوليس وفتح القسطنطينية - وهو أعظم سلاطين الدولة العثمانية وأكثرهم هيبّة ورهبة في قلوب النصارى وأشدّهم خطراً عليهم ، وكان من خيار ملوك الأرض! حكم المسلمين قرابة ثمانية وأربعين سنة ، وامتدت دولة الخلافة الإسلامية في عهده في ثلاث قارات وأصبحت القوة العظمى في العالم بأسره بلا منازع ، وتمتلك أعلى الجيوش والأسلحة وصاحبة السيادة في البحار والمحيطات! يقول المؤرخ الألماني هالمير: "كان هذا السلطان أشدّ خطراً علينا من صلاح الدين نفسه". ويقول المؤرخ الإنجليزي هارولد: "إن يوم موته كان من أيام أعياد النصارى". فمن كان السلطان سليمان الأول "القانوني"؟ إنه عاشر سلاطين الدولة العثمانية وثاني خليفة للمسلمين في الدولة العثمانية - وُلد السلطان سليمان خان الأول بن السلطان سليم الأول عام 900هـ - كان طويل القامة حسن الوجه - وكان أبوه هو السلطان سليم الأول الذي ضم مصر والشام للدولة العثمانية - والذي تنازل له آخر خليفة عباسي في القاهرة عن الخلافة وأرسل له مفاتيح الحرمين - وأصبح أول خليفة من الدولة العثمانية ولقب بخادم الحرمين الشريفين. وكان ميلاد السلطان سليمان الأول - رحمه الله - خير وبركة على الأمة الإسلامية واستبشر به المسلمون خيراً - وظل السلطان سليمان الأول - رحمه الله - في كنف أبيه السلطان سليم يربيّه ويرعاه ويدربه على أمور السياسة والحكم - فكان أميراً على بعض الولايات في الأناضول أثناء خلافة أبيه ، وظل على ذلك الأمر حتى توفي أبوه السلطان سليم الأول عام 926هـ ، وتولى الخلافة سليمان الأول! تولى السلطان سليمان الأول الخلافة وهو ابن 26 سنة! - وكان أول شيء فعله السلطان سليمان - رحمه الله - أنه أقام السنّة وأعلى منارها وقمع البدعة وأهلها وقضى على الروافض وأحيا الملة ونشر العدل في ربوع الدولة الإسلامية فاستبشر الناس خيراً بعهده وكان السلطان سليمان يستفتح رسائله بقول الله تعالى: (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) تيمناً بنبي الله سليمان - حتى قال عنه المؤرخون إنه "سليمان زمانه"! لكثرة جنده ولعظيم هيئته ولنفاذ أمره في ملوك الأرض ، وإقامته للسنّة ولجهاده ضد النصارى ، وأجمع المؤرخون من المسلمين وغيرهم أن ذروة مجد الدولة العثمانية وأعظم أيامها كان في أيام السلطان سليمان القانوني - وأنه كان آخر سعد الدولة العثمانية - وكان رحمه الله رؤوفاً برعيته ، وترأف بحال الناس فأطلق سراح 600 مسجون من مأسوري مصر. وردع الظالمين عن المظالم ، وردع أهل الشرور والمفاسد ، وأمن الناس في أيامه وانتشر العدل في سائر الأركان ، واندثر الظلم ، واجتهد رحمه الله في أول جلوسه في نفي الزنادقة والمبتدعين في الدين! وعمل السلطان سليمان تعديلات إدارية في إدارة الدولة الإسلامية وشؤون أفرادها من مختلف الديانات والجنسيات والأعراق والأقليات ، فجلب السلطان سليمان العلماء الربانيين ، وجلس معهم ووضع قوانين إدارية مستمدة من الشريعة الإسلامية ، وبالفعل كان من أهم أعمال السلطان سليمان الإدارية أنه وضع قانون الدولة العثمانية المسمى "قانون سليمان

نامته" أي "قانون السلطان سليمان"! وكان الذي شاركه في وضع تلك القوانين من القرآن والسنة هو العالم الجليل أبو السعود أفندي المفسر الكبير وصاحب التفسير العظيم "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" المشهور بـ "تفسير أبي السعود". فانظروا كيف كان حكام المسلمين يستعينون بالعلماء ولا يستغنون عن مشورتهم ، وجعل السلطان سليمان منصب الفتوى أعلى المناصب قاطبةً بعد منصب الخلافة! وبعد وضع تلك القوانين الإدارية التي تحكم الدولة الإسلامية ، شرع السلطان سليمان في تطبيقها بكل عدل ومساواة وبكل حزم - فكما قيل: الحزم سياج العدل! ومن هنا جاءت تسمية السلطان سليمان الأول بـ"القانوني" ، ليس لأنه من وضع القوانين - بل لتطبيقه تلك القوانين بكل صرامة لا يفرق بين كبير أو صغير ولا بين عامة وخاصة! ومنذ تولي السلطان سليمان القانوني الخلافة - لم يركن إلى الدعة والراحة - بل لبس لامة الحرب من أول يوم ، وظل مجاهداً إلى آخر يوم في عمره ، وما ترك الجهاد قط - وما كان ينزل من على صهوة جواده إلا ليمتطي جواداً آخر ليمضي مجاهداً في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله! ولا عجب من أن معظم الحديث عن السلطان سليمان القانوني كان عن جهاده - لأنه لا يوجد جانب أعظم ولا أروع في سيرة السلطان سليمان مثل جهاده ضد المشركين في أوروبا وفتوحاته المجيدة! ولقد استطاع السلطان سليمان القانوني أن يوسع رقعة الدولة الإسلامية في ثلاث قارات ، حتى أصبحت دولة مترامية الأطراف - وكان سبيله في تحقيق هذا الهدف هو سيفه ودرعه! والحقيقة أن المؤرخين ذكروا أن عدد ما افتتحه السلطان سليمان القانوني في حياته من الحصون والقلاع والمدن ما يناهز 360 حصناً! وما علمنا أن من قادة المسلمين قديماً وحديثاً من افتتح مثل هذا العدد! فلقد فتح بلجراد (25 رمضان 926هـ - 31 أغسطس 1521م). وعندما جلس السلطان سليمان القانوني على كرسي الخلافة ، كان أول ما فعله هو إرسال رسالة إلى ملوك أوروبا يعلمهم بتوليته الخلافة ، ويأمرهم بدفع الجزية المقررة عليهم كما كانوا يفعلون في عهد أبيه السلطان سليم الأول. فما كان من ملك المجر إلا أن قتل رسول السلطان سليمان! فاستشاط السلطان سليمان غضباً وانفعل قائلاً: أَيْقُتِل سفير دولة الإسلام؟! أيهددني ملك المجر؟! فما أصبح الصباح إلا وقد أعد السلطان سليمان جيشاً جرار مدعوماً بالسفن الحربية وكان السلطان سليمان بنفسه على رأس هذا الجيش ، وكان قاصداً مدينة بلجراد المنيعه والتي تُعد بوابة أوروبا الوسطى وحصن المسيحية كما كانوا يطلقون عليها! ولكم أن تعلموا أن محمد الفاتح رحمه الله حاول أن يفتح بلجراد ولكنه فشل - بل وأصيب إصابات خطيرة أثناء حصارها. ولما انصرف عنها قال: عسى أن يخرج الله من أحفادي من يفتح الله تلك المدينة على يديه! وبلجراد كانت لها مكانة عظيمة في قلوب النصارى وخصوصاً بعد سقوط القسطنطينية وسموها (حصن المسيحية)! ويذكر المؤرخون أن السلطان سليمان عندما كان ولياً للعهد كان يمَنِّي نفسه بفتح بلجراد التي عجز أجداده (مراد الثاني - محمد الفاتح - بايزيد الثاني) عن فتحها! توجه السلطان سليمان القانوني على رأس جيش عرمرم مكون من كتائب الإنكشارية الذين ما أن يسمع النصارى في أوروبا باسمهم فيأخذ الرعب منهم كل مأخذ وترتعد فرانسهم - ومزود بأعتى المدافع والأسلحة يمدهم 3 آلاف جمل محمل بالأسلحة و30 ألف جمل محمل بالمهمات وسفن تحمل الخيول و50 سفينة حربية ومئات من المدافع العملاقة الفتاكة التي كانت فخر الجيوش الإسلامية. وبالفعل يبدأ السلطان سليمان في حصار قلعة بلجراد ، وبعد شهرين ونصف من الحصار تسقط قلعة بلجراد في 2 رمضان 927هـ - ثم دخل السلطان سليمان القانوني المدينة نفسها فاتحاً يوم 26 رمضان 927هـ! وكان

يوماً مشهوداً ، وأمر السلطان سليمان أن يرفع الأذان من القلعة ، ويذكر صاحب كتاب "تاريخ بلجراد الإسلامية" نقلاً عن صاحب يوميات السلطان سليمان إلى بلجراد "بعون الله تعالى تم اليوم فتح قلعة بلجراد. وارتفع صوت المؤذن من القلعة. ونزل خبر سقوط بلجراد على النصرى والبابا في روما كالصاعقة وارتعدت فرائصهم من الرعب! وعلموا وقتها أنهم أمام سلطان من طراز فريد ، وعلموا أنه سيعيد لهم سيرة بايزيد الأول ومحمد الفاتح - فوقعت هيبته في قلوب ملوك أوروبا قاطبةً ، وبعث إليه ملك روسيا والبندقية وسائر ملوك أوروبا يهنئونه بالفتح ويعطونه الجزية عن يد وهم صاغرون! ومن يومها سمى المسلمون بلجراد (دار الجهاد) وكان منها القاعدة الحربية لانطلاق جيوش المسلمين لغزو باقي أوروبا ، واهتم المسلمون بالأوجه الحضارية في بلجراد ، حتى سماها المؤرخون (أندلس البلقان) وكانت تنعم بأوجه الحضارة ، بينما كانت سائر بلاد أوروبا لا تعرف شيئاً عن أوجه الحضارة ولا عن تخطيط الشوارع ورصفها وإنارتها ليلاً! من من المسلمين الآن يعرف شيئاً عن بلجراد الإسلامية؟! فقد ضاعت كما ضاعت الأندلس ، فصدق من سماها (أندلس البلقان)! فهي شبيهة الأندلس في حدث إقامتها وحدث نهايتها! وظل السلطان سليمان القانوني في بلجراد حتى عيد الفطر وأقام صلاة العيد في أكبر كنائسها بعد تحويله إلى مسجد ولم ينزل السلطان سليمان من جواده حتى امتطى جواداً آخر مجاهداً في سبيل الله رافعاً كلمة الله خفاقة. وأما فتح جزيرة رودس فكان في (13 صفر 929هـ - 1 يناير 1523م) ، فلقد كانت جزيرة رودس هي الشوكة المنيعة التي في حلق الدولة العثمانية ، والتي تمتاز بمناعة وتحصين نادر جدا ورهيب ، حتى أن سلاطين المسلمين في صدر الدولة العثمانية ما استطاعوا فتحها أبداً كمحمد الفاتح! وكان يسكن جزيرة رودس نصارى الروم الصليبيون المسمون (فرسان القديس يوحنا) الذين طردوا من بلاد الشام بعد الحملات الصليبية ، وكانوا تحت سلطة البابا في روما ، وكانوا على عصبية شديدة جداً ضد المسلمين ، فكان طوال مكثهم يغيرون على سفن المسلمين المتجهة للحجاز يقتلون رجالهم ويأسرون أطفالهم ويهتكوا عرض نسائهم وينهبوا أموالهم ويقتلون الحجيج ويحرقون سفن المسلمين وكانوا يبغضون المسلمين جداً ، ويستغلون حصونهم في الجزيرة المنيعة ، فكانوا على اطمئنان بأن المسلمين لن يستطيعوا أن يصلوا إليهم. ولقد نهب الصليبيون في رودس أحد السفن الإسلامية التي ثقل الحجيج والتجار المسلمين فقتلواهم وحرقوا سفنهم ، وعلم السلطان سليمان القانوني بهذا الخبر ، فاستشاط غضباً لله وأقسم أنه لن يركن للراحة حتى يفتح جزيرة رودس ويطرد الكفار الملاعين منها! وبالفعل أخذ السلطان سليمان استعدادة لفتح جزيرة رودس براً وبحراً ، واستغل انشغال ملوك أوروبا بالحروب بينهم وانشغال بابا الفاتيكان بالتصدي لدعوة مارتن لوثر وقيام المذهب البروستانتى ، فأرسل حملة عسكرية بقيادة مصطفى باشا قوامها 200 ألف جندي مزودين بأعتى المدافع ومعهم 700 سفينة حربية وبدأ الهجوم على أسوار رودس إلا أنهم لم يصيبوا منها شيئاً لمناعتها. فغضب السلطان وسافر بنفسه ومعه كتائب من المجاهدين وتولى القيادة بنفسه أمام أسوار جزيرة رودس وحاصرها السلطان 6 أشهر كاملة وضيق عليها الخناق وكان طوال تلك المدة يواصل إطلاق المدافع ، حتى بلغ عدد ما أطلقوه من المدافع 220 ألف مدفع! والمصادر التاريخية تذكر لنا حالة الطقس أثناء حصار المسلمين لرودس أنها كانت سيئة للغاية ، فالأمطار تتساقط على المجاهدين ، والسماء تيرق والرعد يصم صوته الأذان ، ومع ذلك لم يفت ذلك في عضدهم. فاستسلم فرسان القديس يوحنا ، وأمهلهم السلطان مدة 12 يوماً يخرجون من الجزيرة ،

وأعطاهم أماناً على كنائسهم ودينهم كان هذا ديدن السلطان في فتح بلاد النصارى بأوروبا. ودخل السلطان سليمان القانوني جزيرة رودس فاتحاً يوم 13 صفر عام 929هـ الموافق 1 يناير 1523م ، وهنا اهتز عرش النصرانية في روما والعالم النصراني كله. وخرج فرسان القديس يوحنا منكنسين رؤوسهم من الذل والهوان متجهين إلى جزيرة مالطا ، فسكنوها وسموا أنفسهم فرسان مالطا. ويحكي لنا المؤرخ عبد الرحيم العباسي الذي شارك في هذه الحملة أن المسلمون وجدوا في الجزيرة أكثر من 3 آلاف أسير في حالة يرثى لها من التعذيب والقهر والذل ، ويقول بأن المجاهدين العثمانيين بكوا عندما رأوا حال الأسرى! وعندما دخل السلطان سليمان المدينة أمر جنوده بتجهيز الكنيسة لصلاة الجمعة ، فأزيلت الصور والتماثيل وصنع منبر خشبي بسيط لهذه الغاية ، وبالفعل أقيمت صلاة الجمعة وخطب للسلطان وغص المسجد بالمصلين ولله الحمد والمنة. وهذا عبد الرحيم العباسي عند دخول المسلمين رودس بعد الحصار ، وكان شاهداً هذا الفتح:- يقول - رحمه الله - في كتابه (منح رب البرية في فتح رودس الأبية):- (ثم برز الأمر الشريف بإرسال السنجق "لواء الفتح عند العثمانيين" المنصور ، واللواء الذي هو لطى الكفار منشور ، ليوضع على سور القلعة ، بشامخ العزة والرفعة ، فذهبوا به على نهاية التعظيم وغاية الإجلال والتكريم ، والعساكر الإسلامية به محدقة ، وعيون المسلمين إليه مُحدقة ، وعيون المشركين مطرقة - وأصوات الطبول والبوقات قد ملأت النواحي والجهات - والأصوات المرتفعة بالتهليل والتكبير - والصلوات والتسليم على سيدنا ومولانا محمد البشير النذير - والسراج المنير - وقلوب أعداء الله من ذلك في أحر من نار السعير - ولم يزالوا به ساترين - وقد أصبحوا على أعداء الله ظاهرين - إلى أن وضعوه من الحصن بأعلى مكان - وأعلن المؤذنون للظهر بالأذان - وأجابهم من المسلمين الثقلان - أعنى الجن والبشر حتى الشجر والحجر والمدر - وكانت ساعة مشهودة - وفي مواسم الأيام معدودة - وليس الخبر كالعيان - ولا يقدر على تأدية وصف ذلك بديع بيان - ولما أدخل السنجق الشريف دخل معه كثير من العساكر - وجم غفير من القبائل والعشائر - واتخذوه من أحب المواطنين - واقتسموا منه المساكن - وذهب ما كان يضمه المشركون - فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون - وبرز الأمر الشريف بأخذ أسلحة الكفار - وإلباسهم شعار الذلة والصغار - فسلبوها بأسرها - وقُلَّها وكثُرَها - حتى أخذت منهم السكاكين - وصاروا بعد العز المكين - إلى ذل الخايف المستكين - وانتقل بعد بكاء العيون منهم إلى ضحك الأفواه - وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباعوا بغضب من الله - ولم يسع طاغيتهم من ذلك إلا إظهار الطاعة).أ.هـ. ومن عجيب المصادفات أن خلال هذه الأيام كان البابا أندريانوس الثاني يجري مراسم أعياد الميلاد في كنيسة سان بيترو في روما ، فتدحرجت حجارة سقطت من حافة سقف الكنيسة نحو قدميه ، فتشأم البابا ، وقال: (سقطت رودس)! وأما معركة موهاكس الخالدة في (21 من ذي القعدة 932هـ - 29 من أغسطس 1526م) ، فإن في تاريخ المسلمين معارك كانت من أيام الله الخالدة كاليرموك والقادسية وحطين وعين جالوت وملاد كرد والزلاقة وشانت يعقوب.....إلخ ، وكانت من تلك الأيام التي أنزل الله فيها النصر على جند الإيمان ، وقذف الرعب في قلوب جند حزب الشيطان ، يوم معركة (موهاكس) والتي هي من أشرس معارك المسلمين ، وأشد قهراً وذلماً في قلوب المشركين إلى يوم الناس هذا! وإنه ليوجد مثل شعبي في المجر ، يتناوله أهلها إذا حدث أمر سييء فيقولون: أسوأ من هزيمتنا بموهاكس! وبعض الكتاب سَمَى هذه المعركة بأنها المعركة التي أدخلت الرعب على أوروبا! يا لله! إلى هذا الحد!

فما تفاصيل تلك المعركة الخالدة؟ لقد ظهرت في هذه الفترة قوة مملكة إسبانيا بصورة رهيبة جداً ، يقودها رجل مشهور وذائع الصيت في أوروبا ، وهو شارل الخامس أو شارلكان ، وكان هذا الخبيث النجس حفيد إيزابيلا وفرديناندو الذين دخلا غرناطة عام 1492م ، وأسقطا الحكم الإسلامي في الأندلس إلى الأبد ، وقادا حملات محاكم التفتيش ضد المسلمين. وأما شارلكان أو شارل الخامس ، فاستطاع أن يبيسط نفوذه على إسبانيا والبرتغال وألمانيا والنمسا وهولندا ، وأسس إمبراطورية ضخمة وقوية جدا ، وكان يحاول أن يفرض سيطرته على المجر لتكون حاجزا له ضد الدولة العثمانية والمسلمين! فانتبه لذلك السلطان سليمان ، وعلم خطورة سيطرته على المجر ، وما يترتب عليها من أوضاع خطيرة للمسلمين في أوروبا الوسطى! وهنا ظهر جانب آخر وخيانة خلدها التاريخ لأحفاد بن سبأ الملاعين ، قادة الدولة الصفوية الرافضية الخبيثة! فلقد اتفقت الدولة الصفوية مع المجر ضد الدولة العثمانية ، وعندما علم السلطان سليمان بهذا الأمر استشاط غضباً ، وبدأ في التحرك لغزو المجر وضمها للدولة العثمانية الإسلامية ، وأراد أن تكون تلك المعركة شرسة وعنيفة ليلقن الأوروبيين درساً ، وخصوصاً شارلكان حتى يصرف أبصاره عن المسلمين! وبالفعل خرج السلطان سليمان القانوني من عاصمة الخلافة وحاضرة الدنيا إسلامبول "إسطنبول" في 11 رجب عام 932هـ - 23 إبريل 1526م ، على رأس جيش عرمرم من المجاهدين قوامه 100.000 مقاتل مزودين بـ 300 مدفع عثماني عملاق ، ومعهم 800 سفينة بحرية لتسهيل تحرك المسلمين بين الأنهار! ووصل السلطان إلى بلغراد المسلمة ومكث هناك يستقبل التهاني بعيد الفطر ، ثم تحرك رحمه الله حتى وصل إلى نهر طونة "الدانوب" وأمر بتشييد جسر يعبر عليه المسلمون ، وبالفعل تم تشييد الجسر في مدة زمنية قليلة ، وظل عبور الجيش الإسلامي عليه لمدة 4 أيام ، وهنا أمر السلطان سليمان أمراً عجيباً! وقد أمر السلطان سليمان رحمه الله بهدم الجسر! يقول صاحب كتاب (أخبار الدول وأثار الأول) معلقاً على هذا الأمر: "ثم أمر السلطان برفع الجسر فرفع ، فبقي المسلمون في بلاد الكفار ، وذلك لشهامته وقوة عزمته ، وقطع أطماع العسكر من الفرار إلى بلادهم" أ.هـ. وفي أثناء مسير السلطان سليمان رحمه الله افتتح عدة قلاع تقع على نهر الدانوب ، ولها أهمية حربية كبيرة ، ثم يواصل السلطان سليمان القانوني تقدمه حتى وصل إلى وادي موهاكس في 20 ذي القعدة عام 932هـ - 28 أغسطس عام 1526م ، وبات السلطان والجنود ليلتهم في الدعاء والتهليل والتكبير ، وتضرع السلطان سليمان إلى الله سبحانه وتعالى وسأله النصر - وكان يمر بين صفوف الجند فيخطب فيهم عن الجهاد وعن فضل الشهادة ، وفي اليوم الثاني ، وبعدما صلى السلطان صلاة الفجر ، دخل بين الجنود وحمسهم ، وكان مما قال لهم: وكأني برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إليكم الآن! فلم يتمالك أحد من الجند دموعه ، وبكى السلطان ، وأبكى كل من حضر. أما على الجانب الآخر ، عندما علم ملك المجر لايوش "لويس" الثاني بقدوم المسلمين إليه فأعد جيشاً جراراً ، واستعان بملوك أوروبا ، فأمدته ألمانيا بـ 38000 من خيرة الفرسان لديها ، فوصل عدد جيوش الكفار إلى 200.000 ألف مقاتل. وبات الكفار ليلتهم في سهل موهاكس ، ومعهم القساوسة والرهبان ، يحثونهم على قتال المسلمين ، وأتوا بالصلبان يرفعونها أمام الجند. وعند الصباح صُفّت الصفوف وبرز الشجعان ، وكان السلطان سليمان قد وضع خطة مع أركان الجيش وهي: أن يصطف جيش المسلمين في ثلاثة صفوف ، وأن يكون السلطان ومن معه من الإنكشارية في الصف الثالث ، ومن ورائهم مدافع المسلمين ، حتى إذا بدأ القتال يتقهقر الصفوف الأولى من المسلمين ،

ويتراجعوا خلف السلطان ومن معه من الإنكشارية ، وبالتالي سيفسح المجال للمدافع أن تحصد الكافرين حصداً! وبالفعل التزم المسلمون بالخطة ، وظل المسلمون واقفين في أرض المعركة على الهيئة التي أمرهم بها السلطان وقادة الجيش ، وطال انتظار الفريقين ، حتى بدأ الملك لويس الثاني في الانقضااض على المسلمين وقت العصر. وبدأ القتال ، والله كان القتال في شدته وضرارته يشبه معاركنا الحديثة في شدتها وضرارته مع اختلاف نوع السلاح المستخدم! والتزم المسلمون بالخطة وتراجعوا إلى الوراء ، فسارع الكفار خلفهم وظنوا أن النصر سيكون حليفهم ، وتقدم الكفار حتى وصلوا إلى المكان الذي يقف فيه السلطان ، وحاولوا قتل السلطان وبالفعل أصابوه في صدره بسهم ، إلا أن السهم لم ينفذ إلى صدره والله الحمد ، والتحم الفريقان ، وذهب ثلاثة من شجعان المجر إلى السلطان سليمان ، إلا أنه قتلهم والله الحمد ، وكان مشهوراً بالشجاعة رحمه الله. وهنا أعطى السلطان الأمر بإطلاق المدافع! وإلى الآن يروي المؤرخون الأوروبيون هذه المعركة بشيء من الذهول ، وعندما يصلون إلى هذه النقطة يصيبهم الدهشة والعجب! يروى أن مدافع المسلمين أطلقت بسرعة ومهارة فائقة للغاية ، وكأن المسلمين استعانوا بالجن في هذا الأمر ، ولا عجب أن يكون هذا حال من استعان بالله واستمد قوته من الله! فكان إطلاق المدافع بصورة سريعة جداً وبدقة كبيرة ، مما أصاب الجيش المجري بحالة من الذهول والهلع والرعب ، فولوا أذبارهم ، والمسلمون وراءهم يركبون أذناهم ويعملون سيوفهم فيهم كما أرادوا. وفرّ المجرىون المعروفون ببسالتهم وضرارتهم أمام طلقات المسلمين وسيوفهم ، وفرّ ملكهم لويس الثاني ، بل إنه غرق أثناء فراره ومات! وانتصر المسلمون انتصاراً لم يُسمع بمثله في أقطار الدنيا ، وكان نصراً مؤزراً والله الحمد والمنة. والعجيب أن مدة المعركة كانت ساعة ونصف فقط! وكان عدد قتلى المسلمين لم يتجاوز 150 شهيد ، نحسبهم كذلك عند الله. وعدد ما أسر المسلمون من الكفار 25000 ، والباقي 175000 من الجنود ما بين قتيل وجريح! وبعد هذه المعركة أصبح الجيش المجري في ذمة التاريخ ، وسقطت إمبراطورية المجر التي دامت قرابة 6 قرون (سنة 637) ، وانتفضت النصرانية من أقصاها إلى أقصاها. وكانت هذه المعركة هي أسوأ هزيمة للنصارى في أوروبا قاطبةً بعد سقوط القسطنطينية وهزيمتهم في وبوليس أيام بايزيد الأول. وصلى السلطان صلاة المغرب مع الجنود في أرض المعركة ، ثم واصل مسيره إلى عاصمة المجر وهي مدينة "بودا" فدخلها بدون أي مقاومة تذكر في 3 من ذي الحجة 932هـ - 10 من سبتمبر 1526م ، ومكث فيها 13 يوماً ، واستقبل التهاني بعيد الأضحى المبارك في سراي الملك هناك ، فكان العيد عيدين ، عيد فتح المجر وعيد الأضحى ، فله الحمد والمنة. وبعد هذه المعركة تبدلت حسابات أوروبا ، وتغيرت خريطة المنطقة ، وما اجترأ أحد من نصارى أوروبا أن يقوم بأي عمل ضد المسلمين بعد هذه المعركة الفاصلة في تاريخ أوروبا. ولقد جاهد السلطان سليمان ضد الروافض والدولة الصفوية ، وقاد ثلاث حملات حربية ضخمة ضدهم. أولئك المجرمون الذين ارتكبوا المجازر في أهل السنة في فارس والعراق! ويوجد مثل دارج في أوروبا أيامها: (لولا الشاه لوصل العثمانيون إلى الراين. بمعنى لولا تعاون الروافض في الدولة الصفوية مع الصليبيين النصارى بأوروبا ، لاستطاع المسلمون العثمانيون أن يصلوا إلى نهر الراين في ألمانيا ، ولأستطاع المسلمون اجتياح أوروبا الغربية كلها ، ولربما أعادوا الأندلس مرة أخرى! وقد أفتى علماء الدولة العثمانية بضرورة قتال الروافض ، وبالفعل خرج السلطان سليمان القانوني على رأس حملة عسكرية من المجاهدين لقتال الروافض من الدولة

الصفوية. وكان أول الحملات عام 941هـ ، واستطاع ان يدخل العراق فاتحاً ، ودخل بغداد وطرد منها الروافض ، وأسقط مذهب الخبيث ، ونفى علماؤهم وطهر بغداد من آثارهم ، واتجه إلى قبر الإمام أبي حنيفة ، فغضب علي ما رآه هناك من النجاسات ، فأمر بتطهير التربة وبنى فوقها قبة! ثم كانت حملته الثانية عام 955هـ ، والتي استطاع أن يهزم الروافض ، ودخل عاصمة ملكهم "تبريز" ، وفرّ شاه طاهم سب من أمامه وتوغل في بلاد أذربيجان ، فلم يستطع السلطان سليمان أن يتعبه لوعورة الطريق ولتساقط الثلج واكتفى بدخول عاصمة الدولة الصفوية. وكانت الحملة الثالثة والأخيرة عام 962هـ ، واستطاع أن يخلص أذربيجان وإقليم القفقاس "القوقاز" وشرق الأناضول من الروافض نهائياً ، وبهذه الحملات استطاع أن يدرأ عن المسلمين خطورة النفوذ الشيعي تحت زعامة الدولة الصفوية الرافضية النجسة. ولقد دخل المسلمون إقليم أذربيجان وخلصوه من الروافض. إنه لولا أن منّ الله علينا نحن المسلمين بهذا السلطان الجليل لتغلغل المد الشيعي في الدولة العثمانية بأكملها ، ولدخل الروافض مصر والشام مرة أخرى. وكذلك معركة "بروزة" البحرية الخالدة في (4 جمادى الأولى 945هـ - 28 سبتمبر 1538م) فاتحة خير على المسلمين! ونحن قليلا ما نسمع عن المعارك البحرية الإسلامية ، ولا نتذكر إلا معركة ذات الصواري أو معارك المسلمين في العصور الأولى! ولقد أولى المسلمين عناية فائقة بصناعة السفن وبناء أسطول إسلامي قوي لصد هجمات النصارى في البحر المتوسط ، ولصد هجمات الفايكنج أو المجوس كما كان يسميهم المسلمون في الأندلس. وكانت الدولة العثمانية تهتم جدا ببناء قوة بحرية عسكرية ضخمة لصد هجمات النصارى في البحر المتوسط. فاهتم السلطان سليمان القانوني بالبحرية الإسلامية ، وأولى قيادتها لرجل من المجاهدين ، فهو بذلك أفضل من جاهد في البحر من المسلمين في التاريخ الإسلامي! ترى هل يعلم المسلمون عنه شيئا؟! هل سمع المسلمون عن المجاهد البطل المسلم (خير الدين بربروس)؟! نعم هو خير الدين بربروس ، وأطلق عليه الأوروبيون لقب (باربروسا) أي "ذو اللحية الحمراء" ، وكان هذا البطل وبالا على النصارى في العالم كله قاطبةً ، حتى إن سكان السواحل الأوروبية في إيطاليا أو إسبانيا عندما يريدون إسكات أطفالهم يقولون: اسكت وإلا جننا لك ببربروسا خير الدين! كان ذعرا للنصارى على السواحل المطلة على البحر المتوسط . ويصفه الأوروبيون بالقرصان! وُلد خير الدين بربروس رحمه الله في جزيرة لسبوس باليونان المسلمة عام 857هـ ، ونشأ خير الدين على البحرية وشارك مع أخيه في قيادة سفن المجاهدين المتطوعين لصد هجمات الأسبان عن الجزائر والمغرب وإنقاذ مسلمي الأندلس من الهلاك. وذاع صيت "عُرّوج" أخو خير الدين وكان مصدر قلق للنصارى في البحر المتوسط ولنصارى جزيرة رودس - وفي أحد المعارك قُتل "عُرّوج" في أحد معاركه ضد الأسبان الصليبيين عام 924هـ ، عن عمر يناهز الخمسين سنة! واحتل الأسبان مدينة تلمسان بالجزائر ، وتولى خير الدين رحمه الله قيادة أسطول المجاهدين واستبشر المسلمون به خيراً. وقاد حملات حربية رائعة ضد النصارى على السواحل الأسبانية والإيطالية ، وحرر مدينة تونس وتلمسان وغيرها من مدن السواحل الإسلامية التي احتلها النصارى! وفي عام 925هـ استطاع خير الدين بربروس أن ينتقم لأخيه من الأسبان انتقاماً بالغاً دمر فيه سفن النصارى ، وأسر منهم عدداً أمام سواحل الجزائر ، وفي عام 935هـ استطاع خير الدين بربروس أن يدمر معقل الصخرة بالجزائر وحاميته الأسبانية ، وفي عام 936هـ انتصر خير الدين على الأسبان أمام جزر البليثار ، وفي عام 937هـ استطاع أن يهزم النصارى بقيادة



قائدهم المغوار أندريا دوريا هزيمة ساحقة في شرشال. وكان خير الدين رحمه الله كلما خرج من معركة دخل معركة أخرى مع النصارى ، وفي إحدى معاركه لصد هجمات الأسبان على الجزائر قال: (إن من كان يؤمن بالله ورسوله ، ويريد الجنة في الآخرة ، فعليه أن ينضم إلى جيشه بكل سرعة ، وذلك لمهاجمة وهران والمرسى الكبير). وأصبح خير الدين بربروس مصدر رعب وهلع للنصارى على السواحل ، حتى إن خير الدين رحمه الله أخذ 36 سفينة فقط ، واتجه بها إلى الساحل الغربي للأندلس ، ولم تستطع الأساطيل الأسبانية أو أي أسطول نصراني آخر أن يتدخل خوفاً من خير الدين رحمه الله. واستطاع خير الدين بربروس أن ينقذ 70.000 من مسلمي الأندلس الذين نزل عليهم جام غضب شارلكان بعد خسائره أمام خير الدين بربروس وسليمان القانوني في موهاكس! وكان خير الدين يكمن في السواحل الغربية للسفن القادمة من الأمريكتين محملة بالذهب والأموال ، فكان يتصدى لها ويأخذ كل ما فيها من ذهب وأموال ويعطيها للمسلمين حتى تقوى بها شوكتهم ضد الأسبان. وهنا جن جنون النصارى ، وحتى البابا بولس الثالث في روما! وسموا أعمال خير الدين بربروس بالقرصنة. وللأسف الشديد مازالت الكتابات عن خير الدين بربروس تصفه بالقرصان خير الدين ، حتى المؤلفين من العرب والمسلمين مازالوا يسمون خير الدين بالقرصان ولا حول ولا قوة الا بالله. وهنا انتهز السلطان سليمان الفرصة وكتب لخير الدين يستدعيه بصفته خليفة المسلمين. فأتجهت أنظار الدولة العثمانية إلى جهاد هذا البطل ، وأرادت أن تكافئه وأن تعينه رسمياً ضمن أسطولها البحري ، ليصعب جهاده ضد النصارى صبغة رسمية وشرعية ، وحتى يعلم الجميع أن الدولة العثمانية هي حامية الدول الإسلامية في أي مكان ، حتى ولو لم تكن تتبع السيادة العثمانية. وأكبر دليل على هذا ما فعله السلطان سليمان من إرسال أسطول بحري بقيادة سليمان باشا إلى الهند لصد هجمات البرتغاليين ، وأرسل كذلك أسطوله إلى البحر الأحمر وعدن لصد هجمات البرتغاليين الذين زاد خطرهم جداً. وفي عام 939هـ - 1533م عين السلطان سليمان القانوني المجاهد البطل خير الدين بربروس أميراً للبحر أو قيودان البحر بمعنى أنه أصبح منذ الآن قائد عام الأسطول الإسلامي. واستقبل السلطان سليمان القانوني في إسطنبول خير الدين بربروس استقبال الملوك وكان فرحاً جداً بقدومه. نزل هذا الخبر على النصارى في أوروبا كالصاعقة وذهل أمراء أوروبا وجن جنونهم ولو رأيتهم كأنهم سكارى وما هم بسكارى! وهنا قام خير الدين بربروس بأعباء المنصب الجديد كوزير البحرية وقائد عام الأسطول الإسلامي العثماني ، فظل في جهاده في البحر المتوسط حتى فرض سيطرة المسلمين تماماً من أول إسبانيا إلى البلقان ، ولم يكن في البحر المتوسط كله أي قوة بحرية تضاهي قوة المسلمين ، إلا قوة هذا القائد النصراني الصليبي الخبيث الشهير جدا في أوروبا ألا وهو (أندريا دوريا) الذي ذاق طعم الذل على يدي خير الدين رحمه الله. وهنا انتفض البابا بولس الثالث في روما وعلم خطورة هذا البطل المجاهد. وأصبح خطراً يهدد النصارى في البحر كما أن السلطان سليمان صار خطراً يهدد النصارى على البر. فاجتمع البابا بولس الثالث مع ملوك وأمراء أوروبا ، وأعلن حرباً صليبية جديدة. ولكن هذه المرة الحرب الصليبية لن تكون على البر ضد السلطان سليمان ، لأنهم بعد خسارتهم في موهاكس ما تجرؤوا أن يعلنوا الحرب على المسلمين لحين من الدهر. إنما الحرب الصليبية ضد قوة المسلمين البحرية: ضد خير الدين بربروس ، ورفع الصليب واجتمع الأمراء ووافقوا على الحرب. ففي عام 945هـ اجتمع على المسلمين في البحر أكثر من 600 سفينة حربية للنصارى من كافة دول أوروبا ومدنها

(أسبانيا - النمسا - البندقية - جنوة - فرسان القديس يوحنا) عليها 60.000 صليبي ، ويقود الأسطول القائد النجس الصليبي الملعون أندريا دوريا. وكان عدد أسطول المسلمين 122 سفينة فقط عليها 20.000 ألف مسلم! يقودهم خير الدين بربروس رحمه الله ، وفي يوم 4 جمادى الأولى 945هـ - 28 سبتمبر 1538، وأمام سواحل مدينة "بروزة" أو "بريفيزا" غربي اليونان - دارت أعنف معارك المسلمين البحرية. هذه المعركة إلى الآن يتذكرها النصارى في أوروبا بالألم والحسرة والضيق. والتقى الفريقان ، ووضع خير الدين بربروس خطة حربية رائعة كالعادة ، وبدأت المعركة وحمي الوطيس واحتترقت السفن وارتفع دخان المدافع إلى عنان السماء. ووضع خير الدين بربروس أسطوله على شكل هلال ، وعيّن على رأس جناحه الأيمن القائد المجاهد صالح رئيس. وعلى رأس جناحه الأيسر سيدي علي رئيس. وقاد خير الدين الجناح الأيسر بنفسه ، وأمر القائد الفذ المجاهد طورغود بأن يقود احتياطي الأسطول ويبقى في الخلف. واستعمل خير الدين بربروس عنصر المباغته ، ولم يكن أسطول الصليبيين مستعدًا ؛ مما أدى إلى اختلال نظامه ؛ فما لبث أن تفرق ، وهرب قائده أندريا دوريا نجا بحياته. ولم تستمر المعركة أكثر من خمس ساعات تمكّن في نهايتها "خير الدين" من حسم المعركة لصالحه ، وصارت العزة والسيادة للعثمانيين في البحر المتوسط. وانتهت المعركة: معركة بروزة "بريفيزا" البحرية بالانتصار الساحق للمسلمين وهزيمة مخزية للمشاركين فله الحمد والمنة. واستولى المسلمون على أكثر من 36 سفينة وأسروا حوالي 3000 أسير ، وغرق واحترق للكفار 123 سفينة! نزل خبر انتصار المسلمين على النصارى في روما وأوروبا كالصاعقة على مسامعهم ، فأخرسوا من هول الخبر! وبهذا الانتصار فرضت الدولة العثمانية قوتها وسيطرتها على كل البحر المتوسط ، ولم ينازعها أحد والله الحمد والمنة. ولقد استطاع السلطان سليمان القانوني في خلال 48 سنة أن يبسط نفوذ المسلمين من بغداد شرقاً إلى فيينا غرباً ، ومن موسكو شمالاً إلى بلاد إفريقيا جنوباً ، وكانت ملوك أوروبا وأمرؤها تدفع الجزية عن يد وهم صاغرون. وواصل السلطان سليمان رحمه الله جهاده ضد النصارى ، حتى وصلت جيوش المسلمين إلى أسوار فيينا مرتين ، ولم يقدر الله الفتح ، إما لتساقط الثلوج وطوال مدة الحصار ، وإما لتعاون الرافضة واستغلال توغل المسلمين في غرب أوروبا فيعبثون في مناطق الأناضول والقوقاز ويحاولون نشر المذهب الرافضي الخبيث. ولكن هيهات هيهات فقد كان السلطان سليمان رحمه الله سداً منيعاً ضد أطماع الروافض في الشام ومصر والأناضول وضد أطماع الصليبيين في القسطنطينية وشرق أوروبا. ووصلت الدولة في عهده أقصى اتساع ، لها ولم تصل حركة الفتوحات الإسلامية أقصى من ذلك ، ووصلت من هيبة السلطان سليمان أن بعث إليه ملك فرنسا يستجديه ويرجوه أن يساعده ضد هجمات شاركان على موانئ فرنسا ، فأجابه السلطان سليمان وبعث إليه خير الدين بربروس في سفن حربية حتى استعاد له الميناء المحتل! وكان السلطان سليمان مشهوراً ببناء المدارس ، وكذلك رمم السلطان سليمان رحمه الله سور القدس القديم الموجود إلى الآن ، وهو صاحب العين الموجودة بعرفة لخدمة الحجيج ، وكانت له نفقات على أهل الحرمين وكانت مادة حياة أهل الحرمين من تلك الأموال فجراه الله خيراً ، وبنى بمكة أربع مدارس لتعليم علوم الدين ، وكذلك بنى في دمشق المدرسة والتكية السليمانية وما زالت موجودة تعرف باسم (التكية السليمانية). وأمر بتشييد القلاع في طريق الحج لحماية المسلمين. واهتمامه بالعمران والجمال كان السبب الذي جعل إسطنبول أو الأستانة عاصمة الخلافة وحاضرة الدنيا ولم يكن لها في الدنيا نظير.

وأُنقل وصف إسطنبول في عهد السلطان سليمان من وصف عبد الرحيم العباسي الذي شاهد السلطان سليمان وعاش في إسطنبول - يقول رحمه الله: (ذات المحل الأرفع والمقام الأسمى - مدينة العلم وقرارة الحلم - ومحط الرجال - ومنتهى الترحال - وكعبة الكرم - وقبله النعم - ومعدن الفخار - وموطن السنن والآثار - ومنبع الإقبال - ومربع الآمال - ومنتهى المطالب - ومشتهى القاصد والطالب - مظهر شمس السيادة - ومقر السعادة - آيات محاسنها لم تنزل بألسن السُّمار مملوءة - وعرائس بدائعها لم تبرح على أعين النظر مجلوة - أجل ما فُتح من البلاد - وأعظم ما استخلصته يد الصلاح من الفساد - كم حَظبها عظيم من ملوك الزمان وأمهرها مواضي المشرفية وعوالي المُرَّان - وهي أشد ما يكون إباء - وأوفى ما يتصور منعة واستعصاء - إلى أن قصدها من أدخر له ذلك الفتح - في خبر طويل الشرح - وهو المرحوم السعيد الشهيد السلطان محمد خان بن مراد خان بن عثمان - بؤأة الله عُرف الجنان - بمزيد من العفو والغفران - فذلت له صعابها - وخضعت لعزته رقابها - ولان جماعها - وتسنى انفتاحها - وأعلن فيها بالتهليل والتكبير - وصُرح بالصلاة على البشير النذير - واعتدلت بعد انحنائها قامات المناير - وارتفعت بعد خفضها درجات المناير - وأخرست النواقيس - ونُطق بالتأدين على رغم أنف إبليس - وخُطت المساجد والمدارس - ومَعرت بأوقات الخيرات بعد ما كانت دوارس - ونُطقت خطباء الإسلام - فسكتت القساوسة اللثام - ونُصّب الدين المحمدي بها خيامه - ورفع الشرع الأحمدي على قُللها أعلامه - وبُذلت من الإنجيل بالقرآن - وعُوّضت من الرهبان بعلماء الإيمان - فأصبحت شمس الدين بأفاقها مشرقة - وسحب اليقين بروضاتها مغدقة. ولعمري إنها لمدينة العمران - والمشار إليها دون سائر البلدان - إذ هي تحت الملك الأعظم - ومقر المجد المعظم وموفد الوفود - ومنبع الكرم والجود - وبها العمارات العظيمة - ذوات الصدقات الجسيمة - والمبرّات العميمة - والقصور المنيفة - والمنتزهات اللطيفة - والرياض النضرة - والمروج الخضرة - فهي نزهة النفوس - ومسرة العيوس - وبهجة الخواطر - وفرة النواظر - وبها من الآثار العجيبة - والأبينة الغريبة - ما تذهل له الأبواب - ويستولي عليها منه العجب العجاب - وبها من الأئمة الأعلام - وقضاة الإسلام - ما يتحمل به الزمان - ويفتخر بمجده العصر والأوان - إذ كلّ منهم علامة العصر - وفرد الدهر - وعالم الوقت - والميراث من الشين والمقت - وبحر العلوم - ومالك أزمة المنطوق والمفهوم - ونُعمان (أبو حنيفة) زمانه - وأبو يوسف (أبو يوسف القاضي) أوانه - وكنز الطالبين - وهداية الراغبين - ومختار الحق - واختيار الغرب والشرق - ومجمع الفضائل - ونُقاية الأمائل - وصدر الشريعة - ذو الفنون البديعة - دام فخرهم - وسما قدرهم - ولا يرح نير سُدْهم مشرقاً في الأكوان - والانتفاع ببركتهم - وبركة علومهم دائماً مدى الأزمان - فكل فرد منهم نير قطرها الأعظم - ورئيس مجدها المكرم - تفتخر به على سائر الأمصار - وتسمو به عصره على غابر الأعصار - فهي الآن مصر الدنيا - والمنفردة بالمرتبة العليا - جعلها الله دار الإسلام والإيمان - ومحل الأمانة والأمان - ومقر الدولة والسلطان) أ.هـ. وفي يوم من الأيام ظهر فن الرقص في فرنسا في زمن السلطان سليمان القانوني - وكانت فرنسا حليفة للدولة العثمانية وكان المسلمون يطلقون عليها (ولاية فرنسا) وكأنها تابعة للمسلمين. انزعج السلطان سليمان القانوني جداً من ظهور هذا المجون والفسق - فتدخل السلطان سليمان في شؤون فرنسا الداخلية كما يُقال - وأوقف هذا المجون خشية أن ينتشر في بلاد المسلمين! والآن أسرد ما قاله رئيس اللجنة الأوروبية عام 1923م عند سقوط الخلافة الإسلامية في تركيا - وتكريم أول مسلمة في مسابقة ملكة جمال

العالم والذي روج لها العلمانيون في تركيا - وكانت الفتاة المتقدمة للمسابقة هي "كريمان خالص". يقول رئيس اللجنة الأوربية فرحاً بهذه المناسبة - وانظروا إلى الحقد الدفين: "أيها السادة ، أعضاء اللجنة ، إن أوروبا كلها تحتفل اليوم بانتصار النصرانية ، لقد انتهى الإسلام الذي ظل يسيطر على العالم منذ 1400م ، إن "كريمان خالص" ملكة جمال تركيا تمثل أمامنا المرأة المسلمة. ها هي "كريمان خالص" حفيدة المرأة المسلمة المحافظة تخرج الآن أمامنا "بالمايوه" ، ولا بد لنا من الاعتراف بأن هذه الفتاة هي تاج انتصارنا. ذات يوم من أيام التاريخ انزعج السلطان العثماني "سليمان القانوني" من فن الرقص الذي ظهر في فرنسا ، عندما جاورت الدولة العثمانية حدود فرنسا ، فدخل لإيقافه خشية أن يسري في بلاده ، ها هي حفيدة السلطان المسلم ، تقف بيننا ، ولا ترتدي غير "المايوه" ، وتطلب منا أن نَعْجب بها ، ونحن نعلن لها بالتالي: إننا أعجبنا بها مع كل تمنياتنا بأن يكون مستقبل الفتيات المسلمات يسير حسب ما نريد! فلترفع الأقداح تكريماً لانتصار أوربا". أهـ. ونقلا عن مقال لأميمة بنت أحمد الجلاهمي في موقع إسلام واي ، وهذا مختصر رسالة السلطان سليمان القانوني إلى قاضي بروصة بعد انتصار المسلمين في رودس: "منذ بداية تسلطنا للسلطة ونحن ساترون على إعلاء ونصرة هذا الدين بتوفيق من الله تعالى - وجعل همنا واهتمامنا رفع أعلام هذا الدين لقلع وقمع آثار الكفر والظالمين - وسيرا على هذه العادة الحسنة - والسنة المرضية - صدرت أوامرنا بضرورة استخلاص قلعة رودس من أيدي الكفرة - وقد أعدنا أسباب القتال - والرجال الأبطال - والسفن والمراكب - وقد أرسلنا وزيرنا مصطفى باشا لإنجاز هذه الغاية - كما شاركنا شخصيا في هذه الحملة من القسطنطينية المحروسة إلى إسكودار. وكان أهالي رودس يقطعون طريق المسافرين بالبحر - ويسفكون دماء التجار - وذلك منذ أن سكنوا الجزيرة وحتى هذا الوقت - ورودس جزيرة في غاية المتانة - وأسوارها طويلة وعريضة - وخذقها عميق. وفي اليوم الثالث من ذي القعدة سنة 928هـ تم إطلاق قذائف كالمطر وهجمت العساكر المنصورة على الأسوار. ولم يتصور أن يستسلم أحد من الكفار - ولكن بتوفيق من الله تعالى زادت عساكرنا من تخريب قلاعهم يوماً بعد يوم. ثم قامت عساكر الإسلام المظفرة بتطهير قلعة رودس المنيفة من دنس أهل الكفر ، وتحولت معابد الأصنام والأوثان إلى مساجد لأهل الإيمان - وأضحت معابر بيت الله الحرم آمنة من عبث الكفرة الفجرة - وبالإضافة إلى القلعة المزبورة فقد فتحت أيضا كل من إستانكوي - وتخته لو - وبوردوم - وغيرها من القلاع التي بلغ مجموعها 11 قلعة - وشملت كذلك كافة الجزر والأراضي وتوابعها - وأضيفت إلى الممالك المحروسة - والحمد لله الذي يسر لي ما لم يبسر لغيري". أهـ. وإن كنت أنسى فلسئت أنسى كلمة السلطان سليمان القانوني - رحمه الله تعالى - عندما منّ الله تعالى عليه بفتح الأسوار الأوربية ، فقال: الآن طاب الموت! تلك الكلمة التي أجعلها عنواناً لهذه القصيدة في تأبين السلطان ، وردّ شئ من جميله علينا! وهو الذي أوصى بأن يوضع معه في قبره صندوق صغير. فأخذ العلماء يسألون: ماذا بداخل الصندوق؟ فإذا به القوانين التي استفتى فيها كبار العلماء والفقهاء وكلها مستقاة من الشريعة الإسلامية. فعندئذ بكى مفتي الدولة العثمانية آنذاك أبو السعود الأفندي رحمه الله وقال: لقد أعذرت إلى ربك أيها السلطان وبقيت التبعة والمسؤولية علينا! ولقد أوصى السلطان بأن يخرجوا يده من النعش ليراها الناس ، حتى يوقنوا ويدركوا أن الإنسان لا يأخذ من هذه الدنيا شيئاً لآخرته ، سوى عمله الصالح وتقواه لرب العالمين! أيها السلطان المحترم ، لقد أنشدت هذه القصيدة بعد تتبعي أثارك وسيرتك! وبعد

أن استيقنت أنك برئ من كل الدعاوى الباطلة ها أنذا أبين لك حقيقة الموت والدينا معا! وأعلم أنك إلى دار الحق سبقتنا ، ونحن إن شاء الله بك لاحقون! وكم كنت أتمنى أن أعيش في زمانك أيها السلطان العظيم! إذن لوجدت منك ما تقر به عيني ، ولوجدت مني ما تقر به عينك! وأشهد الله أننا على الخير الذي كنت عليه سائرون ، نرجو رحمة ربنا ونخشى عذابه! يقول الله في كتابه: (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ). ويقول: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ). ويقول: (أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا). ويقول: (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَامِلِينَ). هذا ، ويقول الأستاذ عبد الملك القاسم في كتابه: (الدينا ظل زائل) ما نصه: (إن رب الأرباب ومسبب الأسباب جعل الآخرة: دار الثواب والعقاب ، والدينا: دار التحمل والاضطراب والتشمر والاكنتساب ، وليس التشمر في الدينا مقصوراً على المعاد دون المعاش ، بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه ، فالدينا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها. قال يحيى بن معاذ: يا ابن آدم طلبت الدينا طلب من لا بد له منها ، وطلبت الآخرة طلب من لا حاجة له بها ، والدينا قد كفتها وإن لم تطلبها ، والآخرة بالطلب منك تنالها ، فاعقل شأنك).هـ. نقول ذلك عن السلطان وقومه العثمانيين إبراءً للذمة وانتصاراً للحق وأهله ، في زمان ضاعت فيه معالم الحق! وفي فترة من فترات التاريخ عصبية ، قل خيرها وكثر بلاؤها وشرها! في عهد يخون فيه الأمين ويؤتمن الخائن ، ويصدق فيه الكاذب ويكذب فيه الصادق! نقول ذلك لأن كثيراً من الناس وعلى رأسهم المغرضون من المستشرقين الخبثاء والمؤرخين الجهلاء ، لا يكادون يذكرون للباشا العثماني وللسلطان العثماني إلا الضرائب التي فرضها على الشعب والظلم الذي باشره على بعض الناس! أما المعارك التي انتصرت لمجد الإسلام ، وأما المحافظة على خلافة الإسلام على ما كان يعثورها من طوام ، أما الهيبة والعزة التي اتصفت بها ديار الإسلام في عهد العثمانيين الأبطال الأشاوس ، أما المواقف النبيلة في الداخل والخارج تلك التي وقفها سلاطين آل عثمان! فلا يكاد الكثير من المؤرخين ولا المستشرقين يعترف بشي منه ويدونه في كتاباته أو محاضراته! والحمد لله أن كفانا الله بالدكتور المؤرخ (علي الصلابي) وغيره ممن دافعوا عن العثمانيين في عصرنا الحديث! وقصيدتي هذه في الدفاع عنهم أسطرها الله أولاً وآخرأ ، ثم للتاريخ في الانتصار للسلطان العظيم سليمان القانوني ، ولا أزكيه على الله! ولو كانت في زمان المعلقات لكانت معلقة! ولو كانت في زمان شوقي وحافظ لتبوات مكانها بين أشعار العرب في العصر الحديث! ولكن هذا قدرتي وهذا نصيبي! لقد كان شوقي يكتب القصيدة ولم يجف عنها حبرها ولم يعد قراءتها على حد تعبير الدكتور أحمد الحوفي ، حتى يلقى شوقي على الجماهير الغفيرة ، في قرطاج أو دمشق أو بغداد أو في بيروت أو في طرابلس! إذ تحمله طائرة خاصة إلى هناك! في زمان يعلم الله هل كان عدد الطائرات الخاصة يتجاوز أصابع اليدين أم لا! وذلك من فضل الله على شوقي ولا شك! ونشهد أن الرجل شاعر متمكن عبقرى وفي بعض أشعاره جودة وحمية وغيره على الإسلام وخاصة العثمانيين وكأن الرجل ابن من أبناء أحد السلاطين العثمانيين! إن كل شاعر له ظروف تصنعه بقدر من الله وله أدوات وأسباب توجه شعره نحو

وجهة هو موليتها! وأعتذر عن طول المقدمة! ولنطالع الملحمة السلিমانية القانونية العثمانية  
في تأبين السلطان سلیمان القانوني - رحمه الله رحمة واسعة وتجاوز عن سيئاته وذنوبه -!

ويسـ تنيف إذا أطرى (سـلیمانا)  
بها يرَجع أنغاماً وألحاناً  
حتى يكون نسيج الشعر مُزداناً  
حتى يبيت - بما يتلوهُ - هيماناً  
في كل مكرمةٍ من (أل عثماننا)!  
وسَـطروا - في مراقبي - العز ديواناً  
وأشعلوا - في ديار الكفر - نيراناً  
فلم ير الخلق - من أهليه - عدواناً  
من جيله الفذ إمافاق أقراننا؟  
وكان - في حرب أهل الشرك - دُهقاناً  
من القذائف لا ، لم تُبق بلداناً  
وكم أزالوا - عن الشعوب - طغياناً!  
طيف اختيار مليك الناس دياناً  
حتى وجدنا بدار السلم أدياناً  
وإن - في الفتح للأنام - فرقاناً  
على اتباع هدى - بالطوع - ما كاناً!  
والجنذ باتوا - على التحقيق - عُقباناً  
وَيُمعن - الدهر - في التخطيط إمعاناً  
ما أعذب النصح إسراراً وإعلاناً!  
بل استشار غطاريفاً وإخواناً

يسمو القريضُ مقاماتٍ وتبياناً  
ويسـ تاذ برناتٍ ودندناتٍ  
وللقوافي أغاريـذٌ تُزخرُفها  
ورقعة النص تسبي روح قارئها  
فكم يطيبُ له ذكرُ الذين سموا  
حازوا من المجد بين الناس ذروتَهُ  
وأحرزوا النصر في ساحات خذمةٍ  
وألزموا الظلم حـداً لا يُجاوزهُ  
هذا (سـلیمان) من في الخير ضارعةٍ  
مجاهدٌ لم تكن تعيـا عزيمةهُ  
وللمدافع - في خميسه - حصصٌ  
والجنذُ كم فتحوا بالحرب من دول!  
وأصبح الناس أحراراً يُسامرهم  
أو البقاء على ما دان أغلبهم  
وزال قيـذٌ وسـجانٌ وملهبية  
إذ ليس يُكره هذا الدين من أحدٍ  
والقائد الفذ قد طابت قيادته  
ليث هصورٌ ، له في الحرب صولته  
وعاش ينصح في سر وفي علن  
وما استبد برأي في ولايته

وقِـادِ دَوْلَتِه بِالشُّـرْعِ مَقْتَفِيـاً  
وَسَاسَ بِالرُّشْدِ وَالتَّقْوَى رَعِيـتَهُ  
وَكَانَ يَبْدَأُ بِاسْمِ اللّهِ خُطْبَتِه  
وَما تَعْنَتَ فِي الأحْكامِ يُصَدِّرها  
وَما اسْتَكَانَ لِأَعْدائِهِ لِقَوَّتِهِمْ  
وَلَقِنَ الكُفْرَ دَرَساً لا يُبَارِحُهُ  
هَذَا (سَليمان) ، وَالبِنَاءُ يَعْرِفُهُ  
وَعمَرَ الأَرْضَ أَعْلَاهَا وَأوسَطَها  
فَكَمَ مَدارسَ فِي الأَصْقالِ شَيَدَها!  
وَكمَ مَساجِدَ فِي الدِّيارِ أَنشأَها!  
بَنى الحَضارَاتِ ، وَالتَّاريخَ مَجَدَهُ  
وَكمَ بِيوتَ لِقَوْمِ مُعَدِمِينَ بَنى!  
سَلِّ الصَّهاريجَ مَنَ أَعلى قَوائِمَها؟  
سَلِّ القَنَاطِرَ مَنَ بِالماءِ أترعَها؟  
(سِنانُ باشا) لَهُ فِي الصُّنْعِ هِندِسةُ  
مُنَمِّماتٍ لَها سَبَبُكَ يُزخرفُها  
هَذَا (سَليمان) صاغَ الشُّعْرَ مُرتَجِلاً  
وَضَمَّنَ الشُّعْرَ آيَاتٍ يُرتلُها  
مَنَ عاصِرُوهُ رَوَّوا أَعلى قِصائِدِهِ  
وَجالَسَ العُلَماءَ النَّاصِحِينَ لَهُ  
وَخالَطَ الفُقهاءَ المُخالِصِينَ ، وَلمَ  
وَسامَرَ الأَدبِيا شُوقاً لَمَّا حَذَقوا

أَثارَ مَن رَحَلوا ، حَباباً وَإيماناً  
وَلمَ يَكُن مَسْتَرِيبَ القَلبِ خِواناً  
مَرَدداً: إِنْ هَذَا مَن (سَليمانا!)  
بَلْ كانَ يَنصِبُ لِالأَحْكامِ مِيزاناً  
بَلْ أَثخَنَ الهِمَجَ البِاغِينَ إِثخاناً  
إِلا وَقَدِ أذَعنَتَ قِـواهُ إِذعاناً  
فَكَمَ أَقامَ بِمدارِ السَّلامِ بُنياناً!  
وَزادَ مُقَفَّرَها عِزّاً وَعِمراناً  
وَكمَ مَبانِ غَزتْ دُوراً وَبُلداناً!  
حَتى تُمَيِّزَ - بِالإِسلامِ - أوطاناً  
وَأوسَعَ الفِئدَ تَدشِيناً وَشُكراناً  
فَأصَبَحوا فِي (بِبيوتِ الوَقِفِ) سُكَّاناً  
وَما أَعَدَّ خِلافَ البِئَرِ بِسَتاناً؟  
وَما أَقامَ لَها سَداً وَشُطاناً؟  
تَلِكِ التِّي بَقِيَتْ فِي الأَرْضِ أَزماناً  
بِاتِ الجِمالِ بِها فِي الدِّيارِ مُزداناً  
حاكى امْرُؤَ القَيسِ وَالأعشى وَحَساناً!  
وَالشُّعْرُ يَسْمُو إِذا ما ضَمَّ قِرائناً  
شَمَّ القِوافِي ، سَمَتَ مَعنى وَأوزاناً  
وَلمَ يَباشِرُ لَمَّا قالَوهُ عِصياناً  
يَخْرُجُ عَلى فِقهِهِم هِوىً وَبُهتاناً  
مِنَ البِيبانِ سَباباً رَوىً وَأَذاناً

إذ سِنَّةٌ ، واجتَبَى للسَّنِّ أعواننا  
أراد بالسَّنِّ توفيقاً وإحساناً  
لذممةٍ ترتجى عَفْواً وغفراناً  
والدينَ يَحْفَظُ للدولتِ أركاننا  
إذ خطها يبتغي للحق تبياناً  
حتى يكون لأهل العلم برهاناً  
إذ أصبحت في دننا التشكيك سُلواناً  
إذ أوقدت في قلوب البغي أضغاناً  
وحبُرُ ريشته مِن دم قتلاننا  
وبعضها قاده في (أذربيجاننا)  
بغى الروافض ، تُخْلِى منه أكواننا  
تُصلي الألى رفعوا - بالرغم - صُلباننا  
بالنار حتى محاب كِبْرًا وسُلطاننا؟  
وزال مَن لبسوا في الناس تيجاننا  
ومَن لها اتبعوا صُماً وُعْماننا  
لمن أتى حرمَ الإسلام جوعاننا  
يروى به الشعب إما كان ظماننا  
وإن فيها مَن الخدام غُبداننا  
وكل ذلك قد أسداه مجاننا  
مَن ارتدى ثوبه ، أو كان عُرياننا  
كَمَن يُراقبُ حين البذل رحماننا

هذا (سليمان) ، والقانونُ يعرفه  
مُوافقاً لنصوص الشرع في وضوح  
ثم استشار (أبا السعود) تبرئة  
وخط درياً يُقَوِّي رُكن دولته!  
وإن (هارولد) أغنانا بمدحتِه  
خط الكتاب ، وغالى في أدلته  
وللعبارات في الكتاب رونقها  
هذا (سليمان) ما خَبَتْ معاركه  
ملاحمٌ رسَم التاريخ قصتها  
وإن فوق ربا (القوقاز) أشرسها!  
وفي (الأناضول) كم دَكَت مدافعة  
وسل (بروزة) عبْر البحر ، جذوتها  
وسل معي مَن رمى الفايكنج أجمعهم  
ومَن أذل مجوسَ الأرض ، فاندحروا  
وفي جميع الدنا جلى عقائدهم  
هذا (سليمان) في الحَرَمين طعمته  
وماء زمزم للأمصار حَوْلَه  
وفي التكيّة مَن آثار نعمته  
يُهدي الحجيج ، ويسقيهم ، ويُطعمهم  
وكان يكسو الألى حَجَّوا أو اعتمروا  
يرجو الثواب مَن الإله محتسباً



هذا (سليمان) في (أستانة) جعلت  
ما انفك يبني بلا يأس ولا ملل  
حتى غدت في ديار الترك حاضرة  
سل الفواكه في أرحابها ينعث  
في كل صقع بها الأشجار بأسقة  
فيها البنايات ما برحت تزخرها  
مرت قرون على ما قد بناه بها  
قوارغ الدهر ما نالت عمارتها!  
هذا (سليمان) والجهاد يعرفه  
في نصف قرن فتوحات مكالة  
في (آسيا) بعد (أفريقية) اندلعت  
في (بودابست) و(تبريز) و(مَرْسِيَّة)  
في (سيكتوار) و(إيطاليا) وما حوتا  
وفي (سواكن) آيات الجهاد زكت  
واسأل ثرى (وبوليس) ، ذي حجارتها  
إذ أعلنت يوم أضحانا نهايتها  
لذا فرحنا زهاء الفرحتين معاً  
وإن (مُهاكس) لم تبرح خواطرننا  
ولقتهم دروساً ، عز شارحها  
وفتح (رودس) حيّ في ضمائرهم  
رغم الحصون تحدى الغيث عزمهم  
فاستسلموا دون أن يُبدوا مقاومة

دار الخلافة ، زان الحسن بلقانا  
ويستشير أولي ذُكر وخلصنا  
مثل العروس ارتدت في العرس فستاننا  
وانظر نخيلاً وأعناباً ورماننا  
تفوح مسكاً وكافوراً وريحاننا  
كالروض إما ازدهى للعين ، وازداننا  
وكل صرح غدا حصناً وإواننا  
زلازلاً خبرت تترى ، وبركاننا  
سيفاً وزمحملاً وساحات وميداننا  
بالنصر ، إذ غدت الأرواح قرباننا  
آنأ ، وفوق ربا (أوربة) آنأ!  
و(بلجراد) و(طولون) و(جيانا)!  
معارك أرخصت في الفتح أثماننا  
حتى تُحرر إقليماً وإنساننا  
قد خضبت بدماء الجند صفواننا  
شر الضحايا قطيع زاد كفراننا!  
وجمعنا بات يوم النحر جزلاننا  
إذ جرعت جمل أهل الصلب خسراننا  
فما استطاعوا لها - والله - نسياننا  
فقد أذلت ظروف الفتح فرساننا  
إذ الهوان - على أصحابه - هاننا  
فالعير ما حسبوا للحرب حساننا

من المعاصي على قلوبهم رانا  
 وأيد الله يوم الفتح هلكانا  
 واختار زوجته العصماء (رؤكسانا)  
 وبادلت زوجها عطفاً وتحناناً  
 والأهل كانوا مغاويراً وأعياناً  
 في الجود فاقت رجالات ونسوانا  
 بل أحصنت فرجها - والرب - إحصانا  
 وناولته رضاً عنه ورضوانا  
 داء الملوك عن الجهاد أحيانا  
 شيخ الأطباء: رعاك الله مولانا  
 والرخصة اشترعت عفواً وسلوانا  
 دعني أمت في سبيل الله ريانا  
 دعني أرغم أهواءً وشيطانا  
 ومن رآه رأى في التور ريانا  
 لما غزا وسط (أفريقية) غانا!  
 في يوم جمعه ، والفتح قد حانا  
 والجنود صاروا على الأعداء عقباناً  
 وأصبحوا عنده في الأرض جعلاناً!  
 على الخضوع له قوماً وبلداناً!  
 لم يبق منهم بسيف الحق قرصانا  
 والشيب قد سبقوا للحرب شبانا

وران ما كسبوا في جمل عيشتهم  
 فكان نصرراً جرت سبلاً غنائمه  
 هذا (سليمان) زوج لا نظير له  
 كانت خصاناً زاناً في قبيلتها  
 ويعجز الوصف عن فحوى مناقبها  
 سائلة المجد في أصل وفي نسب  
 ولم تُسافح ، ولم تخن تعفها  
 أغنته عن كل ما يريه في امرأة  
 حتى إذا بلغ السبعين أقعده  
 ويوم معركة (الهابسورج) ناصحة  
 بالنقرس الله قد أعطاك معذرة  
 فقال: إنني للاستشهاد منتظر  
 يأتي الشفاء إذا جاهدت من كفروا  
 ويركب البحر مستلاً مهنده  
 أو (بايزيد) ، وتخذه مآثره  
 ولست أنساه إذ وافى بخطبته  
 وبعد صلى بهم يرجو وثوبته  
 أعطى ملوك العدا للفذ جزيتهم  
 وعاش يوسمهم ذلاً ليقهرهم  
 هذا (سليمان) سل عنه قرصنة  
 والبحر يشهد إذ كان النزال به

على كتائبه ، فاهتاج غضبانا  
من كل مرتزقٍ يختال سكرانا!  
وألبس المجرمين العير أكفانا  
إذ أرسلوا من شكاوى الحال أطنانا  
ويخذل الله غداراً وخواننا  
فيها المطاعم أشكالاً وألواننا  
بموت مُرعبهم نوماً ويقظاننا!  
أعاد ذكرى (أبي نر) و(سلمانا)!  
وما علمنا له في العزم أقرانا  
أوصى الصناديد أصحاباً وندمانا  
كأنما دوحه تمد أغصاننا!  
أنا الذي عشت في دنياي سلطانا!  
تكون شاهد عبدي بات حيرانا  
وهم أجازوا ، وما أرغمت إنسانا  
طوعاً لرب الورى ، حباً وإيماننا  
ولم تخافوا غداة الروع علاننا  
يا رب فارحم ، وسامخ (آل عثماننا)!

والكاثوليك أغاروا دون مرحمة  
وخلفهم بروتستانت وكوبية  
فاجتث باطلهم في كل مصطدم  
وأنقذ الشهم آلاف اليهود بها  
لكنهم غدروا ، والغدر شيمتهم  
ويوم مات أقام الكفر مآذبة  
من موته اتخذوا عيداً ليحتفلوا  
فيا (طرابزون) باين شادك افتخري  
وجدد الدين في الأقطار قاطبة  
وقبل أن تُدرك السلطان ميتته  
يا قوم فلتخرجوا كفي من كفي  
كي يدرك الناس أني ما أخذت شيئاً  
كذلك دسوا معي في القبر أسنلتي  
حتى تقول: أنا استفتيت من فقهاء  
يا آل عثمان أحسنتم قياداتكم  
ولم تخافوا فلاناً رغم سطوته  
يا (آل عثمان) أديتم أمانتكم

## الموت حار الكل في أسبابه! (تأبين الشربيني أبو طالب)

(حُق لي أن أسمى عام 1999م عام الحزن ، إذ إنني افتقدت فيه أماً في الله غالباً ، وأستاذاً علم ونشأ وربى ورسخ وأعطى الكثير ، وهو الأستاذ الدكتور الشربيني أبو طالب ، رحمه الله رحمة واسعة. وكم تأثرتُ بفقد هذا الحبيب والمعلم والمربي الذي امتدت رحلته معي ، منذ كنتُ طالباً في المرحلة الإعدادية فالثانوية فالجامعية ، وامتدت العلاقة بعد الجامعة. نعم قام على تدريسي اللغة العربية وآدابها منذ كنتُ في الصف الثاني الإعدادي ، وإلى أن نال درجة الماجستير في الأدب العربي ، أو بالأحرى في النحو أو الأجرومية العربية. ولقد كان نعم الناصح الأمين ، فلقد والله عرضت عليه من أشعاري ما استطعتُ وما شاءه الله منذ كنتُ في مصر ، ويستضيفني في بيته استضافة يعجز عن رسم أبعادها وإحاطة القارئ بما فيها القلم. ومهما حاولت الكتابة عنها ما وفيته حقه! وكان قد اعتاد - رحمه الله - أن يشتري لي الدوريات والمجلات والكتب ، وكنتُ أفعل الشيء ذاته له. وأهديته يوماً (المعجم الوجيز) في طبعته الأولى الفاخرة فكاد يطير من الفرح. وكان يتواضع فيعطيني أوراق رسالة الماجستير أراجعها لغوياً ، وأنا الفقير في اللغة العربية وبضاعتي فيها ساعتئذ بضاعة مزجاة ، وهو يعلم ذلك ، لكنه التشجيع خلف ظلال التربية والعطاء. وكانت رحلة القطار من كفر سعد إلى المنصورة وكذا العودة سوياً جزءاً من تاريخ الذكريات وشريط الماضي. وأذكر أنه كان أول مخلوق له بعد الله الفضل في أن يجعل مني الخطيب الموهوب المفوه المصلق والشاعر القوي الشعر! وما ذاك إلا بفضل الله أولاً وآخرأ ، ثم بفضل تشجيع أستاذنا الشربيني. الرجل الذي كان ينصح فتقع النصيحة موقعاً في القلب لا يوصف ، والرجل الذي ما كانت يده تفارق يدي وهو يستقبلني ضيفاً عليه في بيته ، حتى أجلس وأخذ مكاني عنده. والرجل الذي لما كانت الحرب بين داحس والغبراء قد شب لهيبها والتهب أوارها واشتد وطيسها (أعني الحرب بينه وبين أحد أحبنا في الله وهو الحاج إبراهيم البغدادي وبعض إخوته هنا في كفر سعد - دمياط ، ونفخ فيها (أي في الحرب) شياطين الإنس والجن ، كنتُ قد ذهبتُ لأشفع للرجل عنده ، فقبل خاطري في حين رد خواطر وشفاعات قوم آخرين ربما في مثل سن آبائي وأجدادي! فجّل الرجل في عيني ، وعظم في نظري ، وهو يعلن أمام الحضور يومها أنه رد شفاعاة الكل وقبل شفاعتي ، وذلك في بيته عام 1988م. فكان من حقه عليّ أن أبكيه يوم رحيله بقصيدة كان يحبها ويتمثل بعض أبياتها عبّر رحلة القطار ، وربما هو الذي قدّم لي هذه القصيدة فيما قدّم على بساط البحث ومائدة التدوق الأدبي! وهي قصيدة شوقي في تأبين أحد أحبائه: (في الموت ما أعبا وفي أسبابه!) تلك التي حظيتُ بإعجاب النقاد المعاصرين والقدامى! وأشهد أنها قصيدة محبوكة مسبوكة ينفعل لها خاطري عندما أسمعها ، وكأنه لا يوجد قصيدة في الموت غيرها! لذا آثرتُ أن تكون قصيدتي في بكاء الدكتور الشربيني أبو طالب على ذات وزنها ورويها وقافيتها وبحرها. فإن لن تصل إلى عظمة أداء شوقي ، فلي شرف المحاولة في أن أعارض شاعراً كشوقي ، وقصيدة كهذي تعتبر من عيون شعر شوقي فضلاً عن أنها تعتبر في الوقت ذاته من عيون شعر العرب في العصر الحديث! روى البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رُفِع إليه ابن ابنته وهو في الموت ، ففاضت عينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء. وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال

الرياح تفيته ، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء! ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تُحصد. والأرز في الحديث هي شجرة الصنوبر. وأنا لنحتسب الدكتور الشربيني عند الله تعالى ونصبر على هذا المصاب الجلل. فعن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: يقول الله تعالى: (ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة). رواه البخاري. ألا وإن قصيدي عزاء كذلك للأدب العربي والإسلامي وأهله وللشريعة الحنيفية الغراء وأهلها ، إذ الدكتور الشربيني عالم أديب على كل حال. وإن موت العالم ثلثة في الدين. يقول الله تعالى: (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون؟) والحق أن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور العلماء ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهلاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا. ولما كان الموت من حقائق اليقين فإن الله تعالى جعله برهاناً على ربوبيته سبحانه {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ، {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}. وفي هذا الحديث العظيم تذكير بالموت ، ولذا أمر صلى الله عليه وسلم بتذاكر الموت ، وحث على زيارة القبور لرؤية مساكن الموتى ، من أجل أن تستيقظ القلوب من رقدتها ، وتنتبه من غفلتها ، فلا ينسيها عن ذكر الموت ما تتمتع به من مشاغل الدنيا وملهياتها. والناس في كل يوم يرون الأموات عياناً أو عبر الشاشات ، ويرون القتلى قد مددوا على الأرض ، وفي كل يوم يسمعون أخبار الموتى! وكان حقاً عليهم أن يعتبروا ويخافوا ؛ لأنه إذا كثر الموت كما هو الحال في زمننا هذا زادت نسب احتمالات وصول الموت إليهم. لقد كان الناس قديماً - وبسبب تواضع وسائل الاتصال والإعلام - لا يسمعون أخبار الموت ، ولا يشاهدون الموتى إلا في فترات متباعدة ؛ فترق قلوبهم ، وتدمع عيونهم ، وتعلوهم هيبة الموت ويتغير الواحد منهم فترة لا يشتهي الطعام ، ولا يغمض لنام! يفزعه ذكر الموت ، ويرعبه منظر الموتى ، ويتذكر ما شاهد من جنازة ، ويفكر متى يحمل مثلها ، فينتفع قلبه بذلك مدة من الزمن. أما الآن فالناس في المقابر يتحدثون في أمور الدنيا ، ونعوش الموتى محمولة على أكتافهم ومنهم من يطالع رسالة في هاتفه ، أو يهاتف غيره ، وكأنه يحمل أي متاع لا يذكره بشيء. وإن العين لتدمع وإن القلب ليحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا شربيني لمحزونون. اللهم ربنا اغفر له ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وأفسح له في قبره ونور له فيه. اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مداخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من خطاياها كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، وزوجاً خيراً من زوجته ، ودمماً خيراً من دمه ، وأدخله الجنة وأعدّه من النار. إنك يا ربنا أرحم الراحمين وخير الغافرين يا رب العالمين.)

الموت حار الكل في أسبابه	حقاً ، وتاه العقل في عجابه
وخزائن المقدر غيب خالص	والخلق موقوف على أبوابه
لا تسأل الأقدار ، ماذا خبأت؟	إذ ليس هذا سؤال فذ نابيه
كم من صحيح في دجى الموت انزوى	خلف القبور ، بكاه جمل صحابه!

وأتى الفراقُ يخطط يّ كتابه  
ما كان يحلم لحظةً بغيابه  
وجنى مصابُ الموتِ زهرَ شبابه  
ودعا - له - المشتاق في محرابه  
وسرّتْ خيوط الكرب في أعصابه  
والدمعُ يرفل في أسى تسكابه  
بأظى النحيب ، فيحتمي بشعابه  
بأُ مؤجعاً ، يأسى على أحبابه  
حرى تلوم الموتَ عبْر وثابه  
والقبرُ موصدٌ خلف صمت ترابه  
ماذا وراء الموت قد أجرى به؟  
رغم الأنوف على مَرار شرابه!  
وبلاءُ رب الناس من أسبابه  
فإذا دننا أجلّ أتى بحرابه  
متن الحياة ، يؤزه بعذابه  
والعبد موقوفٌ على أعتابه  
يوماً يُجرّع من أسى إعجابه  
كم خصني - دهرأ - بعذب خطابه!  
وعلى قريضي رش من آدابه!  
وصعدتُ معتزلاً لعز ركابه  
أبدأً أغرد فوق دوح رحابه

أكلتُ أمانيه العذاب فواده  
وظغى الرحيل على مُحياه الذي  
وسعى وحيداً في دهاليز الجوى  
وعلى وفاة الشهم سالت أدمع  
واشدت حزنُ الخل ينعي خله  
بيكي ، ويغلبه الأنين ، فيشتكي  
أبدأً يُبازره النشيج ، فيكتوي  
حتام ترحمُ ذكريات الأمس قلـ  
يا أيها الحب المسجى ، أهتني  
تستمطر الرحمات ، تجهش بالبكا  
وعلى جبين الضيف بسمة حائر  
فالموتُ كأسٌ سوف يشربه الورى  
وليه جنودٌ لا تخاف مكابراً  
نسعى ، وفوق الرأس يسعى موتنا  
ويراقب الرمق الأخير إذا اعتلى  
ولكل موتٍ ظاعن سكراته  
ومن اكتفى - بحياته - متشاغلاً  
لما علمت بموت خل صادق  
وكم اشتراني من هوى يجتأخني  
ورأيتني - فوق المنابر - هادياً  
ورأيتني ، والشعرُ يُتحف هامتي

ببراعةٍ مئسّثٍ ببعض لبابه  
وعلى كلامي العذب بعض ثيابه  
فإله يُكرم من يؤذ ببابه  
عبر القطار ، وفي نسيم غيابه  
والكل ينهل من جنى أرتابه  
وأنا أسجّل كل ما أوصى به  
والعلم يزهر وبعد كشف نقابه  
وأريجها يبكي عطفاً غيابه  
ينعي لمن حضروا رحيل شهابه  
بين الورى ، تبكي على أقطابه  
علماً يُؤازره عتي صغابه  
والعلم تيجان على طلابه  
فاضت على شعري وبوح رضابه  
والود أهداني بهي رغابه  
والحلم نور في دنا أصحابه  
والشهم برّ في رطيب عتابه  
في عالم يجني على أنجابه  
جم السنا متواضعً بجنابه  
والجود يحيا في ربا أطيابه  
عف المكارم عبر سحر جوابه  
وتوسّم الأقمّ وائم دفن سبابه  
واللفظ خان ، وشذ من أنيابه

ورأيتني - بين الخلائق - كاتباً  
ورأيتني متكلماً متبغماً  
والفضل للمنان ، ثم لصاحبي  
مازلت أذكر يوم أن كنا معاً  
والفد يُعطي من أصيل علومه  
هذا يُسائل ، ثم هذي تشبكي  
مازلت أذكر ما بذلت معلمي  
إنني أعزي فيك (ضاداً) أتكلت  
(سندوب) بعدك مقفراً ديوانها  
(منصورة) التعلّم بعدك أمحلت  
مازلت أذكر ما نصحت تريديني  
وطرحت خيرك - فوق رأسي - وافراً  
وغمرتني بنصيحة شـعرية  
وشملتني برعاية أخوية  
مازلت أذكر من خلافك حلمه  
فإذا اختلفنا ، كنت أئدى منطقاً  
إيثارك الغض الأريب مسامري  
وحياتك المنثور فوق فضولنا  
وسخاوك المبنول فينا آية  
وإذا أسئ إليك كان سماحكم  
لما جعلت رسول من قد عابكم  
وهمست في أذنيك: هذا صاحبي

والعفو أحمد في صنيع عجابه  
والأمر أمسى في أليم مصابه  
جسر العداوة فوق ذل صعابه  
والصف عان في لظى أحزابه  
أن تحمل الجثمان بعد ذهابه؟  
والموكب المكروب في أعقابه  
والروح تنزف خلف ظل حجابيه  
تأسى ، ويجرحها أنين كعابه  
فوق الفقيد تروم يوم إبابه  
والموت سيف جـد خلف قرابه  
أعطى كتاب الله جـل شـبابه  
قد كان كالنبراس في أترابه  
إذ تعجز الكلمات عن ألقابه  
فالعلم والترويح في إطنابه  
إن العزاء يئن من أنصابه  
جعل التفقه من زها أنسابه  
للضاد يُقري الناس من آدابه  
والفـذ من ضيقت على أحسابه  
والجيل يـفـدي بأسها برقابيه  
شط الوجوم بها بأخذ عقابه  
والحزن متاع ثوى بلعابه

فاغفر ، وأنت أميرنا وإماننا  
فأيتت منك لخاطري ما راقني  
فرضيت بالصلح الزكي ليغبروا  
وقتلت فتنهم ليرضى جمعهم  
يا (كفر سعد) كيف طابت أنفس  
والنعش - ويح النعش - في إدباره!  
يبكي على أعناقهم متملاً  
وهناك الأسفار في إيوانها  
وجحافل الزوار تطفو موقوفهم  
يا أيها المجنوز موتك هزني  
إلا بيوم رحيل أشجى مقرئ  
ها ذاك (عبد الباسط) الفذ الذي  
وكذا بيوم فراق أخلص عالم  
(عبد الحميد) ، ومن يُباري شخصه  
من ذا أعزي فيك يا مصباحنا  
إنني أعزي فيك كل موحد  
وكذا أعزي فيك كل معلم  
فالضاد أشرف ما علمت من اللغا  
مثل الحليب على اللسان حروفها  
وكذا أعزي فيك أسرتك التي  
وتحدرت أحداقها من حزنها



إن القنوط يـؤزكم بخرابه  
ودعوا الجوى ينفل في تلعبه  
وحببكم قد أن طي كتابه  
ما قد حبيت مُفاخرأ بركابه  
أخطاءه في (الضرب) أو أذنبه  
هذي ، ويغشاها ببعض سحابه؟  
والجيل يرثي اللحن في أعرابه  
والنسرُ ثاو في رحي أسرابه  
يُزكي القريض ، تنال حسن ثوابه  
ووضعت في الديوان فضل خضابه  
للقائه ، ليحين يوم حسابه  
لو كان يعرف عن دنو تبابه  
وثاؤكم عندي أصيل نصابه  
ويمن بالغفران كي يُجزى به

حتام يصبر في المصيبة ألكم  
والله أرحم ، فاستكينوا واخشعوا  
قدرُ المليك ، وصبركم فيه العزا  
ولسوف أذكر بالترحم صاحبي  
قد كنتُ أعطيه القريض لكي يرى  
فمن الذي يقوى على مرثيتي  
ذهب الغطاريف الذين نح بهم  
وحمائمُ الشعر احتواها حزنها  
قد كنتُ أرجو منك نقداً عاجلاً  
أرسلته مُتكافأ ومؤملاً  
لكن قضاء الله خط نهاية  
وأتى ثناؤك في رسالة والدي  
قد أصبحتُ ذكرى عباراتُ الثنا  
فليرحم الرحمن عبداً قد مضى

## إنك ميت وإنهم ميتون!

(لفرط حبه للنبى - صلى الله عليه وسلم - لم يكن بعض الصحابة يتصور أنه سيموت. وهذا عمر الفاروق يوم توفي النبى - صلى الله عليه وسلم - يُعلنها: إنه ذهب كما ذهب موسى لميقات ربه وسيعود ، ألا من زعم أن رسول الله قد مات ، أضرب عنقه بسيفي هذا. حتى هدأت سورة عمر عندما خطب الصديق الناس واستهل بقوله: أيها الناس ، من كان يعبد محمدًا ، فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لا يموت. وتلا الصديق الآية: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين). عند ذلك يهدأ الفاروق ويقول: لكأنى بهذه الآية قد نزلت لتوها. وإذن ، فكل مصيبة بعدك يا رسول الله هينة لا تقارن بمصاب الأمة المسلمة فيك يوم فارقتها. حديث للنبى - صلى الله عليه وسلم - معناه: أن من أراد أن تهون عليه مصيبته فليذكر مصيبته في. أي: فيه صلى الله عليه وسلم. ولما كانت إصابتي في مقتلتي تذكرت المصاب الأعظم الذي هو موت النبى - صلى الله عليه وسلم - . ثم عشت مع أبيات للشاعر العملاق العظيم حسان بن ثابت شاعر الرسول - رضى الله تعالى عنه - ، يرثي فيها النبى - عليه السلام - رثاء لا عجا دمعاً باكياً ، يتحفنا فيه بقوله:

ما بال عينك لا تنام كأنها  
جزعاً على المهدي أصبح ثاوياً  
وجهي يقبك التراب ، لهفي ، ليتني  
بأبي وأمي من شهدت وفاته  
وظللت بعد وفاته متبلاًداً  
أقيم بعدك بالمدينة بينهم؟  
أو حل أمر الله فينا عاجلاً  
فتقوم ساعتنا ، فنلقى طيباً  
يا بكر أمانة المبارك بكرها  
نوراً أضاء على البرية كلها  
يا رب فاجمنا معاً ونبيئنا  
في جنة الفردوس فاكتبها لنا  
كحلت مآقيها بحمل الأرمـد  
يا خير من وطئ الحصى لا تبعد  
غيبت قبلك في بقيع العرقـد  
في يوم الاثنين النبى المهدي  
متلداً ، يا ليتني لم أولد  
يا ليتني صبحت سـم الأسود!  
في روحة من يومنا أو في غد  
محضاً ضرانبه كريم المحتد  
ولدته مخصلة بسعد الأسعد  
من يهد للنور المبارك يهد  
في جنة تنثي عيون الحسد  
يا ذا الجلال وذا العلا والسودد

وعندما تذكرت هذا المقطع من دالية حسان تحركت في نفسي هذه الخاطرة ، وتذكرت النبى - صلى الله عليه وسلم - عند وفاته ، وكيف أثر الرفيق الأعلى ، وعبر شريط سمعته منذ عشرين سنة للشيوخ القطان عن وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول في مطلعته: (إنه نداءً إلى من عظمت مصيبته في موت حبيب من أحبابه ؛ ليذكر مصيبته في المصطفى - صلى الله عليه وسلم - ، يوعك عليه الصلاة والسلام كوعك رجلين ، ومع ذلك ما يمنعه ذلك من أن يمتثل أمر ربه في أن يودع أصحاب البقيع ويستغفر لهم ، النبى صلى الله عليه وسلم يودع أهل البقيع ويستغفر لهم ، ولا يمنعه مرضه من أن يوصي أمته بوصايا مهمة في مرض موته ، ثم بعد ذلك يختار الرفيق الأعلى ، وقد قررت عينه بإبلاغه لأمته الوصايا المهمة في دين الله. يخرج

النبي - صلى الله عليه وسلم - في جوف الليل وتتبعه أم المؤمنين عائشة ، ويتبعه خادمه أبو مويهبة قائلاً: (إلى أين يا رسول الله؟ فيقول: أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِشُهَدَاءِ وَمَوْتَى الْبَقِيْعِ ، وَيَصِلَ إِلَى مَوَاقِعِ الشُّهَدَاءِ وَيَرْفَعُ يَدِيهِ إِلَى اللَّهِ يَدْعُو دَعَاءً طَوِيلاً فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ يَقُولُ: لِيَهْنِكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ بِمَا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ) ، يهنئ الشهداء بما أصبحوا ، أصبحوا وأرواحهم في حواصل طير خضر ، ترتع في أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ، هناك عند أرحم الراحمين: (لِيَهْنِكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ بِمَا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ...). بماذا أصبح الشهداء؟! (لشهداء عند الله سبع خصال: يُعْفَرُ لَهُ عِنْدَ أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ. وَيُرَى مَكَانَهُ فِي الْجَنَّةِ. وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. وَيَأْمَنُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ. وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، الْيَاقُوْتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا. وَيُزَوَّجُ بِاثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ. وَيُسْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقْرَابِهِ). (... أَقْبَلْتُ الْفِتْنَ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ - وَهُوَ يَدْعُو لِلشُّهَدَاءِ يَحْدُثُ مِنْ حَوْلِهِ- أَقْبَلْتُ الْفِتْنَ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ يَتَّبِعُ آخِرُهَا أَوْلَهَا ، وَآخِرُهَا شَرٌّ مِنْ أَوْلَهَا ، يَا أَبَا مَوْهَبَةَ! إِنِّي خَيْرْتُ بَيْنَ الْخُلُودِ فِي الدُّنْيَا وَكُنُوزِهَا ، وَبَيْنَ لِقَاءِ اللَّهِ وَالْجَنَّةِ ، فَاخْتَرْتُ لِقَاءَ اللَّهِ...). إن الذي يريد أن تهون عليه مصيبته وكأنها لم تكن ، فليتذكر البلية العظمى التي كل مصاب دونها فهو جمل ، إنها موت النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - . قال صاحب الظلال في التعليق على الآية: (كل نفس ذائقة الموت) ما نصه: (هذا هو الناموس الذي يحكم الحياة. وهذه هي السنة التي ليس لها استثناء. فما أجدد الأحياء أن يحسبوا حساب هذا المذاق! إنه الموت نهاية كل حي ، وعاقبة المطاف للرحلة القصيرة على الأرض. وإلى الله يرجع الجميع. فأما ما يصيب الإنسان في أثناء الرحلة من خير وشر فهو فتنة له وابتلاء: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة). والابتلاء بالشر مفهوم أمره. ليتكشف مدى احتمال المبتلى ، ومدى صبره على الضر ، ومدى ثقته في ربه ، ورجائه في رحمته. فأما الابتلاء بالخير فهو في حاجة إلى بيان. إن الابتلاء بالخير أشد وطأة ، وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر. إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ، ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير. كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة. ويكبحون جماح القوة الهانجة في كيانهم الجامحة في أوصالهم. كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذلل. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الثراء والوجدان. وما يغريان به من متاع ، وما يثيرانه من شهوات وأطماع!). هـ. لقد تذكرت وفاة النبي - عليه السلام - فتولد في أسارىري فوراً هذا المطلع ، وداعبت خاطري هذه الكلمات ، وأكملت بعدها هذي القصيدة:

وَعَيْنِي هَزَهَا أَلْمُ الْوَدَاعِ	أَبَا الزُّهْرَاءِ قَدْ أَنْ التِّيَاعِي
وَدَمْعُ الْعَيْنِ مِنْ بَعْضِ انْطِبَاعِي	وَيُكْفِينِي مُصَابِي فِيكَ حَقًّا
وَسُؤْنَةَ (أَحْمَدٍ) زَادَ الْجِيَاعِ	وَدِينُكَ نُورٌ عَيْنِي ، بَلْ حَيَاتِي
ذِهَابُ (مُحَمَّدٍ) ، هَذَا اقْتِنَاعِي	يَهْوُونَ مِنْ ذِهَابِ الْعَيْنِ عِنْدِي
فِذَلِكَ أَبِي وَأُمِّي خَيْرَ دَاعِ	أَجْبُوكَ ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا
لَأَنَّكَ فَوْقَ تَأْلِيفِ الْيَرَاعِ	وَأَنِّي مَا رَثَيْتُكَ فِي قَرِيضِي

بِمِثْلِكَ لَمْ أَصَبْ أَبَدًا ، وَرَبِّي  
وَمَوْثُوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَرَبِّ  
وَسُنَّةَ رَبِّنَا مَوْتُ الْبَرَايَا  
سَيُذِرْكُنَا الْمَوَاتُ ، وَلَوْ بَعُدْنَا  
وَمَا دُمْتَ ابْنَ آدَمَ سَوْفَ تَمُضِي  
مُصَابِي فِيكَ أَذْهَبَ حُزْنَ عَيْنِي  
رَسُولَ اللَّهِ ، لَسُنْتُ إِلَيْكَ أَشْكُو  
وَقَدْ عَلَّمْتَنِي أَدْعُو إِلَهِي  
حَدِيثُكَ هَزَّ أَعْمَاقِي فَجَادَتْ  
عَلَيْكَ سَلَامٌ مَوْلَانَا تَعَالَى  
وَنُورٌ يَا إِلَهَ الْخَلْقِ عَيْنِي

بِكَيْثُوكَ طَالَمَا صَاعًا بِصَاعٍ  
بُلَيْتُ بِهِ ، كَمَا بُلَيْتُ بِقَاعِي  
لَكُمْ فِي عِلْمِ ذَلِكَ خَيْرٌ بِعَاقِبَةٍ  
وَإِنْ كُنَّا بِأَبْرَاجِ الْقِيَلَاعِ  
وَتَنْعِيمِكَ الْوَدْيَارُ ، وَكُلُّ نَاعٍ  
لِفَقْدِكَ قَدْ حَيِينَا فِي ضَيَاعِ  
وَلَيْسَ الشُّرْكَ . قَطْعًا . مِنْ طِبَاعِي  
وَذَلِكَ دِيْدَنِي مُنْذُ الرِّضَاعِ  
شَمُوسُ الشُّعْرِ تَسْرِي كَالشُّعَاعِ  
كَثِيرًا دَائِمًا دُونَ أَنْقِطَاعِ  
وَتَوَجُّجٌ بِالْهَنَاءِ كُلِّ الْمَسَاعِي

## سنرحل ، ويبقى الأثر!

(ما أعظم الجود والكرم! وما أحلى أن يتعدى خير الإنسان للغير! وقصيدتنا عن رجلين من أبناء مصر ، غنيين عن التعريف: الأول هو الدكتور الفذ محمد عبد الغفور المشالي ، والثاني هو المحسن الكبير الباشمهندس صلاح عطية! رحمهما الله تعالى رحمة واسعة! فالأول الدكتور المشالي جاد بعلمه وطبه الذي علمه الله ، والثاني المهندس صلاح عطية جاد بماله الذي آتاه الله إياه! إنهما (الدكتور محمد المشالي والمهندس صلاح عطية)! فالدكتور الفذ الفاضل محمد عبد الغفور المشالي ، رحمه الله تعالى! حيث توفاه الله تعالى يوم 28 يوليو 2020م عن عمر يناهز 76 عاماً ، قضى خمسين منها في خدمة الفقراء والمحتاجين والمساكين والمعوزين الذين عجزت جيوبهم وإمكاناتهم المادية عن التداوي والعلاج عند غيره من الأطباء الذين هدف معظمهم الأول والأخير هو جمع المال والتربح من وراء الطب! والجدير بالذكر أن الدكتور مشالي ولد في محافظة البحيرة سنة 1944م! وكان قد تخرج في كلية الطب - قصر العيني تخصص باطنة وأطفال! وافتتح عيادته الخاصة في طنطا سنة 1975م وكان ثمن الكشف خمسة جنيهات مصرية ، وزاد إلى عشرة جنيهات منذ عهد قصير! وتفاني الرجل في خدمة الفقراء والمحتاجين! وذهب إلى الله تعالى ولم يؤذ أحداً ، ولم يكن سبباً في التضيق على أحد! بل نفع الله به الناس ، وشفى عليه يديه وبوصفاته العلاجية خلقاً كثيراً! وكان قد ابتلي بموت أخيه مخلفاً له أبناء أيتاماً فتكفل بهم ، وعاش لهم أباً بعد أب ومرشداً ومعيناً على قوارع الدهر وريب المنون! وكان حياة الرجل مجموعة من محطات البلاء والابتلاء! وتأخر زواجه بسبب رعايته الكاملة لأبناء أخيه! أين هذا من الذي يقتل أخاه اليوم ليجهز على حياته ليتيم أبناء أخيه؟! وأين هو ممن يتسبب في التضيق على أخيه ليشرد يمناً ويسرة! إن عزاءنا أن الرحمن الخالق حي لا يموت ، وأنه يسمع ويرى ، وأنه على كل شيء قدير ، وأن بيده خزائن السماوات والأرض ، وأن بيده ملكوت السماوات والأرض! لقد سخر الله الدكتور مشالي لأبناء أخيه أباً ومرشداً ومعيلاً ، كما سخره للناس طبيباً ومداوياً ، فله دره! نسأل الله أن يرحمه ويتجاوز عن سيئاته ويدخله الجنة ونلتقي به في جنات النعيم! اللهم آمين! وأنا أجعل هذه القصيدة الرثائية في تأبينه ورثائه عرفاناً بجميله على الفقراء والمساكين! ولتكن هذه القصيدة أيها الشعراء هي أول الغيث ، واجتهدوا معي في أن تقدموا عزاءه شعراً نفع الله بكم! ونفع بشعركم وجعلكم مطيعين له نافعين لخلقهم المؤمنين! وأكتفي بهذا المقدار في الحديث عن الدكتور مشالي ، فلقد خصصته بقصيدة يوم وفاته عنوانها: (وداعاً طبيب الغلابة الدكتور مشالي) وأتناول المهندس الأستاذ الدكتور صلاح عطية! حيث إن له مسيرة 40 عاماً من الكفاح والعمل ، جعلته أيقونة العمل الخيري بمصر! والسر في "الشريك الأعظم". "من الحضارة للجامعة" رؤية قضى بها على البطالة والفقير في "تفهننا الأشراف". أنشأ 6 معاهد أزهرية و4 كليات ومدينة جامعية! تحت عنوان: (صلاح عطية ذاع صيته في الوطن العربي) تقول الأدبية الأستاذة مرام محمد ما نصه بتصريف يسير: (كان صلاح عطية رجلاً بأمة كاملة ، علماً من أعلام الخير ، عاش حياته يخدم من حوله بكل طاقاته وإمكاناته ، جعلته ظاهرة فريدة وعظيمة في حياته ووفاته ، أربعون عاماً من الكفاح والعمل ظل خلالها سندا وعونا للبسطاء ، يشق الصخر في سبيل خدمتهم والنهوض بهم وحياتهم ، فقد نذر حياته لإسعاد أهله من بني وطنه الذين ارتبط بهم وعاش معهم بعقله وقلبه ووجدانه ، والنهوض بوطنه الذي كان بالنسبة له الانتماء والوفاء والتضحية والفداء والعزير على قلوب الشرفاء ، إنه الأب الروحي لأهالي

قرية تفهنا الأشراف رجل الأعمال الراحل صلاح عطية. نجح رجل الخير صلاح عطية ، بذكائه وعقليته التجارية الفذة وجهوده وبصماته الرائعة في العمل الخيري والتطوعي التي مازالت شامخة وراسخة أن يجعل من "تفهنا الأشراف" إحدى القرى التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية ، قرية نموذجية هزمت الفقر والبطالة والامية ، واستطاعت أن تحقق الاكتفاء الذاتي اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً بالمشاريع الخيرية والتنمية والجهود الذاتية ، دون أن يبحث عن جاه أو مال أو سلطة ، عاش مليارديراً في حب الخير والعطاء للناس والوطن ، يبني ويعمر ويزرع بذور الخير بعيداً عن أضواء الشهرة ؛ إيماناً منه "أن في قضاء حوائج الناس لذة لا يعرفها إلا من جربها" ، ضاربا بذلك نموذجاً مُشرفاً وحضارياً للعمل الإنساني والخيري ، وخير قدوة لكل طامح في النجاح. لقد ظلت حكاية "صلاح عطية" راسخة في قلوب ووجدان المصريين ، لما خلده من مشاريع تنموية هائلة نجحت في أن تحقق طفرة اقتصادية بمسقط رأسه: قرية تفهنا الأشراف ومختلف القرى التي خطت قدماء فيها ، فهو رجل أعمال عصامي ، بدأ حياته من الصفر بمشروع دواجن و200 جنيه وبعد رحلة كفاح ومثابرة كان عنوانها: "عمل الخير لله تعالى ، ثم للناس والوطن" أصبح واحداً من كبار رجال التجارة والصناعة في مصر ، ينعم بحب وتقدير الناس وأسطورة لم تمت في فعل الخير ! لقد مثل رجل الأعمال والمهندس صلاح عطية للمصريين وطناً للخير والعطاء في إنسانيته وجميل أخلاقه ، لم يغتر بالمناصب ورفض الوجاهة الاجتماعية والسياسية ، ووهب حياته وماله للعمل الخيري وخدمة شعبه ووطنه ، عاش للآخرين وبالرغم من رحيله ظل حياً بعمله ومشاريعه المنتشرة في كافة ربوع مصر ، مستحقاً لقب "رجل بأمة" ، هكذا تحدث محمود جودة مصطفى عطية ابن شقيق الراحل صلاح عطية لـ"اليوم السابع" عن عمه الذي تاجر مع الله ، وعاش حياته لعمل الخير وخدمة الناس والوطن ، فقال إن صلاح عطية لم يؤثر على مصر فقط ، بل وصل تأثيره لجميع الدول العربية ، فكان معروفاً في العالم العربي بأنه رجل البر والخير والتقوى ، أطلق عليه أكثر من لقب بعد وفاته كـ"الدكتور الذي تاجر مع الله" ، و"رجل الخير" ، مشيراً إلى أن متاجرته مع الله سبحانه وتعالى هي أكثر أعماله التي أفاد ونفع بها البشرية بعد أن عرفوا بقصته وحكاية نجاحه في "المتاجرة مع الله." وقصة نجاح صلاح عطية أيقونة الخير والعطاء لم تكن قصة عادية ، بل كانت تاريخاً من التضحية والعطاء شعارها الكفاح والعمل والاجتهاد في سبيل الخير والتجارة مع الله تعالى والسر كان في "الشريك الأعظم" ، بهذه الكلمات تابع "محمود" حديثه ، فقال عن نشأة عمه إنه بدأ حياته من الصفر ، نشأ محباً للعطاء والخير في أسرة ريفية بسيطة بقرية (تفهنا الأشراف) التابعة لمركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية ، ترعرع على الإيمان والتقوى وحب الدين مقتدياً بوالده الذي زرع فيه حب العطاء ومساعدة الغير ، غرس فيه الشعور بالبسطاء والوقوف بجانبهم ، وأنشأه على البساطة والتواضع والرضا والفتنعة ، قائلًا: "صلاح عطية كان مقاس رجله 42 وكان يلبس حذاء مقاس 43 ، ولما كانوا يسألونه عن السبب كان يقولهم (عشان لما يدوب أعرف أركب له نعل وأقصره ويعيش معيا سنة واتنين ، أيام زمان مكنتش زي دلوقتي) ، صلاح عطية كان قنوعاً وراضياً بالجنيه الذي معه ، عندما كان يحب يذاكر كان يوفر (اللمبة الجاز) ، ويخرج يذاكر في الشارع تحت عمود النور ، كان يلبس القبقاب الخشب (بتاع زمان) ولما كان يمر من تحت البيوت ، كان يتعرف من صوت قبقابه ، وإنه خارج يذاكر تحت عمود النور." واستطرد أن صلاح عطية درس في كلية الزراعة ، وعمل وكافح واجتهد معتمداً على ذاته ، ففي الوقت

الذي كانت فيه القرية معدومة من الإمكانيات والخدمات وكافة أوجه الحياة فيها بسيطة ، بنى نفسه بنفسه حتى بلغ مكانة اقتصادية رفيعة ، متابعاً: "صلاح عطية كان من المتفوقين ، ولما كان يحب يذاكر (كان يروح تحت عمود النور في الشارع عشان يعرف يذاكر) ، فبالرغم من ضعف الخدمات والإمكانيات إلا إنه لم يكن يتأثر في دروسه أو مذاكرته ، لم يكن يتعاطم على أي شيء ، يطمح ويسعى لخدمة بلده وناسه وأهله ، لما كان يرجع من الكلية ويشوف عمه يزرع في الأرض ، كان ينزل ويساعده ويزرع معه ، وكان يضم الغلة مع أعمامه ولا يقول: أنا رجل في كلية وصاحب علم (إيه اللي يخليني أزرع وانزل الأرض) ، طول عمره كان متواضع في لبسه وكلامه وأكله وتعامله مع الناس." وأشار إلى أن بعد تخرج "صلاح عطية" من كلية الزراعة ، قرر هو وصديقه "صلاح خضر" أن يؤسسا سوياً شركة يكون عملها في نفس مجال دراستهم المرتبط بالزراعة والإنتاج الحيواني ، فكانت بدايتهم بشراء سيارة يعملون من خلالها سوياً ، يتناوبان العمل عليها والسفر من خلالها إلى المدن الأخرى لشراء الكتاكيت وتوزيعها على المزارع ، وظلا يعملان على السيارة ويدخران ما يحصدانه من أموال ، حتى قررا أن يؤسسا شركة كبيرة مساهمة مع عدد من زملائهم في القرية ، مشيراً إلى أنهما نجحا خلالها في تجميع 9 أفراد ، كل واحد منهم ساهم بمائتي جنيه لافتتاح الشركة أو المكتب الذي مثل بدايتهم ونقطة انطلاقهم في مركز ميت غمر ، وبالرغم من تجميع 9 شركاء إلا أنهم كانوا لا يزالون بحاجة إلى شريك عاشر ليتمكنوا من تأسيس المشروع وتوزيع الأرباح بينهم. إن حب صلاح عطية للخير والعطاء كان المحرك الدائم لأفكاره وقراراته في الحياة ، فكان على يقين بأن التجارة مع الله هي أفضل التجارات الرباحة في الدنيا ، عاقبتها إلى الخير ، والطريق إلى الثواب الكبير ، وأن غاية الحياة الدنيا أن يبذل الإنسان جهده في عبادة الله تعالى عبادة خالصة والرضا والقناعة بالنعم الربانية دون أن ينخدع بمباهج الحياة الفانية وملذاتها الزائلة من مال وشهرة ومنتعة لا تجدي نفعا وبعيدة كل البعد عن تحقيق السعادة الأبدية ، فنجح "صلاح عطية" في فهمه للحياة ، محسناً الغرس بالمتاجرة مع الله بعمل الخير والعطاء لأجل البسطاء والفقراء ، فتابع "محمود" حديثه عن عمه أيقونة الخير والعطاء صلاح عطية ، بأن سر نجاحه تمثل في "الشريك الأعظم" ، مشيراً إلى أن بعد مرور يومين من التفكير والبحث عن الشريك العاشر ، اجتمع الشركاء التسعة وأثناء كتابة عقود التأسيس والشراكة ، ظل الشركاء يسألون عن الشريك العاشر الذي سينضم إليهم ويوقع معهم عقود الشراكة ، أخبرهم "صلاح عطية" بأنهم سيوقعون العقود وأنه أحضر الشريك العاشر ، فانتاب زملاؤه الفضول لمعرفة هوية الشريك العاشر إلا أنه رفض الإفصاح عنه وأخبرهم بأنهم سيعرفون هويته أثناء توقيع العقود ، مشيراً إلى أن عند توقيع عقود الشركة ، كل واحد منهم وقع على العقد الخاص به وظل رقم عشرة بدون تدوين في العقد ، وعندما سألوا "صلاح عطية" عن هوية الشريك العاشر قال لهم "اكتبوا الله سبحانه وتعالى" ، فاستغرب شركاؤه وأصيبوا بالدهشة والاستغراب وظنوا أنه يمزح معهم إلا أنه أكد عليهم بأن الله سبحانه وتعالى سيكون الشريك العاشر معهم ، قانلاً لهم: "كل واحد منا سيحصل على 10% من الأرباح والـ10% الخاصة بالشريك العاشر "ربنا" ه يتم توزيعها على البسطاء والفقراء ، عشان ربنا يحفظ لنا هذا المال ويزيده." سنة والثانية والثالثة وربنا فتح عليهم" .. بهذه الكلمات تابع "محمود" ، حديثه ، فقال إن الشركاء التسعة نجحوا نجاحاً باهراً في مشروعهم ، واستطاعوا أن يحققوا أرباحاً كبيرة عاما تلو الآخر ، مشيراً إلى أن بعد مرور عدة سنوات قرر عدد من الشركاء الانفصال

والاستقلال بمشاريع خاصة بهم ، وظل "الصلاحان" صلاح عطية ، و"صلاح خضر" ومعهما الشريك الثالث "الله" سبحانه وتعالى ، وبالتالي ظل في المشروع ثلاثة شركاء فقط كل واحد منهم له ثلث الأرباح ، مخصصين الثلث الخاص بالشريك الثالث "الله" لكفالة اليتامى والبسطاء ، وبعد مرور عامين من الكفاح والعمل زاد نجاحهم وزادت أرباحهم ، فقرروا أن يزيدوا من نصيب الشريك الثالث "الله" ، ففي ظل نجاحهم وتوسع تجارتهم لم ينسوا الخير والعطاء ولو للحظة واحدة وما عاهدوا الله عليه في أن يكون عملهم لخدمة الناس والوطن. وكان صلاح عطية رجلاً عظيماً وبفكرة أراد بها أن يتاجر مع الله ، وينفع بها أهله ووطنه زرع وأعطى كثيراً بالعطاء والخير ، وأثمر اجتهاده وكفاحه في الحياة عن مؤسسات تعليمية وتربوية وصحية واجتماعية نهضت بقريته ووفرت حياة كريمة لأبنائها أبد الدهر ، لم ينجب أبناءً ، فكان طلابه بالمعاهد والكليات التي شيدها بعطائه وخيره وناسه وأهله في قريته هم أبنائه وسبب فرحته في الحياة ، موضحاً أن "صلاح عطية" عندما قرر في البداية أن يقدم شيئاً لقريته ومسقط رأسه تفهنا الأشراف ، فكر في إنشاء معهد ديني ابتدائي لتحفيظ القرآن الكريم ، ومع مرور الوقت وسع الله تعالى من تجارتهم وزاد رزقهم ، فأصبحت القرية تنعم بستة معاهد أزهرية لكافة المراحل التعليمية ، قانلاً: "لك أن تتخيل أن واحداً كصلاح عطية لم يرزقه الله بنعمة الأبناء ، عندما يدخل المعهد تحفيظ القرآن ويجد فيه ما يقرب من 150 طفل يحفظون القرآن الكريم ، يناديه الأطفال بسعادة ولهفة "بابا صلاح جه" ، مشيراً إلى أن صلاح عطية كان يقول لهم يوماً "أنا عندي كلمة بابا صلاح دي بالدنيا كلها" ، مشيراً إلى أن صلاح عطية كان بمثابة الأب الروحي لجميع أبناء القرية من صغيرهم لكبيرهم ، أثر في جميع أبناء قريته وغير حياتهم للأفضل ، فبمجرد ذكر اسمه في أي شارع أو حارة بالقرية تجد الجميع يقولون عنه "ياه.. صلاح عطية مكنش أخ أو أب لنا ، كان لقمنا وشربة الماية ، كان رزقنا من عند ربنا." كما أنشأ أربع كليات ومدينة جامعية ، تحولت القرية لمركز تجاري ينشط اقتصادياً ويربط القرى والمدن ببعضها البعض ، بعد أن كانت المعاهد والكليات سبباً في إنشاء محطة قطار في القرية تنقل الطلاب من وإلى القرية ، وإنشاء العديد من المشروعات الخدمية التي وفرت فرص عمل لأهالي القرية والقرى المجاورة كتوفير وسائل مواصلات مختلفة لنقل الطلبة ، ومحلات ومطاعم ، ومكتبات ، وسكن للطلبة ، وورش للنجارة والحرف اليدوية ومشاعل لعمل أزياء الطلاب ، ومطابخ لتقديم وجبات غذائية للطلاب ، كذلك تدريب الفتيات والسيدات علي الخياطة لرفع المستوى المعيشي للأسر من خلال إعطائهن ماكينات خياطة وتكليفهن بتفصيل مرايل الحضانة ، كما استفادت غالبية البيوت ببناء حجرات إضافية لتأجيرها للطلاب ، فضلاً عن العديد من المشروعات التنموية الأخرى التي خدمت العملية التعليمية والتربوية والصحية والاجتماعية وقضت على الفقر والامية والبطالة بقريته ووفرت حياة كريمة لأبنائها أبد الدهر. وكان صلاح عطية صاحب نظرة مستقبلية ورؤية واضحة بعيدة المدى ، ومن هنا كانت انطلاقته نحو تأسيس عدد من المعاهد الأزهرية والكليات التعليمية كأول مرة في قرية ريفية في مصر ، فأشار "محمود" إلى أن صلاح عطية أراد أن يؤسس عدد من الكليات في قرية تفهنا الأشراف ، فاجتمع بالشيخ جاد الحق شيخ الأزهر الشريف ومفتي الديار المصرية سابقاً ، ليعرض عليه رغبته ، وعند سماع الشيخ لما قاله صلاح عطية قال له: "انت بتهزري يا صلاح ، كليات إيه اللي انت عايز تعملها؟! ، فكان رد صلاح عطية عليه: "أنا عايز أعمل كليات أزهرية في تفهنا الأشراف" ، فرد عليه الشيخ جاد الحق: "إزاي قرية صغيرة



يتعمل فيها كليات؟! فقال له " عطية: "أنا هعمل منظومة الأزهر الإسلامي كاملة في تفهنا الأشراف ومش عايز معونة من حد ، كله هبة من عند ربنا" ، وعندما سأله الشيخ جاد الحق عن كيفية حضور الطلبة إلى قرية تفهنا الأشراف في الوقت الذي لا يوجد فيه محطة قطار بالقرية ، قال له صلاح عطية: "سنة واحدة وهيكون فيه محطة قطر في القرية" ، وكانت محطة قطار "تفهنا الأشراف" الوحيدة من مدينة الزقازيق إلى مدينة ميت غمر يقف فيها الإكس والسريع وقطار الإسكندرية ، مشيراً إلى أنه بدأ مباشرة في تنفيذ خطته التنموية بإنشاء الكليات في "تفهنا الأشراف" ، وأصبحت أول قرية ريفية على مستوى مصر تضم منظومة الأزهر الشريف كاملة بداية من الكتاب وحتى الكلية ، والقرية الوحيدة التي تضم 4 كليات تعليمية في مصر ، مشيراً إلى أن قبل أن ينشئ صلاح عطية الكليات قام بإنشاء أكثر من 36 معهد ديني على مستوى الجمهورية ، كان أولها في قرية "تفهنا الأشراف" ومن ثم أنشأ المعاهد الأخرى في مختلف القرى والمدن والمحافظات كالشرقية وزفتى والعريش وصعيد مصر والفيوم والغربية والمنوفية والدقهلية ، "مكنش بيقول لحد لا." لقد اجتمع الناس على حب صلاح عطية رجل الخير والإنسانية ، فكان بالنسبة لهم الأب الروحي الذي يسمع لهم ولمشاكلهم ، يراهم ويحسن من حياتهم ، يوفر لهم كل ما يحتاجونه ويقدم لهم كل ما يعينهم في أمور حياتهم ويكفل لهم ولأبنائهم الحياة الكريمة من مؤسسات تعليمية وصحية وصناعية ، كان إنساناً حكيماً صاحب مبدأ في الحياة ، عاش على تراب هذه الأرض الطيبة بين البسطاء ، كحلم جميل احتضن أهله وشعر بهم وعمل على راحتهم واضعهم نصب عينيه كأب لهم ، سخر كل الإمكانيات ليعمل على نهضة الإنسان قبل البنيان ، اهتم بالتعليم والصحة وتوفير فرص عمل لهم ، تعدت عطايه لكل شبر في مصر ، فكان حالة تفرد تاريخية جعلته في قلب كل فرد دون استثناء ، كان ينزل بين الناس ويجتمع بهم يتحدث إليهم بتواضع وحكمة ، يستمع لمشاكلهم بعمق ويشجعهم على الوحدة والتآزر والمشاركة المجتمعية في دفع عجلة التنمية في القرى ، فيقول "محمود": إن صلاح عطية كل يستقبل وفداً كل يوم جمعة من مختلف القرى والمدن ، يستمع إلى طلباتهم واحتياجاتهم من مشاريع كبناء مسجد او معهد وغيرها ، فيحدد لهم موعداً محدداً لإقامة أمسية يجتمع فيها مع الأهالي برفقة عدد من كبار الشيوخ وخلالها يضع حجر أساس المشروع." واستشهد ابن شقيق صلاح عطية ، بما كان يقوله عمه في الأمسيات من كلمات تحفيزية للأهالي في القرى لاستكمال تشييد المشروع ، "أنا خلصت جمع الفلوس.. عايزين خامات يا بلد ، أول خامات هنبداً بيها الطوب ، فيطلع واحد ويقول أنا عندي 5 آلاف طوبة ، وشخص تاني يعرض المساهمة بـ3 آلاف طوبة ، خلصنا الطوب يا بلد ، عايزين الحديد" ، وتستمر الأمسية حتى يساهم كل الحاضرين كل على حسب استطاعته لإنشاء المشروع ، مضيفاً "البلد اللي مكنتش بطلع الجنيه ، الشيخ محمد متولي الشعراوي كان يقول لصلاح عطية ، "أنت جرابك فيه إيه؟! أنت عامل زي الحاوي ، طلع اللي في جرابك" فيرد عليه صلاح عطية ويقول له: "أنا جرابي فيه عطاء الله.. الله.. الله ، الفلوس مش بتاعتي ، الأرض اللي أنا واقف عليها مش بتاعتي ، اللقمة اللي أنا باكلها مش بتاعتي ، أوعى تقول من عندك ، قول من عند الله.. انت ومالك وأكلك وشربك وعيالك من عند الله." كان صلاح عطية يجمع ثمن المعهد وهو قاعد" ، بهذه الكلمات تابع "محمود" حديثه ، فقال إن المهندس صلاح عطية اعتاد على أن ينظم أمسيات في مختلف القرى برفقة كلا من فضيلة الشيخ رفيق النكلاوي ، والشيخ عزت حرك ، كان يجتمع بالأهالي ويدعوهم للوحدة والمشاركة في أن يكون

لهم دور وبصمة في تأسيس المعاهد ، مستذكرا كلماته التي كان يقولها للأهالي ليحفزهم ويشجعهم على المساهمة في إنشاء المعهد الخاص بقريتهم ، "مهر البلد دي.. المعهد مهره 20 ألف جنيه.. معايا أهم نقدي ، عايز أشوف البلد لو مقدرتش تدفع أد المهر بتاعي أنا هدفع الشبكة والمهر مرتين كمان عليهم" ، مضيفاً أنه بكلماته المحفزة للناس كان يساهم كل فرد من القرية بما في مقدرتة ، فمنهم من كان يساهم بمائة ومنهم من كان يساهم بمائتين وأكثر ، ومنهم من كانت تقوم ببيع خاتم زواجها لتساهم بثمنه في بناء المعهد ، وكان الأطفال يخلعون حلقاتهم ويساهمون بها ، قائلين إن في إحدى الأمسيات ذهبت إحدى السيدات الأرامل إلى صلاح عطية ، والتي كانت تجاهد وتكافح في الحياة ببيع الدواجن لتتمكن من الإنفاق على أبنائها الأيتام ، تخبره بأنها لا تمتلك من النقود ما يمكنها من المساهمة في بناء المعهد وأن كل ما تمتلكه هو ما تبيعه من دجاج ويط تنفق من خلالها على نفسها وأبنائها ، قائلة له: "أنا معايا دكر بط دلوقتي تمنه خمسين جنيه ، تقبلوه؟" ، فرد عليها صلاح عطية قائلاً: "نقبله.. يا حضرات الذكر البط ده إحنا هنعمل عليه مزاد ، مين اللي بيحب ياكل بط؟ هندخل مزاد عليه" ، مشيراً إلى أن المزاد استمر على البطة حتى وصل المزاد عليها لـ10 آلاف جنيه ، وبعدها قام صلاح عطية بارجاع البطة للسيدة ، وأخبرها بأنها هدية لها من كبار البلد وخصص لها معاشاً شهرياً من بيت مال المسلمين ، ومن بعدها أنشئ المعهد الديني وتوالت المعاهد في مختلف المدن ، قائلين: الناس كانوا يندهشون من مهارته الفائقة في إقناع الأهالي بالمشاركة والمساهمة في إنشاء المعاهد ، قائلين له بعد انتهاء الأمسية: "إيه يا عم صلاح انت في ساعة لميت تمن المعهد!! وتابع قائلاً: صلاح عطية قام بتأسيس عدد من اللجان المختصة برعاية مصالح الناس وحل مشاكلهم والاهتمام بهم ، فقام بتأسيس لجنة تختص بالزراعة لبحث كيفية زيادة إنتاجية المحاصيل المزروعة ، ولجنة للشباب تختص بفتح مجالات أنشطة مفيدة ونافعة لهم وتوفر فرص عمل مختلفة لهم كإمدادهم بالبضائع التي تعينهم على البدء في مشاريع خاصة تمكنهم من العمل وتوفير دخل لهم ولأسرهم ، وتدريب الفتيات والسيدات علي الخياطة وإعطاؤهن ماكينات خياطة وتكليفهن بتفصيل مرايل الحضانة التي يتم توزيعها بالمجان فضمنت السيدات تسويق الإنتاج مما رفع من المستوى المعيشي لهن وتم حصر أصحاب الحرف بحيث تم شراء أدوات الحرفة لكل منهم للإنتقال بعملهم الخاص ، ولجنة أخرى للتعليم لرفع المستوى التعليمي بالقرية ، ولجنة للصحة تعمل علي علاج المرضى بالمجان والتوعية الصحية ولجنة للزكاة وظيفتها تجميع أموال الزكاة وتوزيعها في مصارفها الشرعية ، ولجنة للقانون ، ولجنة أخرى للمصالحات كانت كمنهج إصلاح حاول من خلاله صلاح عطية أن ينهي الخصومات والخلافات في قريته ، كما أنه خصص لجنة تهتم بتحقيق الترابط بين القرى المختلفة وتوطيد العلاقات بين الأهالي ، كانت تقوم بنقل الأهالي ووفود من "تفهن الأشراف" للقرى والمدن الأخرى لمشاركتهم في أحزانهم وأفراحهم. كما كان يهتم بصحة الأهالي ولذلك قام ببناء مستشفى في قريته ورفض كتابة اسمه عليها مطلقاً عليها اسم: "مستشفى البدر الخيري" ، قام برصف الشوارع في قريته ما يقرب من ست مرات على نفقته الخاصة ، وعندما قام بإنشاء أول مزرعة دواجن ، كان يوزع نصف كمية الدواجن على أهل البلد ، ورحل تاركاً كل ما يمتلكه من أموال وما شيده من مشاريع وشركات وفقاً خيراً لله سبحانه وتعالى ، واستطاع بمشاريعه أن يوفر العديد من فرص العمل للأهالي ، فأحدى الشركات تنفق على ما يقرب من 3 آلاف بيت ، فضلاً عن المشاريع الأخرى كالمستشفيات والمزارع وغيرها من

المشاريع التي استطاعت أن توفر فرص عمل لأهالي "نفهنا الأشراف" والقرى المحيطة ، مؤكداً على أنه وضع في بنوده أن تكون الأولوية في التوظيف عمالة 50% من أهالي نفهنا الأشراف. وعاش حياته كلها ولم يكن معروفاً في الإعلام ولا في الجمهورية كلها ، شرفنا وهو عايش وشرفنا بعد ما مات" .. بهذه الكلمات تابع "محمود" حديثه ، فأشار إلى أن صلاح عطية رفض كتابة اسمه على أي من مشاريعه الخيرية حتى قبل وفاته أوصاهم بعدم كتابة اسمه على المقابر ، وكان يرفض الظهور الإعلامي والشهرة ، لم ينتم إلى حزب أو جماعة معينة ، رفض أن يكون له أي توجه سياسي أو أن يشغل منصباً محدداً بالرغم من علاقاته الوطيدة بكبار الشخصيات والمشايخ ومحبة الناس له ، فلم يكن له علاقة بأي شيء سوى عمل الخير والكفاح والاجتهاد في سبيل التنمية والتطوير والاهتمام بحياة الناس وتعليمهم ومستقبلهم ، فسلك طريقاً واحداً فقط وهو عمل الخير في صمت بعيداً عن أضواء الشهرة ، لم يتوقف عنه ولو للحظة واحدة وظل مستمراً فيه حتى في أوقات الصعوبات والأزمات بفكر محدد وهو أن "ديني هو مصحفي ، إسلامي هو مصحفي ، عايز أكون غني فبمصحفي" ، قائلاً قبل وفاته: "يا رب اديني لحد ما أكمل مشاريعي وبعد كده أجيلك ، أنا جايلك وسايب مالك في الدنيا حافظ عليه واحفظه من بعدي يا رب وانني لأعتذر عن كل ما ورد في مقدمة هذه القصيدة الغالية من الكلمات العامية ، حيث إنني آثرت أن أدونها هنا هكذا بعامية من قالوها! وذلك حباً في الباشمهندس صلاح عطية – رحمه الله تعالى! فالرجل كان يحب أن يكون القول على طبيعته ، والعمل كذلك على طبيعته! فلقد كان الرجل بسيطاً متواضعاً ، وكان لا يحب التكلف الزائد!

سـنـرحـلُ حـتـمـاً ، ويبقى الأثرُ	وذي سُننة الواحدِ المُقتدرُ
وتبقى الأجـورُ لأهل العطا	سـراجاً يُضيئُ لمن يعتبر
وما استويا مُنفقٌ طيبٌ	عن البذل للخير لم يعتذر
وممسكٌ مال طغى شُحّه	وأضحى – بأمواله – يأتزر!
ويهوى الأنامُ الكريمَ الذي	يجودُ ، ولم يخش أن يفتقر
ويبذلُ ما عنده راضياً	وللحق – بين الورى – ينتصر
رأيتُ (المشـالي) مُستبشـراً	وُحِقَ له اليومُ أن يبشـر
به الطب يفخرُ في عالم	يقيمُ بالمال كل البشر
ولكن (دكتورنا) مُخلصٌ	يُحاكي – بدنيا الظلام – القمر
ومرضاهُ كم شاهدوا بذاه	بأخلاق شهم بهما يشتهر!
وأثـرَ فـيهم بأخلاقه	وإن يكُ ولى ، فيبقى الأثر
سـيبقى - مدى الدهر - إحسانه	وإخلاصه الظاهرُ المُستتر

على البذل والجود لم تقتصر  
وجيلاً به - في الدنيا - يفتخر  
وكم من معامع فيها انتصر!  
يديه ، ليعمرها من عمر!  
من الفقر يغشى الوجوه القتر!  
وكم من خواطر فيها جبر!  
ليعمل قوم بأعلى الأجر!  
أراض ، وحول السياج الشجر!  
له - في العطايا - جميل السير  
عظيم الفعال ، زكي الخبر  
إلهي رب القوي والقدر!

وأما (صلاح) فأيقونة  
فسائل عن الشهم أهل السخا  
فكم من مدارس فيها بنى!  
وكم من مساجد شيدت على  
وكم من بيوت بنى للألى  
وكم من مشافٍ بها أنشئت!  
وكم من مصانع شيدت بها  
وكم من مزارع قامت على  
مهندسنا في العطيا أسوة  
فرحمة ربي على محسن  
ولست أزكيه يوماً على

## ليس من الموت مفر!

(أوردت جريدة (الأنباء) الكويتية في عددها 6752 قصة حادث فظيع ، لأسرة التهمت النيران بيتها. فقامت ابتسام الابنة الكبرى بإلقاء أخواتها من النافذة والجيران يستقبلون. وألقت ابتسام أمها بذات الطريقة لتنقذها كما أنقذت أخواتها. وفي النهاية التهمت النار قدميها فلم تستطع إلقاء نفسها من النافذة محاولة الإبقاء على حياتها. بل سقطت في الغرفة التي اندلعت منها النيران. والناس ينظرون هول المأساة لتكون هذه المخلصة الوفية الضحية الوحيدة في هذا الحادث المروع! إن الآجال قد خطها الملوك بيده كما خط الأرزاق. (لكل أجل كتاب. يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب).

لِـوَا الْمـوْتِ لـِـيْسَ بِمـسـتـغـرَبٍ      وَإِنْ يـِئـكُ لـِـيْسَ بِمـسـتـعـذِبٍ  
تَأَمَّلْ تَرِ الْمـوْتِ يَجْئِي الْوَرَى      وَلِـيْسَ - مِـنَ الْمـوْتِ - مِـنْ مَهْرَبٍ  
وَأَسْبَابِهِ - فِي الدُّنَا - عُـدِّدَتْ      وَعِنَا الْحَقَائِقُ لَمْ تَحْجَبْ  
فَهَذَا يَمُوتُ بِبَلَاءٍ عُلِيَّةٍ      وَبِلَوَاهُ فِي الْأَكْبَادِ النَّحْبِ  
وَهَذَا - لِدَيْغًا - يُلَاقِي الرَّدَى      وَكَمْ عَاشَ بِالْأَمَلِ الْمُوعِبِ!  
وَهَذَا - صَرِيحًا - يَذُوقُ الْفَنَاءَ      وَقَدْ كَانَ - بَيْنَ الْغَثَا - يَخْتَبِي  
وَهَذَا تَعْقِبُهُ مَوْتُهُ      تَعْقِبَ خَيْلٍ - بِهِ - مُعْجَبِ  
وَهَذَا - مِـنَ الْمـوْتِ - لَمْ تَحْتَرَسْ      فَكَانَتْ تَرَى الْقَبْرَ كَالْمَلْعَبِ!  
وَهَذَا مَنِيَّتُهُمَا أَقْبَلَتْ      كَبْرَقَ سَرِيحِ الْخُطَا مُرْعَبِ  
وَتَلُوكَ - بِمَنْ مَاتَ - لَمْ تَعْتَبِرْ      فَقَدْ فَتَنْتَ بِالرُّخَا الْمُصْحَبِ  
وَأَمَّا (ابْتِسَامُ) ، فَذَاتُ سَمِّتْ      فَتَلُوكَ مِـنَ الْعَالَمِ الْأَنْجَبِ  
حُرُوفِي عَنِ الْوَصْفِ قَدْ أَجْمَعْتْ      كَأَنِّي بِهَا الشَّمْسَ لَمْ تَغْرَبْ  
كَأَنِّي بِهَا النُّورَ فِي عَالَمِ      تَعْتَرِفُ فِي ظِلْمَةِ الْغَيْهَبِ  
أَلَا (يَا ابْتِسَامُ) بَلَّغْتِ الذَّرَى      مِـنَ الْجُودِ بِالنَّفْسِ ، فَتَطْرَبِي  
وَفِي التُّضَاهِيَّاتِ اخْتَصَرْتِ الْمَدَى      وَفَزَتِ - هُنَاكَ - بِالْمَكْسَبِ  
وَفَقَّتِ الْأُمُومَةَ فِي عَظْفِهَا      وَفِي الْبِذْلِ فَقَّتِ حَنَّانَ الْأَبِ

وسنة خير الأنام النبي  
ورحبت بالسفر الملهب  
وظرت لعالمها الأرحب  
وما لفحها - قط - بالطيب  
كدوح - دنا ظلها - خلب  
وما لاحتراقك من مذهب!  
نجاتك من أفضل المطالب  
لعيش يُداعبها مرطب  
وتعطي عطاء العزيز الأبي  
يفوق شذى الفل والزنب  
ويُنكر - بذل الكرام - الغبي  
معين السخا - فيه - لم ينضب

وآيات ربك كانت هدى  
وجُدت - بروحك - محبورة  
وخزت المروة موفورة  
وطابت - لك - النار وهي الردى  
تحملت رغام كل الأذى  
ويمناك تقذف من أحرقوا  
حنانيك نفسك أولى بهذا  
وهذي البطولات لا ترعوي  
تضحى وتبذل عن رغبة  
وتعزف لمن العطاء شذى  
وتسخو - بما تشتهي - حسبة  
ويشكر رب السما سعي من

## ماتوا ، وعاش الخبر!

(لا يزال الفساد بأهله حتى يُدَنسهم في الدنيا والآخرة. وهذه سنة الله في المفسدين عذاب الدنيا بالأمراض والسمعة السيئة ، وعذاب الآخرة بالفضائح والنار) إن لم يتوبوا فيتوب الله عليهم. وهذي حفنة من الأوغاد الفسقة ، تعرفوا على ساقطة أوقعتهم في شباكها ، الوغد تلو الآخر. وفي كل مرة تقوم بالتقاط الصور والاحتفاظ بالأدلة المادية. وأخذت تحتال عليهم لانتهاج ثرواتهم ونيل كل ما تريد منهم. وهم فعلاً من أثرياء الناس ووجائهم ، مستغلة في ذلك جمالها. وعندما هددتهم بالأدلة والأشرطة أخذوا يفكرون في الخلاص منها. فقال أكثرهم إعجاباً بها وتولهاً بها ودلالاً عليها والذي عرفهم جميعاً عليها وأوقعهم في شراكها: نقوم بتهديدها بذات السلاح فلنلتقط لها التصاوير والأشرطة. وساعدهم الشيطان ، فنجحوا في ذلك بذات المقدار الذي كانت عليه (سمر) تلك الساقطة المرذولة. وأخذت تهددهم وتتوعددهم ، فراحوا (يهددوننا ويتوعدوننا. وقام الشيطان بإغراء الرجال بها وبإغرائها بهم) وأشعل فتيل الخلاص فقررروا قتلها وذلك في ذات الوقت الذي قررت قتلهم. فقامت هذه الداعرة الساقطة باستشارة إحدى صويحباتها من أصحاب الكار. واستقر الرأي على (السم) ، كما استقر رأي الأوغاد السفلة على السم. والعجيب أن اختيار السم من كلا الطرفين كان الوسيلة للخلاص من الآخر! رغم أنه لا يمكن أن يكون اتفاق بين الطرفين بالطبع! فأحضرت لهم طعاماً شهياً تعرف أنهم جميعاً يحبونه ، ودست فيه السم ، وهم كذلك أحضروا لها العصير والخمر كالعادة ، ولكن هذه المرة كان العصير والخمر قد تسمما بدرجة مكثفة. وتواعد هؤلاء جميعاً معها على ليلة من الليالي الحمراء. وشربت عصيرهم ، وأكلوا طعامها! فكان الجميع على موعد مع الموت ، ومات الجميع ، حيث كان كل فريق يأمن الآخر ، وذلك ليتم مقدور الله تعالى. وبقي الخبر الذي تولت إبلاغه الساقطة التي أشارت عليها. فقد حكى القصة في رسالة وأرسلتها إلى المحققين في الجريمة تلك ، وبالطبع لم تذكر اسمها حتى لا تصوب إليها أصابع الاتهام! فلم نصبح أمام جريمة كاملة خفي فيها الدليل! ولعل الله - سبحانه وتعالى - فعل بها وبهم ذلك حتى ينكشف الأمر وتنشر الفضيحة على رؤوس الأشهاد في الدنيا ، وتكون عبرة لكل مروء للفاحشة! ثم ينشرها الله على رؤوس الأشهاد في الآخرة. إن كل جريمة في الأرض لا بد لها من ثغرة منها تعرف الخبايا والخفايا ، ويتوصل من خلالها إلى الأسرار ، وتترك الحقائق ، وهذه الثغرة أشبه ما تكون بالخيط الذي تجر منه الحقائق المتصلة بالجريمة حقيقة وراء أخرى. وتلك نهاية كل من يلعب بالنار عابثاً زاعماً أنه بمنجى عن الاحتراق. ولقد أملاه الله عز وجل بما فيه الكفاية وأمهلهم بالقدر الذي تتحقق به الموعظة وتوجد التوبة والإنابة ، ولكن القوم كانوا سادرين في الغي. والحقيقة المرة أن الشيطان قد زين لهم جميعاً سوء أعمالهم فأروها حسنة. والأصل أن لا يتبع المسلم خطوات الشيطان لأنها الطريق إلى كل خطيئة وكارثة. وكلما ابتعد الناس عن القيم والأخلاق والمبادئ ، كلما ذاقوا الويلات تلو الويلات واحترقوا بالنار تلو النار. وليس أليق بأن يصلح الإنسان إلا دين الله عز وجل (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟) والحقيقة الأكثر مرارة أن الفضيحة أطول عمراً من أصحابها ، وهذا الذي أردت إيصاله للقارئ من خلال هذه القصيدة ، التي أعنون لها برأيي في القصة أصلاً. فلقد رأينا كيف مات هؤلاء ، وكيف بقيت قصتهم تتناقلها الأجيال تلو الأجيال ، وتلو كها الألسن في كل مكان. وفي يوم الخميس 2 مارس 2017م ذكرت سكاى نيوز عربية - أبوظبي صوراً من الانتقام تقول ما نصه: (رغم أن الانتقام ليس طبعاً في جميع النساء ، إلا أن من المعروف جداً أنه أسهل الطرق التي تلجأ إليها

المرأة المجروحة عاطفياً من قبل شريكها. ففي السعودية ، قامت زوجة بنشر مقطع لزوجها أثناء مغالته وتحرشه بالخدمة على مواقع التواصل الاجتماعي ، ليشهد الجميع على خيانتها. وأما في الكويت ، فقد طلبت زوجة تسكن مع زوجها ، الذي قرر الزواج بامرأة ثانية ، في عمارة من 3 طوابق ، تسجيل الدور السفلي من المنزل باسمها ، وهو الطلب الذي نفذه الرجل. وبعد حصولها الفعلي على الشقة ، طالبت بالطلاق وتزوجت برجل آخر ، مما جعل زوجها الأول يصاب بالهوس الاكتيبي ، حيث كان عليه أن يشاهد في كل مرة زوجته السابقة تدخل وتخرج من منزلها مع رجل آخر. وفي أستراليا أقدمت إحدى النساء على سكب زيت مغلي على وجه زوجها ، بعدما علمت بعودته لزوجته الأولى ، مما أدى إلى تشووه بشكل دائم. وبعدها اكتشفت خيانة زوجها لها ، انتقمت زوجة بريطانية منه بطريقة غريبة ، إذ لم تصارحه ، بل قصدت شركة إعلانات وحجزت لوحة إعلانية كبيرة على الطريق التي يسلكها زوجها إلى العمل. وكتبت عليها "إلى زوجي الخائن بول: أنت وهي تستحقان بعضكما ، عندما تعود إلى البيت الليلة لن تجدني ، استمتع بطريقك إلى العمل". وانتقمت بريطانية من زوجها بغرابة ، فبينما قامت زوجة تقطن في إقليم كازامنس السينغالي بإحراق خيمة عرس زوجها ، بعدما وصلها نبأ زواجه عليها. وراح حوالي 50 شخصاً ضحية الحادث. وفي الصين عملت سيدة تسكن مدينة هانتغشو شرق الصين ، على رش مبيدات حشرية سامة في ملابس داخلية قدمتها إلى زوجها "الخائن" على أنها هدية. وأمضى الرجل أسبوعين في العناية المكثفة ، بعد أن تدهورت حالته الصحية). هـ. أنشدت من شعري أقول في هذا الصدد:

نفق الأوغاد ، واغتيلت (سمر)	وفتأ الناس تجتُرُ الخبَرُ
لعبت بالنار يكوي وهجها	كل نار بذوها بعض الشرر
غرها إبليس ، فانصاعت له	واسستجابت لتردييه القذر
وتدنت في سراديب الهوى	دون خوفٍ أو حياءٍ أو حذر
واسستكانت للألى لم يرحموا	ضعف أنثى - لرداهها - تنحدر
وصبهاها يئس مستعذب	يأسر القلب ، ويقتال النظر
والجمال الغض فيها يشتهى	عادة تسبي أحاسيس البشر
قدها الميأس غصن يئس	وجمال الوجوه يُزري بالقمر
وبعينيها تناعي من رنا	ثم تكويه بأطراف الحور
سحر عينها أليم أخذه	فإذا ألقته أودى بالبصر
ولها صوت يسلي سامعاً!	نددنا العود من خلف الوتر!
لكن الغادة هذي فرطت	واسستعانت - في التدني - بالزمر



واستباحث كل ما تصبوا له  
 واستتهانت - بالبلايا - حولها  
 صحت للشمر أشقى خلّة  
 وزوايا البيت ضاقت بالتي  
 سلمت عرضاً ومالاً والجمي  
 أمتعتهم كي يلبوا ما اشتهت  
 كل نذل يبتغي مرضاتها  
 وأحاطتهم بموفور العطا  
 بينهم تمشي الهوينى ، تنتشي  
 تنتشي تيهاً ، وتزجي أنسها  
 ثم خانوها ، وراموا ضرّها  
 فاستشارت - للتحدي - حياة  
 وعلى السهم استقرت خطّة  
 وإذا الشورى دماراً ماجلاً  
 أخضراً لَمّا يدغ ، أو يابساً  
 بقيت تغشى الورى أخبارهم  
 من يبيع ديناً بدنيا ينهزم

ما اتقت رب الأنام المقتدر  
 مثل هذي كيف تصغي للندر؟  
 فلهما - في كل يوم - مؤتمر  
 ملأت - بالدعر - أركان الحجر  
 لضيوف البيت والعير الأخر  
 لم تخف - ياليت شعري - من سقر  
 هاذياً في السر والنجوى (سمر)  
 من نقود أو ثياب أو (غتر)  
 وحواليها أكاليق الزهر  
 لم تكن تخشى - من القوم - الخطر  
 ومن الأوغاد كم يأتي الضرر!  
 تستعير الكيد حتى تنتصر  
 كى يبيت الكل في جوف الحفر  
 مُعقّب - في الدار - بركان الغير  
 بل أباد الكل ، حتى والأثر  
 إن فيها للجميع المُعتبر  
 والذي يغشى الدنيا ينحدر

## المقابر تتكلم 1 (إنها تذكرة)

(إنني أهمس في آذان من أعماهم الشيطان بالأعيبه فصددهم عن صراط الله المستقيم. وأقول: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)؟ فإلى كل من ذاق حلاوة الإيمان ولذة الاستسلام لله بالتوحيد ولنبيه - صلى الله عليه وسلم - بالمتابعة وكتابته بالتطبيق. أقول: (إن هذه تذكرة). وأحاول أن أذكر بالله وشرعه وبسنته - تعالى - في إهلاك الظالمين المتجاوزين لحدوده. وأذكر بالموت وأهواله وكرباته ومحنه. وأذكر بمرور العمر سنة وراء سنة ، وأذكر بمن شيعناهم إلى قبورهم ونحن على الأثر. وأذكر بالحساب يوم القيامة والمصير إما إلى جنة وإما إلى نار. مروراً بحياة البرزخ. لعل القارئ لهذي القصيدة يتذكر أنه يوماً سوف يرحل عن هذه الحياة فيحاول صادقاً مع ربه أن يخلص عمله ويتدارك أمره قبل فوات الأوان. ولات ساعة مندم. جاء في (التبصرة) للإمام القرطبي - رحمه الله - قوله: كم من ظالم تعدى وجر ، فما راع الأهل ولا الجار ، بينما هو قد عقد الإصرار ، حلّ به الموت فحلّ من خلته الإزار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! ما صحبه سوى الكفن ، إلى بيت البلى والعفن ، فلو رأيته وقد حلت به الفتن ، وشين ذلك الوجه الحسن ، فلا تسأل كيف صار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! سال في اللحد صديده ، وبلى في القبر جديده ، وهجره نسيبه ووديده ، وتفرق شحمه وعبيده ، وتخلي عن الأنصار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! أين مجالسه العالية؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذته الخالية؟ كم تسفي على قبره السافية ، ذهبت العين وأخفيت الأثار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! تقطعت به جميع الأسباب ، وهجره القرناء والأتراب ، وربما فُتح له في اللحد باب النار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! خلي والله بما صنع ، واحتوشه الندم وما نفع ، وتمنى الخلاص وهيئات قد وقع ، وخلاه الخليل المصافي وانقطع ، واشتغل الأهل بما كان جمع ، وتملك أعداءه المال والدار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار! نادم بلا شك ولا خفا ، باكٍ على ما زلّ وهفا ، يود أن صافي اللذات ما صفى ، وعلم أنه كان يبني من جرفٍ هارٍ على شفا ، فاعتبروا يا أولي الأبصار!). هـ. وأقول: إن الذكي العبقرى الكيس هو الذي يعد نفسه إعداداً دقيقاً لهذا اليوم الذي يلقي فيه ربه وخالقه ومولاه. وليعلم أنه مسئول بين يديه عن كل كبيرة وصغيرة من أمره. ومن هنا وجب عليه أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبها الله ، وأن يزن أعماله قبل أن توزن عليه. وأن يتحلل من كل مظلمة كان قد اقترفها من قبل أن يأتي يوم لا درهم فيه ولا دينار. وإنها لنار أبداً أو جنة أبداً فليختر لنفسه ما يشاء. نسأل الله عز وجل من فضله العظيم ، ونعوذ به من غضبه وسوء عذابه. رزقنا الله تقواه ، وأدخلنا جنته ، وزحزحنا عن ناره يوم نلقاه ، وحشرنا مع نبيه. وفي محاضرة له بعنوان: (لو تكلم الموتى) يقول الأستاذ سليمان الماجد - متحدثاً عن معالم النجاة - ما نصه: (معالم النجاة عشرة لا تزيد: \* المعلم الأول: لا تُعجب بحالك الراهنة فإن الأعمال بالخواتيم قال - صلى الله عليه وسلم -: (إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم). \* المعلم الثاني: زيارة القبور خير طريق لتذكر الموت وما بعده فقد صحّ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فروروا فإنها تذكركم الآخرة). \* المعلم الثالث: إذا رأيت ميتاً فتصور أنك أنت الطريح بين يدي الإمام أو على النعش أو من يُنزل في حفرة القبر! فحريّ بنا حينئذٍ أن نراجع أنفسنا. \*المعلم الرابع: لا

تصاحب أهل اللهو والبطالة. \* المعلم الخامس: تذكر أنه مع حلاوة المتعة فإنه يعقبها مرارة الندم. \* المعلم السادس: لعلك قد كتبت الآن في الأموات بعد مدة يسيرة وأنت تسرح وتمرح بلا توبة ولا مراجعة. \* المعلم السابع: كل متعة تعتبر هباءً عند حلول الموت فلماذا نعصي الله - عز وجل - من أجل هذه المتعة {أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ \* ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ \* مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ}. \* المعلم الثامن: السعيد من وعظ بغيره ، قال زين الدين المعبري: (تذكر من مضى من أقاربك وإخوانك وأصحابك وأترابك الذين مضوا قبلك كانوا يحرصون حرصك ويسعون سعيك ويعملون في الدنيا عملك فقصفت المنون أعناقهم وقلعت أعراقهم وقصمت أصلابهم وفجعت فيهم أحبابهم فأفردوا في قبور موحشة وصاروا جيفاً مدهشة والأحداق سالت والألوان حالت والفصاحة زالت والرووس تغيرت ومالت مع فتان يُقعدهم يسألهم عما كانوا يعتقدون ثم يكشف لهم من الجنة والنار مقدهم إلى يوم يبعثون فيرون أرضاً مبدلة وسماء مشققة وشمساً مكورة ونجوماً منكورة وملائكته منزله وأهوالاً مذعرة وصحف منشرة وناراً زفرة وجنة مزخرقة فعدّ نفسك منهم ولا تغفل عن زاد معادك ولا تهمل نفسك سدىً كالبهائم ترتع ولا تدري). \* المعلم التاسع: الأيام خزائن وما مضى فإنه لا يعود {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ}. \* المعلم العاشر: لا ذكرى بغير إنابة ولا انتفاع بغير استجابة {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}. (هـ).

والموث ليس بمنذر من يهرب	العمر يمضي ، والمنيّة ترقب
وملائك الرحمن سعيك تكتب	وسني عمرك في استباق دائم
حتى متى في وقت جدك تلعب؟	وأراك تضحك ، ثم تلعب عابثاً
لترى جلال الموت كيف يؤدب؟	أولم تشيّع للمقابر ميتاً
حتى تراجع ما تظن وتحسب؟	أولم تغسل في حياتك ميتاً
ومضوا ، وفي جوف المقابر غيبوا؟	أولم تزر أجداث قوم جندلوا
والعزم أين؟ وأين برق خلب؟	أوما سألت النفس أين شباها؟
حتى تكف عن الهوى يا مذنب؟	أوما اعتبرت بمن مضى مسترشداً
هل عمر الأقوام ما قد خربوا؟	أوما نظرت إلى فراغنة الدنا؟
فيردك الأمر الذي هو أصعب؟	أوما نظرت إلى سقيم مبتلى
لهو الطفولة في الحياة يغلب	قد كنت طفلاً في محياه السنأ!
وعلى لحون غنايه يتقلب	يختال بين رفاقة مترنماً

وتحده أمال تشاطره الغنا  
أبدأ تداعبه الحقول فيسـتحي  
وكذا تراهنه الورود على الخدا!  
أما الحياة فلا يحس بعنفها  
فطعمه وشراؤه قد جهزا!  
ولباسه وفراشه وأمانه  
نسب أصاب من الأصالة جذرها  
أم لها نسب يُرام وسؤدد  
وغدوت في ريع الشباب مغرداً  
وحباك ربك الاستقامة والهـدى  
وقصدت للعلم الذي أعطاه  
فكتبت حتى قيل أروع كاتب  
ودخلت في ساح القريض منافحاً  
ودعوت غيرك للهـدى مستبصراً  
ودرست لم تك مستريباً جاهلاً  
وإذا سئلت أجبت ترشد سائلاً  
ومضيت للعلماء تستبق الخطا  
وقضيت ربحاً من شبابك عالماً  
واليوم في ثوب الكهولة تزدهي  
والشيب قد سلب الصبا بنيانه  
لا يهزم الشيب العجول سوى الردى

ولها يحن - على الدوام - ويـطرب  
منها ، له عرق عظيم صـيب  
إن الخداء - لدى القلوب - محبب  
وسـيـاطها من حوله تتلهب  
والفـذ يأكـل ما يريد ويشرب  
والأسـرة انبسطت يتوجهـا الأب  
إن الكـريم إلى الأكرام ينسب  
وأب له نسب أعز وأنجب  
تحنو على أرج الشباب وتحـدب  
والدين أغلى ما يُراد ويوهب  
رب يعلم مـن له يترقب  
طاب المـعين! لـذاك طاب المشرب!  
والصدق في - أفـاق شعرك - مذهب  
وخطبت لـما قيل مـن ذا يخطب؟  
والعلم في هـذي الحياة المكسب  
والجهل بالأحكام بئس الغيب!  
والعلم يرفع مـن يجـد وينصب  
وبكل مـن يأتيك كنت ترحب  
ماذا يؤمل في الحياة الأشيب؟  
والشـيب فـذ لـوذعي أدرب  
وسـهامه أبداً ريباً قلب

يا صاح باغتك المشيب ، فكُن على  
فانس الشيبية ، إذ تولى عهدُها  
ذهبت أمانيك العذاب كئيبية  
وضحية الآمال من يُصغي لها  
والشيبُ بالتقوى النجاة بعينها  
والله ما صان الشباب موحداً  
وإذا أضاع شبابه متفلسفاً  
وغداً تموت ، فلن تخلد هانها  
وتعالج السكراتِ وحدك ، فانتبه  
وتذوق ما كتب المليك من الفنا  
وعلى لظى الغمرات تصرخ عاتباً  
وملائك الجبار روحك تجتني!  
أتراك تقوى أن تخالف أمرهم؟  
حتى إذا قبضوا الوديعه جندلت  
وإذا بعيني غافل قد غارتا  
وإذا بقلبك قد توقف معاناً  
وإذا بأطرافٍ تغشاها الجوى  
وستدخل القبر البهيم عليك من  
وتكون وحدك في التراب مُجنداً!  
وتكون أنت غداءً دودٍ يُزدرى  
ومشيعوك عليك يُلقون الثرى

حذر ، فليس من الكهولة مهرب!  
ودع الذي في شيبه يتشيب  
والعمرُ أغيارٌ ترى وتقلب  
وكلامها عما قليل يذهب  
وبدونها عارٌ يذل ويُعطب  
إلا وشمسُ مشيبه لا تغرب  
سئذ في غل المشيب وينكب  
وتباع دارك ، والجواهرُ تنهب  
وترى الذي ما لم تكن تتحسب  
وجميعُ ما حولت حتماً يسلب  
والموت ليس بمغفل من يعتب  
أمروا ، فضمهمُ جميعاً موكب  
أعلى الملائك يا مغفل تغضب؟  
أشلاءً جسمك تستغيث وتندب  
وإذا السكون عن المصيبة يعرب  
بدء النهاية ، إنه لا يكذب  
واللونُ يفزع ، والثنايا ترعب  
أثر الذنوب غمانم لا تحجب  
الدارُ أين؟ وأهلها والمركب؟  
أتخاله من أكل لحمك يتعب؟  
والبرزخ الأبدى قسراً يضرب

وسينزل الملكان حتى يسألا  
عن ربنا والدين ثم نبيه  
يا سعد من ربي يثبته ، فلا  
فيقول: إن الله ربي وحده  
والدين (إسلام) أقمته فروضه  
أما نبيي فالحبيب (محمد)  
ولسوف تبعث في القيامة أعزلاً  
الأمر أكبر من ظنونك حسرة!  
إن القيامة لن تجامل مجرماً  
أتري ضميرك كان يدرك هولها؟  
أم قد صُرفت عن القيامة والهدى؟  
أزهدت في الأخرى لتنعم ها هنا؟  
أترقع الدنيا بدينك لاهياً  
لم كل هذا والجمام يحوطننا  
شئت فكرك ، والدروب تشعبت  
فأذكر لقاء مهيمن توت الهدى

والأمر عن مجوزنا لا يعزب  
سؤلٍ يخر له الشجاع الأهيب  
ينسى ولا يهذي ولا يتذبذب  
ولله الفؤاد مسبح ومؤوب  
وحيث أنصر شرعه وأغلب  
فيقال: قبرك في الدياجي كوكب  
أتري يفيدك في القيامة منصب؟  
أتراك كنت لمثل ذاك ترتب؟  
خدع الورى بالله ، وهو العقرب  
هل كان عقلك راشداً يستوعب؟  
والغر للشهوات دوماً يجذب  
أنا من أمورك في الورى أتعجب!  
أتمر الدنيا ، ودينك تخرب؟  
وشراكه في كل واد تنصب؟  
والدربُ يعضل عندما يتشعب  
والذكرُ ينفع من يزل ويُنكب

## المقابر تتكلم 2 (نصيحة لزارعي القبور)

(كثيرون هؤلاء الذين يزورون القبور ، ولا يهزم النظر إليها فضلاً عن الاعتبار بمصير من فيها! وأكثرُ منهم الذين يُشيعون الموتى ولا تدمع عين أحدهم فضلاً عن قلبه! وأكثر من هؤلاء وأولئك من لا يحلو لهم الحديث في التجارة وتدخين السجارة وأكل الحلوى المعطارة والسؤال عن العمارة إلا أثناء دفن الميت! وهي لحظات حاسمة تخلعُ الفؤاد وتبكي العين وتأسرُ اللب! ولكن هيهات لأصحاب القلوب الميتة والعيون العمياء والأفئدة اللاهية والألباب الفارغة أن يُحسّوا بهذا المعنى أو ذاك! ومن هنا صغتُ هذه النصيحة لكل من زار القبر أو شيع جنازة إلى مثواها الأول في عالم الآخرة والبرزخ ، أو عزى قوماً في ميتهم عند القبور ، لتكون بشيراً ونذيراً! لقد كتبتُ عن القبور والموت والرحيل إلى الدار الآخرة عدداً من القصائد يُشكل ديواناً إذا ما ضُمت هذه القصائد بعضها إلى بعض! ومهما كتبنا شعراً ونثراً عن القصابند فما أظننا أتينا عليها وأحطنا بأسرارها وخرائبها وعجائبها علماً! كان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول: ما أحسن ظواهرك ، إنما الدواهي في بواطنك. \* قال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ، ثم أقبل عليّ ، فقال: يا ميمون ، هذه قبور آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات ، واستحكم فيهم البلى ، وأصابته الهوام أبدانهم ، ثم بكى. قال الإمام الغزالي رحمه الله: تفكر أولاً فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفح الصور ، فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن الموتى ، فيثورون دفعة واحدة. قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}. فتفكر في الخلاق ، وذلمهم وانكسارهم ، واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة ، وانتظاراً لما يقضي عليهم من سعادة أو شقاوة ، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم ، بل إن كنت في الدنيا من المترفين ، والأغنياء المتنعمين ، فملوك الأرض في ذلك اليوم أذل أهل الأرض وأصغرهم وأحقرهم ، فتفكر في حالك ، وحال قلبك هنالك. قال بشر الحارث رحمه الله: نعم النزل القبر لمن أطاع الله عز وجل. والأستاذ محمد صبري عبد الرحيم كان قد لخص خمسة وعشرين عاماً في القبر بقوله: (مراحل الميت في القبر من أول ليلة إلى 25 سنة: في أول ليلة في القبر يبدأ التعفن على مستوى البطن والفرج ، سبحان الله البطن والفرج أهم شيئين صارع بني آدم وحافظ عليهما في الدنيا ، في الحاجتين اللتين خسر الشخصُ الله عز وجل بسببهما ، سيتعفنان في أول يوم في القبر. وبعد ذلك يبدأ الجسم يأخذ لوناً أخضر ، فبعد ذلك سيأخذ الجسم لوناً واحداً فقط. وثاني يوم في القبر تبدأ الأعضاء تتعفن: الطحال والكبد والرئة والأمعاء. وثالث يوم في القبر تبدأ تلك الأعضاء تُصدر روائح كريهة. وبعد أسبوع يبدأ ظهورُ انتفاخ على مستوى الوجه: أي العينين واللسان والخدود. وبعد عشرة أيام سيطراً نفس الشيء أي انتفاخ ، لكن هذه المرة على مستوى الأعضاء: البطن والمعدة والطحال. وبعد أسبوعين سيبدأ تساقط على مستوى الشعر. وبعد 15 يوماً يبدأ الذباب الأزرق الذي يشم الرائحة على بعد 5 كيلومترات ويبدأ الدود يغطي الجسم كله. وبعد ستة أشهر لن تجد شيئاً سوى هيكل عظمي فقط. وبعد 25 سنة سيتحول هذا الهيكل إلى بذرة وداخل هذه البذرة ستجد عظماً صغيراً ويسمى: "عجب الذنب" هذا العظم هو الذي سنبعث من خلاله يوم القيامة. (منه ينبت كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -!) هـ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: العبد إنما يُؤنسه في قبره عمله الصالح ، فكلماً أكثر من الأعمال الصالحة كالصلاة والقراءة

والذكر والدعاء والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان ذلك هو الذي ينفعه في قبره. ولقد يقع العذاب على بعض أهل القبور في شيء يسير بسيط! مرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قبرين فقال: (إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ! ثُمَّ قَالَ: بَلَى! أَمَا أُحَدِّثُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَنْزَهُ مِنْ بَوْلِهِ). ثُمَّ أَخَذَ عَوْدًا فَكَسَرَهُ بَاتْنَيْنِ ثُمَّ غَرَزَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرِ ثُمَّ قَالَ: (لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا الْعَذَابَ مَا لَمْ يَبْبَسَا). الراوي: عبد الله بن عباس | والمحدث: ابن حبان | والمصدر: صحيح ابن حبان | الصفحة أو الرقم: 3128 | خلاصة حكم المحدث: [طريقه محفوظ] |التخريج: أخرجه البخاري (218) ، ومسلم (292) باختلاف يسير! والسَّرُّ في تخصيص البول والغيبة والنميمة بعذاب القبر: قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: وقد ذكر بعضهم السَّرُّ في تخصيص البول والغيبة والنميمة بعذاب القبر ، وهو أن القبر أول منازل الآخرة ، وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب. والمعاصي التي يعاقب عليها العبد يوم القيامة نوعان: حق الله ، وحق العباد ، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة ، ومن حقوق العباد الدماء. وأما البرزخ فمقضى فيه في مقدمات هذين الحق ووسائلهما ، فمقدمة الصلاة: الطهارة من الحدث والخبث ، ومقدمة الدماء: النميمة والوقوع في الأعراض ، وهما أيسر أنواع الأذى ، فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والمعاقبة عليهما. يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "اعلم أن الجنائز عبرة للبصير ، وفيها تنبيه وتذكير ، قال أسيد بن حضير: ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به ، وما هو صائر إليه. وقال الأعمش: كنا نشهد الجنائز ، فلا ندري من نعزي لحزن الجميع. هكذا كان خوفهم عند الموت! وها هو عمرو بن العاص يرى ميتاً يُقبر فأسرع إلى المسجد فصلى ركعتين فقيل له: لم فعلت هذا؟ قال: المقبرة! فتذكرت قول الله جل وعلا (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) ، فاشتبهت الصلاة قبل ان يُحال بيني وبينها. يقول سلمان الفارسي: أضحكني ثلاث: مؤملٌ للدنيا والموت يطلبه ، وغافلٌ لا يُغفل عنه ، وضاحكٌ بملء فيه لا يدري الله راضٍ عنه أم ساخط. وأبكائي ثلاث: فراق الأحبة محمد وصحبه ، وهول المطلع يوم القيامة ، ووقوفي بين يدي الله لا أدري الله راضٍ عني أم ساخط. دخل علي بن أبي طالب المقبرة ، فسلم على أهلها وقال: يا أهل المقابر أما بيوتكم فقد سُكنت ، وأما نساءكم فقد تزوجن غيركم ، وأما أموالكم فقد قسمت! هذا خير ما عندنا فما خبر ما عندكم يا أهل المقابر؟ ثم قال: والله لو أجابوا لقالوا: إن خير الزاد التقوى. قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: قال بعض السلف: (إن العمل الصالح يكون مهاداً لصاحبه في القبر ، حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهاد ، بل كل عاملٍ يفتش عمله ويتوسده من خيرٍ أو شر). وبعض الناس يعمد إلى الاضطجاع في القبر من باب الموعظة ، وهو عمل غير سديد بالمرّة: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: (بعض الناس يذهب إلى المقابر ، ويضطجع في القبر ، يقول: إني أفعل ذلك من باب الموعظة نقول: هذا ليس بسديد ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل: اضطجعوا في القبور فإنها تُذكّر الآخرة! بل قال: (زُورُوا الْقُبُورَ) ، فزيارة القبور يحصل بها من الاتعاط وتذكّر الآخرة ما لا يحصل بهذا ، فهذا لا ينبغي فعله والإنسان إذا كان لا يتعظ إلا إذا اضطجع في القبر ، فهذا معناه أن قلبه أفسى من الحجر! وقال ابن عثيمين كذلك رحمه الله: كان بعض الناس فيما سبق يحفرون قبوراً لهم ، ومن الناس من أحدثوا في هذه بدعة ، وصار كل يخرج يوم إلى هذا القبر الذي حفر ويضطجع فيه ، ويزعم أنّ هذا موعظة وتذكير ، ولا شك أن هذا بدعة. حفر الإنسان لقبره قبل أن يموت: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: لا يُستحب للرجل أن يحفر قبره قبل أن يموت ، فإن



النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك هو ولا أحد أصحابه ، وأيضاً فإن الله تعالى يقول: { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّأَدَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ }! والعبد لا يدري أين يموت ، وكما من أعد له قبراً وبنى عليه بناءً ، وقُتِلَ أو مات في بلد آخر ، وإذا كان مقصود الرجل الاستعداد للموت فهذا يكون بالعمل الصالح). ولقد وعظ عمر بن عبد العزيز يوماً أصحابه فكان من كلامه أن قال: (إذا مررت بهم فنادهم إن كنت منادياً ، وادعهم إن كنت داعياً ، ومر بعسكرهم ، وانظر إلى تقارب منازلهم. سل غنيهم ما بقي من غناه؟ واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون ، وعن الأعين التي كانوا للذات بها ينظرون ، واسألهم عن الجلود الرقيقة ، والوجوه الحسنة ، والأجساد الناعمة ، ما صنعت بها الديدان تحت الأكفان؟! أكلت الألسن ، وغفرت الوجوه ، ومحيت المحاسن ، وكسرت الفقار ، وبانث الأعضاء ، ومزقت الأشلاء فأين حجابهم وقبابهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم؟ وأين جمعهم وكنوزهم؟ أليسوا في منازل الخلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليسوا في مدلهمة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبين العمل ، وفارقوا الأحبة والمال والأهل). قال العلامة العثيمين رحمه الله: إن عذاب القبر ثابت بالقرآن ، والسنة ، والحسن ، فأما أدلة الحسن: أنه قد يكشف لبعض الناس عن عذاب القبر ، وسأل الذين يكونون ليلاً عند المقابر تسمع عنهم ما يُعجِّب! فأحياناً يسمعون صياحاً عظيماً وأفظاعاً وأهواً مما يدل على ثبوت عذاب القبر. وعذاب القبر عذاب دائم ، وآخر منقطع! قال العلامة ابن القيم رحمه الله: عذاب القبر نوعان: نوع دائم ، سوى ما ورد في بعض الحديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين ، فإذا قاموا من قبورهم قالوا: { يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا }! ويدل على دوامه قوله تعالى: { النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا }! [والنوع الثاني: إلى مدة ، ثم ينقطع ، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم ، فيعذب بحسب جرمه ، ثم يخفف عنه ، كما يعذب في النار مدة ، ثم يزول عنه العذاب وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار ، أو ثواب حج... قال العلامة صالح بن فوزان الفوزان: عذاب القبر على نوعين: النوع الأول: عذاب دائم وهو عذاب الكافر كما قال تعالى: { النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا }! والثاني يكون إلى مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة من المؤمنين فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه وقد ينقطع عنه العذاب بسبب دعاء أو صدقة أو استغفار. من قيل له في قبره: نم صالحاً ، فهذا حاله أحسن من الدنيا بألف مرة: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: «أبدله داراً خيراً من داره» الدار الذي سينتقل إليها أول ما ينتقل من الدنيا هي القبر ؛ لكن هل يمكن أن تكون خيراً من داره؟ الجواب: نعم ، ولولا ذلك ما دعا الرسول بها ؛ إذ إن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدعو بأمر محال ، والقبر يكون خيراً من الدنيا إذا فُسح للإنسان مد بصره ، وقيل له: نم صالحاً ، وفتح له باب إلى الجنة ، أتاه من روحها ونعيمها ، وفرش له من الجنة ، فمن كانت هذه حاله ، فوالله إنها أحسن من الدنيا بألف مرة. والإنسان في قبره إما في نعيم وإما في عذاب: \*\* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الإنسان منذ أن تُفارق روحه بدنه هو إما في نعيم وإما في عذاب ، فلا يتأخر النعيم والعذاب عن النفوس إلى حين القيامة العامة ، وإن كان كماله حينئذٍ ، وتبقى النفوس المفارقة لأبدانها خارجة عن النعيم والعذاب ألوفاً من السنين إلى أن تقوم القيامة الكبرى. ولهذا قال المغيرة بن شعبه: أيها الناس! إنكم تقولون: القيامة ، القيامة ، وإنه من مات فقد قامت قيامته. وعن هاني مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته ، فقبل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتبكي من هذا؟ فقال: إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: { القبر أول منازل الآخرة ، فإن ينج

منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينح منه فما بعده أشد منه} ، ثم قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : {ما رأيت منظراً إلا والقبر أظفح منه}! [رواه أحمد والترمذي وحسنه الألباني]. ومن هنا ندرك أن عالم القبور ينبغي أن نعيش معه بعض الوقت لنسأل أنفسنا: نحن إلى أين؟! وفي حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: {لا تتمنوا الموت فإن هول المطلع شديد}! [رواه أحمد وحسنه الهيثمي]. ولين معلوماً - أن تذكر الموت لا يعني كثرة الحزن وطول النحيب مع الإقامة على التفريط ، إن تذكرنا للموت يجب أن يقترن بخوفنا من سوء الخاتمة. والأعمال بالخواتيم ، كما في حديث ابن مسعود المتفق عليه يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: (فو الله الذي لا إله غيره إن أحدم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها). فيا ليت شعري ، كيف تكون خاتمتنا ، وبم يختم الله أعمارنا وأعمالنا؟ لما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة بكى ، قيل له: ما يبكيك؟ قال: والله ما أبكي لذنب أعلم أنني أتيت به ، ولكن أخاف أنني أتيت شيئاً حسبتُه هيناً وهو عند الله عظيم. واسمع معي لسعيد بن جبيرة رضي الله عنه ، يوم يروي لنا قصة صحيحة متواترة ، كما قال الذهبي في سيره ، فيقول: لما مات ابن عباس رضي الله عنه بالطائف ، جاء طائر لم ير على خلقته مثله فدخل نعشه ، ثم لم يخرج منه ، فلما دفن إذا على شفير القبر ، تال يتلو ، لا يرى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ، فيا لها من خاتمة ، ويا له من مصير. ولقد شيع الحسن جنازة ، فجلس على شفير القبر فقال: (إن أمراً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله ، وإن أمراً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره ، فيا من ستموت عما قريب ، وستكون ساكن القبر غداً! ما الذي غرك من الدنيا الزائلة الفانية؟ أين دارك الفيحاء الغناء؟ وأين نهرك المطرد العذب؟ وأين ثمارك اليانعة؟ وأين رفاق ثيابك الفخمة؟ وأين طبيبك وبخورك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ يا ليت شعري بأي خديك بدأ البلى. يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموت. يا ليت شعري ما الذي يلقتني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا؟ وما الذي يأتيني به من رسالة ربي؟ ثم انصرف الحسن رحمة الله فما عاش بعد ذلك إلا جمعة. أيها الناس تفكروا في الذين رحلوا. أين نزلوا؟ وتذكروا القوم نوقشوا وسئلوا. واعلموا أنكم كما تعذلون عدلوا. ولقد ودوا بعد الفوات لو قبلوا. ولكن هيهات هيهات وقد قبروا. لقد حيل بينهم وبين ما يشتهون! عن وهب بن الورد - رحمه الله - قال: بلغنا أن رجلاً فقيهاً دخل على عمر بن عبد العزيز فقال: سبحان الله! فقال له عمر: وتبينت ذلك فعلاً؟ فقال له: الأمر أعظم من ذلك! فقال له عمر: يا فلان! فكيف لو رأيتني بعد ثلاث ، وقد أدخلت قبوري. وقد خرجت الحدقتان وتقلصت الشفتان عن الأسنان. وانفتح الفم. ونتاج البطن فعلا الصدر. وخرج الصديد من الدبر؟! وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: "ويحك يا يزيد! من ذا يصلي عنك بعد الموت؟ من ذا يصوم عنك بعد الموت؟ من ذا يترضى عنك بعد الموت؟ ثم يقول: أيها الناس! ألا تكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم. من الموت موعده. والقبر بيته. والثرى فراشه. والدود أنيسه. وهو مع هذا ينتظر الفرع الأكبر. كيف يكون حاله؟! ، ثم بكى رحمه الله. قال عبد الحق الأشبيلي: (فينبغي لمن دخل المقابر أن يتخيل أنه ميت ، وأنه قد لحق بهم ، ودخل معسكرهم ، وأنه محتاج حقاً إلى ما هم إليه محتاجون ، وراغب فيما فيه يرغبون ، فليأت إليهم ما يحب أن يؤتى إليه ، وليتحفهم بما يحب أن يتحف به ، وليتفكر في

تغير ألوانهم ، وتقطع أبدانهم ، ويتفكر في أحوالهم ، وكيف صاروا بعد الأنس بهم والتسلي بحديثهم ، إلى النفار من رؤيتهم ، والوحشة من مشاهدتهم وليتفكر أيضاً في انشقاق الأرض وبعثرة القبور ، وخروج الموتى وقيامهم مرة واحدة حفاة عراة غرلاً ، مهطعين إلى الداعي ، مسرعين إلى المنادي). والله تعالى لا يتخلى عن أوياءه ، بل يحفظهم في حياتهم وبعد مماتهم! وهذا ابن كثير – رحمه الله تعالى – يول: لقد وجدت قبور أجساد أصحابها صحيحة في سنة (276هـ)! قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: في هذه السنة انفرج تلّ بنهر الصلة في أرض البصرة يعرف بتل بني شقيق عن سبعة أقبير في مثل الحوض ، وفيها سبعة أبدان صحيحة أجسادهم وأكفانهم يفوح منها ريح المسك ، أحدهم شاب وله جمّة ، وعلى شفته بلل كأنه قد شرب ماء الآن ، وكأن عينيه مكحلتان وبه ضربة في خاصرته ، وأراد أحدهم أن يأخذ من شعره شيئاً فإذا هو قويّ الشعر كأنه حيّ فتركوا على حالهم. والله تعالى صرف أبصار العباد عن مشاهدة ما يحدث للميت في قبره لئلا يتدفنوا: قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: الميت قد يُشاهد في قبره ، حال المسألة ، لا أثر فيه من إقعاد وغيره ، ولا ضيق في قبره ولا سعة. والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك ، وستره عنهم إبقاء عليهم لئلا يتدافنوا. وتحت عنوان: (من أقوال السلف عن عالم القبور وأحوال أهلها) يقول الأستاذ فهد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ ما نصه بتصريف يسير: (القبور ظاهرها تراب ، وهي في الحقيقة إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار. فما هي حال المشيعين للموتى إلى تلك القبور؟ والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر ، والأهوال التي بين أيدينا ، فصرنا نلهو ، ونغفل ، ونشتغل بما لا يعيننا ، فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة ، فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز. بكأؤهم على الميت ، ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم ، لا على الميت." كم في القبور من مواعظ وعبر ، لو كانت القلوب حية ، نسأل الله الكريم الرحيم أن يوقظ قلوبنا من غفلتها. للسلف أقوال عن عالم القبور وأحوال أهلها ، يسر الله الكريم فجمعت بعضاً منها ، أسأل الله أن ينفع بها الجميع. أول عدل الآخرة القبور: قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: قال بعضهم: إذا أردت صورة مصغرة ليوم القيامة فاخرج إلى المقبرة تجد فيها الشريف والوضيع ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير ، كلهم سواء ، كلهم تحت التراب. ما هناك أحد له قصر ، ولا أحد عنده خدم ، ولا أحد عنده شيء ، ولهذا قيل: أول عدل الآخرة القبور ، ومما يدل على ذلك قصة الأعرابي حيث جاء أعرابي إلى بلد فيها حاكم ، فإذا الحاكم قد مات ، فسأل عنه فقالوا: إنه مات ، قال: أين ذهب؟ قالوا: ذهب إلى المقبرة ، فجاء إلى المقبرة يري الأبهة يريد الخدم والحشم ، فلما دخل لم يجد إلا حفار القبور ، قال: أين الحاكم الفلاني؟ قال: الحاكم الفلاني هذا ، قال: يا ويله ، ثم قال: وهذا الذي بجواره ما هو؟ قال: هذه امرأة عجوز ناقصة عقل مشهورة في السوق ، وكان قبرها مرشوشاً إذ إنها قد دفنت قريباً ، وقبر الحاكم يابس ، قال: يا ويله هذه تسقى ماء وهذا لا يسقى ماء ، وجلس يتعجب ، فقال له حفار القبور: هذا الأمر كما رأيت. فهذا هو العدل رجل حاكم لا يدخل عليه إلا باستئذان وامرأة ناقصة العقل هما سواء. العمل الصالح مهاد الإنسان في قبره: قال الله سبحانه وتعالى: {مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ}. وللإيمان علاقة بعذاب القبر ونعيمه: قال العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

رحمه الله: الميت يعذب في البرزخ أو ينعم ، سواء قُبر أم لم يُقبر ، فإن كان من أهل الخير ناله النعيم والفرح والسرور ، وإن كان من أهل الشر ناله العذاب والألم والحزن الشديد ، ويبقى كذلك كل منهما في هذا البرزخ الذي هو بين الدنيا والآخرة. ويؤمن المؤمنون بأن هذا البرزخ حاجز بين الدنيا والآخرة ، وأن الإنسان بعد مفارقتة للدنيا لا تنعدم روحه ، أما بدنه فإنه ينعدم ويفنى ، قد تأكله الأرض ويصير تراباً ورفاتاً ، وقد يحرق ويذرى ولا يبقى له بقية ، ولكن روحه تبقى ، وهي التي يكون عليها العذاب والنعيم ، ويقدر الله أن يوصل إلى بدنه ، ولو كان تراباً ، ما يتألم به أو ما ينتعم به. والعبد متى آمن بهذا استعد له ، فمتى صدقت بأن هذا القبر إما نعيم ، وإما جحيم ، حملك ذلك على أن تتأهب بالأعمال الصالحة وبالعقيدة السليمة ، حتى تنجو من العذاب ، وحتى تسلم منه ، وحتى تظفر بالنعيم الذي هو مقدمة بين يدي نعيم الآخرة قد يكشف لبعض الناس عن عذاب القبر! ولقد قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: البرزخ ، هو الحاجز بين الشيين ، فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة ، وفي هذا البرزخ ، يتنعم المطيعون ، ويعذب العاصون ، من ابتداء موتهم واستقرارهم في قبورهم ، إلى يوم يبعثون. أي: فليُعدوا له عُذته ، وليأخذوا له أهبتَهُ أجساد في التراب ، قد أمنت العذاب ، تنتظر الثواب: قال صفوان بن عمرو أنعم الناس أجساداً في التراب قد أمنت العذاب تنتظر الثواب العاقل من ينظر إلى قبور غيره فيرى مكانه بين أظهرهم: قال الإمام الغزالي رحمه الله: البصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم ، فيستعد للحوق بهم ، ويعلم أنهم لا يبرحون مكانهم ما لم يلحق بهم ، وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له كان أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها ، لأنهم عرفوا قدر الأعمار ، فإنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره ، فيتخلص من العذاب ، فإنهم عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه ، فحسرتهم على ساعة من الحياة ، وأنت قادر على تلك الساعة ، ثم أنت مضيع لها. وأكثر أصحاب القبور معذبين: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: أكثر أصحاب القبور معذبين ، والفاضل منهم قليل ، فظواهر القبور تراب ، وبواطنها حسرات وعذاب ، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبيّنات ، وفي باطنها الدواهي والبليّات تغلي بالحسرات ، كما تغلي القدور بما فيها ، ويحق لها ، وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيتها. تالله لقد وعظت ، فما تركت لواعظ مقالاً ، ونادت: يا عمار الدنيا لقد أعمرتم داراً موشكة بكم زوالاً ، وخربتم داراً أنتم مسرعون إليها انتقالاً ، عمرتم بيوتاً لغيركم منافعها وسكنائها ، خربتم بيوتاً ليس لكم مساكن سواها. وهناك أسباب منجية من عذاب القبر: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: من أنفعها: أن يجلس الإنسان عندما يريد النوم لله ساعةً ، يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله ، فينام على تلك التوبة ، ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ ، ويفعل هذا كل ليلة ، فإن مات من ليلته مات على توبة ، وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل ، مسروراً بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ، ويستدرك ما فاتته. وليس للعبد أنفع من هذه التوبة ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم ، حتى يغلبه النوم ، فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك ، ولا قوة إلا بالله. وختاماً فالقبور فيها مواضع وعير لأصحاب القلوب الحية ، فهذا ثالث الخلفاء الراشدين ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، كان إذا وقف على قبر يبكي ، حتى يبيل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي ، وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه ،

فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه ، فما بعده أشد منه.) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفتح منه». [أخرجه الترمذي وابن ماجه ، وحسنه العلامة الألباني].) هـ. جاء في كتاب "حلية الأولياء" (5 / 295) و"إحياء علوم الدين" (4 / 663) و"قصر الأمل" ؛ لابن أبي الدنيا ص 66-67 عن القعقاع بن عجلان قال: خُطِبَ عمر بن عبد العزيز ، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، وقال: "أيها الناس ، إنكم لن تُخلفوا عبثًا ، ولن تُترَكوا سُدًى ، وإن لكم معادًا يجمعكم الله للحكم فيكم ، والفصل فيما بينكم ، فخاب وشقي عبدٌ أخرجَه الله من رحمته التي وسَّعت كلَّ شيءٍ ، وجنَّته التي عرضها السَّمَاوات والأرض ، وإنما يكونُ الأمان غدًا لمن خاف الله واتَّقى ، وباع قليلًا بكثير ، وفانيًا بباقي ، وشقوة بسعادة ، ألا ترَوْن أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيخلف بعدكم الباقون؟! ألا ترَوْن أنكم في كلِّ يومٍ تُشيِّعون غاديًا أو رائحًا إلى الله ، قد قضى نحبَه وانقطع أمَلُه ، فتضعونه في بطن صدعٍ من الأرض غير مؤسِّدٍ ولا مُمَهَّدٍ؟! قد خلَع الأسباب وفارَق الأحباب ، وواجه الحساب؟! وإيم الله إنِّي لأقول لكم مَقالتي هذه ، وما أعلم عند أحدٍ منكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي ، ولكنَّها سننٌ من الله عادلة ، أمر فيها بطاعته ، ونهى فيها عن معصيته ، واستغفرَ الله ووضع كُفَّه على وجهه ؛ فبكى حتى لثقتُ لحيته ، فما عاد إلى مجلسه حتى مات - رحمه الله. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لأبي حازم: "أوصني ، فقال له أبو حازم: اصْجَع ثم اجعل الموت عند رأسك ، ثم انظر إلى ما تحبُّ أن يكون فيك تلك الساعة فخذُ به الآن ، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعُه الآن ، فلعلَّ تلك الساعة قريبة". وقال أبو حازم أيضًا: "انظر كل عمل كرهت الموت لأجله فاتركه ، ولا يضرك متى مت". ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال له: "عظني ، فقال يزيد الرقاشي: لست أول خليفة تموت يا أمير المؤمنين ، قال: زدني ، قال: لم يبقَ أحدٌ من أبائك من لدن آدم إلى بلغت النبوة إليك إلا وقد ذاق الموت ، قال: زدني ، قال: ليس بين الجنة والنار منزل والله... (إنَّ الأبرارَ لفي نعيمٍ \* وإنَّ الفُجَّارَ لفي جحيمٍ) وأنت أبصرُ ببرك وفجورك ، فبكى عمر حتى سقط عن سريره. وتحت عنوان: (عالم القبور) يقول الأستاذ أمير بن محمد المدري ، وهو إمام وخطيب مسجد الإيمان - في اليمن ما نصه بتصريف: (ما أقصر عمر الدنيا وما أسرع مروره ، فمهما طال الليل لا بد من دخول الفجر ، ومهما طال العمر ، لا بد من دخول القبر. وإذن فهو كأس يشرب منه كل الناس! مهما عمروا!

الموت باب وكل الناس داخله \*\*\* يا ليت شعري بعد الموت ما الدار؟!

الدار دار نعيم ، إن عملت بما \*\*\* يرضي الإله ، وإن فرطت فالنار!

ومهما امتد عمر الانسان سيقول يوم القيامة عندما يسأل كم لبثت؟ لبثت يوماً أو بعض يوم. قال صلى الله عليه وسلم: (إذا أحب الله عبداً استعمله) قالوا: يا رسول كيف يستعمله؟ قال: يوفقه إلى عمل صالح قبل الموت!) ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله قائلاً: اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه. ها هو رجل من الصالحين - نحسبه ولا نزكي على الله أحداً - كان إماماً لأحد المساجد في صنعاء وفي يوم من الأيام خرج من بيته متوجهاً إلى المسجد ليصلي صلاة الظهر ، وبعد أن صلى السنة القبلية وقرأ شيئاً من القرآن ، ثم أقيمت الصلاة وتقدم ليصلي بالناس ، وفي الركعة الثالثة في السجدة الثانية سمع الناس مثل الجشاء عبر المكبرات وهم يقولون سبحان الله سبحان الله ، فتقدم أحدهم وأكمل الصلاة ، وحركوا إمامهم ، فإذا هو ميت وقد صعدت روحه إلى بارئها. إنها الخاتمة الحسنه التي لا تأتي إلا من

حسن عمل وصلاة على وقتها وفعل للخيرات وأداء للحقوق وأكل للحلال. ثم تصور يا عبد الله وانت تدخل المقبرة لا زائراً ولا حاملاً! بل محمولاً ميتاً! فتخيل أحب الناس إليك وأقرب الناس إليك وهم ينزلونك إلى قبرك ، ويضعون اللبن ليغلقوا قبرك فأتحجب الضوء عنك ، ثم بدأوا يُحثون على قبرك التراب ، ويقول أحدهم استغفروا لأخيكم ، وسلوا له الثبات فإنه الآن يسأل! ثم ذهبوا وتركوك وحيداً فريداً في ذلك الظلام! من فوقك تراب ، ومن تحتك تراب ، وعن يمينك تراب ، وعن شمالك تراب ، ثم تعاد روحك إلى جسدك ، ويأتيك منكر ونكير فيجلسانك ويسألانك من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فإن كنت من الصالحين الصادقين التائبين ، فإن الله سيثبتك فهو القائل: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)! فتقول بتوفيق الله: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم! فينادي منادي من السماء أن صدق عبدي! فأفرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له نافذة إلى الجنة ، ثم يُفسح لك في قبرك مد البصر ، ثم يأتيك رجلاً حسن الوجه حسن الثياب طيب الرائحة وهو عمك الصالح وهو أنيسك في قبرك إلى يوم القيامة. أما إن كان العبد والعياذ بالله كافراً مضيعاً لدينه تاركاً للصلاة أكلاً للحرام فاعلاً للمنكرات ومات على ذلك فإنه سيقول: هاه هاه لا أدري! فينادي منادي من السماء أن كذب عبدي! فأفرشوا له من النار وألبسوه من النار ، وافتحوا له نافذة إلى النار ، ويضيق له في قبره حتى تختلف أضلعه ، ثم يأتي إليه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب قبيح الرائحة ، وهو عمله السيء وهو رفيقه إلى يوم القيامة. أخي المسلم: هل رأيت القبور؟ هل رأيت ظلمتها؟ هل رأيت وحشتها؟ هل رأيت شدتها؟ هل رأيت ضيقها؟ هل رأيت عمقها؟ هل رأيت هوامها وديدانها؟ أو ما علمت أنها أعدت لك كما أعدت لغيرك؟ أما رأيت أصحابك وأحبائك وأرحامك الذين نُقلوا من القصور إلى القبور ، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحد ، ومن ملاعبة الأهل والوالدان إلى مقاساة الهوام والديدان ، ومن التنعم بالطعام والشراب إلى التمرغ في الثرى والتراب ، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة ، ومن المضعج الوثير إلى المصرع الوبيل؟ فأخذهم الموت على غرة ؛ وسكنوا القبور بعد حياة الترف واللذة ؛ وتساووا جميعاً بعد موتهم في تلك الحفرة ؛ فالله نسأل أن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة! كان الربيع بن خثيم رحمه الله الذي قال عنه ابن مسعود رضي الله عنه يا ربيع والله لو رآك الرسول صلى الله عليه وسلم لأحبك ، كان رحمه الله يتجهز لتلك الليلة ؛ ويروى أنه حفر في بيته حفرة ؛ فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيها ؛ وكان يمثل نفسه أنه قد مات وندم وسأل الرجعة فيقول: (رب ارجعوني لعلي اعمل صالحاً فيما تركت). فيجيب نفسه فيقول: قد رجعت يا ربيع! فيرى فيه ذلك أياماً أي يرى فيه العبادة والاجتهاد والخوف والوجل! وعن أبي هريرة ؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الميت يصير إلى القبر: فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا شعوف (أي غير خائف ولا مذعور) ، ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام. فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه. فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول ما ينبغي لأحد أن يرى الله. فيفرج له فرجة قبل النار ؛ فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ؛ فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله عز وجل! ثم يفرج له قبل الجنة ؛ فينظر إلى زهرتها وما فيها ؛ فيقال له: هذا مقعدك ويقال له: على اليقين كنت ؛ وعليه مت ؛ وعليه تُبعث إن شاء الله. قال: ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشعوفاً ؛ فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري ؛ فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت. فيفرج له قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ؛ فيقال له:

انظر ما صرف الله عنك. ثم يفرج له فرجة قبل النار ؛ فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له: (هذا مقعدك على الشك كنت ؛ وعليه مت ؛ وعليه تبعث إن شاء الله). رواه ابن ماجه وصححه البوصيري. وروي أن رجلاً ضرب في قبره سوطاً فامتلاً القبر عليه ناراً ؛ لكونه صلى صلاة واحدة بغير ظهور ، ومر على مظلوم فلم ينصره). الحديث رواه الطحاوي في بسند حسن. وأخبر صلى الله عليه وسلم كما في حديث سمرة بن جندب الذي رواه البخاري عن تعذيب من يكذب الكذبة تبلغ الآفاق ، وعن تعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به في النهار وعن تعذيب الزناة والزواني ، وعن تعذيب آكل الربا ، أخبر عنهم كما شاهدتهم في البرزخ. وفي حديث آخر أخبر صلى الله عليه وسلم عن رضح رؤوس أقوام بالصخر لتثاقل رؤوسهم عن الصلاة ، وعن الذين يسرحون بين الضريع والزقوم لتركهم زكاة أموالهم ، وعن الذين يأكلون اللحم المنتن الخبيث لزنائهم ، والذين تقرض شفاهم بمقارض من حديد لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب. وجاء في حديث رواه أبو سعيد عنه صلى الله عليه وسلم ذكر أرباب بعض الجرائم وعقوباتهم: فمنهم من بطونهم أمثال البيوت وهم على سابلة آل فرعون ، وهم أكلة الربا ، ومنهم من تفتح أفواههم فيلقمون الجمر حتى يخرج من أسافلهم ، وهم أكلة أموال اليتامى ، ومنهم من تقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم ، وهم المغتابون ، ومنهم من لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ، وهم الذين يمزقون أعراض الناس. فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم ، بحسب كثرتها وقلتها ، وصغرها وكبرها. ما لم يغفر الله لهم ويتجاوز عنهم بتوبة أو رحمة منه تعالى). هـ. عن أبي العباس الوليد بن مسلم قال: قال بعض الخلفاء على المنبر: "اتقوا الله عباد الله ما استطعتم، وكُونُوا قَوْمًا صِيحَّ بِهِم فانتَبَهُوا، وعلموا أَنَّ الدنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٍ فَاسْتَبَدُّوا، واستَعْدُّوا للموت فقد أَظْلَمَكُم، وترَحَّلُوا فقد جُدَّ بِكُمْ، وإنَّ غَايَةَ تَنْقِصِهَا اللَّحْظَةَ وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدَّة ، وإنَّ غَائِبًا يَجُدُّ بِهِ الجديدان: الليل والنهار، لحريٌّ بِسُرْعَةِ الأوبة. وإنَّ قَادِمًا يَحُلُّ بالفوز أو الشقوة لمستحقٍّ لأفضل الغدَّة، فالتقيُّ عند رَبِّهِ مَنْ ناصح نفسه، وقدَّ توبته وغلب شهوته، فإنَّ أَجْلَهُ مستور عنه ، وأمله خادع له، والشيطان مُوَكَّلٌ بِهِ يُمْنِيهِ التوبة لِيُسَوِّفَهَا، ويزين إليه المعصية ليرتكبها، حتى تهجم منيَّته عليه أغفل ما يكون عنها، وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به! فيا لها حسرة على كل ذي غفلة، أن يكون عمره عليه حجة، وأن ترديه أيامه إلى شقوة. جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره نعمة، ولا تقصر به عن طاعة الله معصية، ولا يحلُّ به بعد الموت حسرة، إنه سميع الدعاء، وإنه بيده الخير، وإنه فعَّال لما يشاء". قال خُليد القصري: "كلنا قد أيقن بالموت ، وما نرى له مستعدًّا ، وكلنا قد أيقن بالجنة ، وما نرى لها عاملاً ، وكلنا قد أيقن بالنار ، وما نرى لها خانقًا! فعلامٌ تعرَّجون؟ وما عسيتم تنتظرون؟ الموت؟ فهو أوَّلُ واردٍ عليكم من الله بخير أو بشرٍّ! يا إخوانه ، سيروا إلى ربكم سيرًا جميلًا". وقد جاء في "الحلية" عن صلة بن أشيم: أنه مرَّ على شباب يلعبون ، فقال: "يا إخوانه ، اجتمعوا إليَّ ، فقال لهم: ما تقولون في قوم أرادوا سفرًا ، فحادوا عنه نهارًا ، وناموا عنه ليلًا؟ ماذا تقولون: أصابوا أم أخطأوا؟ ثم مرَّ عليهم في اليوم التالي ، ووجدهم يلعبون ، فقال لهم مثل ما قال ، ثم مرَّ عليهم في اليوم التالي ، ووجدهم يلعبون ، فقال لهم مثل ما قال ، فقال شابٌّ منهم: والله إنَّ صلة يعيننا بهذا الخطاب ، ورجعوا عن اللعب إلى طاعة الله". وجاء في كتاب "الزهد الكبير" عن إبراهيم بن بشار قال: "مررت أنا وأبو يوسف الفولي في طريق الشام ، فوثب إليه رجلٌ فسلم عليه ، ثم قال: يا أبا يوسف ، عِظني بموعظةٍ أحفظها عنك ، قال: فبكي ، ثم قال: اعلم يا أخي أنَّ

اختلاف الليل والنهار وممرهما يسرعان في هدم بدنك ، وفناء عمرك ، وانقضاء أجلك ، فينبغي لك يا أخي ألا تظنن ولا تأمن ؛ حتى تعلم أين مستقرُّك ومصيرك ، وساخط عليك ربك بمعصيتك وغفلتك ، أو راضٍ عنك بفضلِهِ ورحمته. ابن آدم الضعيف نطفة بالأمس وجيفة غداً! فإن كنت ترضى لنفسك ، فترد وتعلم وتندم في وقت لا ينفكك الندم ، قال: فبكى أبو يوسف ، وبكى الرجل ، وبكيت لبيكاهما ووقعا مغشياً عليهما". يقول ابن الجوزي رحمه الله: "أيُّها الناس، تقوُّوا بهذه النعم التي أصبحتُم فيها ، على الهرب من النار الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة ، فاتكم في دارِ الثواءِ فيها قليل ، وأنتم فيها مؤجلون ، وخالن من بعد القرون ، الذين استقبلوا من الدنيا زُخرفها وزهرتها ، فهم كانوا أطولَ منكم أعماراً وأمدَّ أجساماً وأعظم آثاراً ، فجددوا الجبال وجابوا الصُّخور ، ونقبوا في البلاد مؤيدين ببطشٍ شديدٍ وأجسامٍ كالعماد ، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مدتهم ، وعفت آثارهم ، وأخوت منازلهم ، وأنست ذكركم ، فما تحسُّ منهم من أحدٍ ولا تسمع لهم ركزاً ، كانوا بلهو الأمل آمين كبيات قومٍ غافلين ، أو كصباح قوم نادمين ، ثم إنكم قد علمتم الذي قد نزل بساحتهم بياناً ، فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين ، وأصبح الباقون ينظرون في آثارِ نعمةٍ ، وزوالِ نعمةٍ ، ومسكنِ خاويةٍ ، فيها آيةٌ للذين يخافون العذاب الأليم. وتحت عنوان: (وحي القبور) قال صاحب (من وحي القلم) الأستاذ الشاعر الأديب مصطفى صادق الرافعي (ت 1356هـ - 1937م) – ولست أعلم مقالاً عن القبور وتشخيصاً لأحوالها وأهوالها مثل هذا – يقول رحمه الله ما نصه: (ذهبت في صبح يوم أحمل نفسي بنفسي إلى المقبرة ، وقد مات لي من الخواطر موتى لا مئيت واحد؛ فكنت أمشي وفي جنازةٍ بمشيئتيها ؛ من فكر يحمل فكراً ، وخاطر يتبع خاطراً ، ومعنى يبكي ، ومعنى يبكي عليه. وكذلك دأبي كلما انحدرت في هذه الطريق إلى غير ذلك المكان ، الذي تأتيه العيون بدموعها ، وتمشي إليه النفوس بأحزانها ، وتجيء فيه القلوب إلى بقايا. تلك المقابر التي لا يُنادى أهلها من أهليهم بالأسماء ولا بالألقاب ، ولكن بهذا النداء: يا أحببنا ، يا أحزاننا! ذهبتُ أزورُ أمواتي الأعرزاء ، وأتصل منهم بأطراف نفسي ؛ لأحيا معهم في الموت ساعةً ، أعرض فيها أمر الدنيا على أمر الآخرة ، فأنسى وأذكر ، ثم أنظر وأعتبر ، ثم أتعرف وأتوسم [أستطلع] ثم أستبطنُ مما في بطن الأرض ، وأستظهرُ مما على ظهرها. وجلست هناك أشرف من دهرٍ على دهر ، ومن دنيا على دنيا ، وأخرجت الذاكرةُ أفراسها القديمة ؛ لتجعلها مادةً جديدةً لأحزانها ، وانفتح لي الزمن الماضي ، فرأيت رجعة الأمس ، وكان دهرًا كاملاً خلق بحوادثه وأيامه ، ورفع لعيني كما ترفع الصورة المعلقة في إطارها. أعرف أنهم ماتوا ، ولكني لم أشعر قط إلا أنهم غابوا ، والحبیب الغائب لا يتغيَّر عليه الزمان ولا المكان في القلب الذي يحبه ، مهما تراخت به الأيام [امتدت] ؛ وهذه هي بقية الروح إذا امتزجت بالحب في روح أخرى: تترك فيها ما لا يمحي ؛ لأنها هي خالدة لا تمحي. ذهب الأموات ذهابهم ، ولم يقيموا في الدنيا ، ومعنى ذلك أنهم مروا بالدنيا ليس غير ، فهذه هي الحياة حين تعبر عنها النفس بلسانها لا بلسان حاجتها وحرصها. الحياة مدَّة عمل ، وكان هذه الدنيا بكل ما فيها من المتناقضات ، إن هي إلا مصنَّع يسوِّغ كل إنسان جانباً منه ، ثم يقال له: هذه الأداة فاصنع ما شئت: فضيلتك أو رذيلتك. جلست في المقبرة ، وأطرقت أفكر في هذا الموت ، يا عجباً للناس! كيف لا يستشعرونه وهو يهدم من كل حي أجزاءً تحيط به قبل أن يهدمه هو بجملته ، وما زال كل بنيان من الناس به كالحائط المُسلط عليه خرابه ، يتأكل من هنا ، ويتناثر من هناك؟! يا عجباً للناس عجباً لا ينتهي! كيف يجعلون الحياة مدة نزاع وهي مدة عمل؟ وكيف لا تبرح تنزرو النوازي بهم



في الخلاف والباطل ، وهم كلما تَدَافَعُوا بينهم قضيةً من النزاع ، فضربوا خصماً بخصم ، وردُّوا كيداً بكيد ، جاء حكم الموت تكذيباً قاطعاً لكل من يقول لشيء: هذا لي؟ أما والله إنه ليس أعجب في السخرية بهذه الدنيا من أن يعطي الناس ما يملكونه فيها لإثبات أن أحداً منهم لا يملك منها شيئاً ؛ إذ يأتي الآتي إليها لحماً وعظماً ، ولا يرجع عنها الراجع إلا لحماً وعظماً ، وبينهما سفاهة العظم واللحم حتى على السكَّين القاطعة. تأتي الأيام وهي في الحقيقة تفرُّ فرارها ؛ فمن جاء من عمره عشرون سنةً فإنما مضت هذه العشرون من عمره ، ولقد كان ينبغي أن تُصَحَّ أعمال الحياة في الناس على هذه الأصل البيِّن ، لولا الطباع المدخولة ، والنفوس الغافلة ، والعقول الضعيفة ، والشهوات العارمة ؛ فإنه مادام العمر مقبلاً مديراً في اعتبار واحد ، فليس للإنسان أن يتناول من الدنيا إلا ما يرضيه محسوباً له ومحسوباً عليه في وقت معاً ، وتكون الحياة في حقيقتها ليست شيئاً ، إلا أن يكون الضميرُ الإنسانيُّ هو الحيُّ في الحيِّ. وما هي هذه القبور؟ لقد رجعتُ عند أكثر الناس مع الموتى أبنية ميتة ؛ فما قطُّ رأوها موجودةً إلا لينسوا أنها موجودة ، ولولا ذلك من أمرهم لكان للقبر معناه الحي المتغلغل في الحياة إلى بعيد ؛ فما القبر إلا بناء قائم لفكرة النهاية والانقطاع ، وهو في الطرف الآخر ردُّ على البيت الذي هو بناء قائم لفكرة البدء والاستمرار ، وبين الطرفين المَعْبَد ، وهو بناء لفكرة الضمير ، الذي يحيا في البيت وفي القبر ، فهو على الحياة والموت كالقاضي بين خصمين يصلح بينهما صلحاً أو يقضى. القبر كلمة الصدق مبنية متجسِّمة ، فكل ما حولها يتكذَّب ويتأول ، وليس فيها هي إلا معناها لا يدخله كذب ، ولا يعتريه تأويل ، وإذا ماتت في الأحياء كلمة الموت من غرور ، أو باطل ، أو غفلة ، أو أثر ، بقي القبر مذكراً بالكلمة ، شارحاً لها بأظهر معانيها ، وداعياً إلى الاعتبار بمدلولها ، مبيِّناً بما ينطوي عليه أن الأمر كله للنهاية. القبر كلمة الأرض لمن يندفع فيرى العمرَ الماضي كأنه غير ماض ، فيعمل في إفراغ حياته من الحياة بما يملؤها من رذائله وخسائسه ؛ فلا يزال دائباً في معاني الأرض واستجماعها والاستمتاع بها ، يتلو في ذلك تلو الحيوان ويفتأسُ به ، فشريعته جَوْفُهُ وأعضاؤه ، وترجع في ذلك حيوانيته مع نفسه الروحانية ، كالحمار مع الذي يملكه ويعلفه ، ولو سئل الحمار عن صاحبه من هو؟ لقال: هو حماري. القبر على الأرض كلمة مكتوبة في الأرض إلى آخر الدنيا ، معناها أن الإنسان حيٌّ في قانون نهايته ؛ فلينظر كيف ينتهي. إذا كان الأمر كله للنهاية ، وكان الاعتبارُ بها والجزاء عليها ، فالحياة هي الحياة على طريقة السلامة لا غيرها ، طريقة إكراه الحيوان الإنساني على ممارسة الأخلاقية الاجتماعية ، وجعلها أصلاً في طباعه ، ووزن أعماله بنتائجها التي تنتهي بها ؛ إذ كانت روحانيته في النهايات لا في بداياتها. في الحياة الدنيا يكون الإنسان ذاتاً تعمل أعمالها ؛ فإذا انتهت الحياة انقلبت أعمال الإنسان ذاتاً يُخَلَّدُ هو فيها ؛ فهو من الخير خالد في الخير ، ومن الشر هو خالد في الشر ؛ فكأن الموت إن هو إلا ميلادٌ للروح من أعمالها ؛ تولد مرتين: آتيةً وراجعةً. وإذا كان الأمر للنهاية فقد وجب أن تبطل من الحياة نهايات كثيرة ؛ فلا يترك الشرُّ يمضي إلى نهايته بل يُحسَم في بدنه ، ويُقتل في أول أنفاسه ، وكذلك الشأن في كل ما لا يحسن أن يبدأ ، فإنه لا يجوز أن يمتدَّ: كالعداوة والبغضاء ، والبخل والأثرة ، والكبرياء والغرور ، والخداع والكذب ، وما شابه هذه أو شابهها ؛ فإنها كلُّها انبعاثٌ من الوجود الحيواني ، وانفجارٌ من طبيعته ؛ ويجب أن يكون لكل منها في الإرادة قبرٌ كي تسلم للنفس الطيبة إنسانيتها إلى النهاية. يا مَنْ لهم في القبور أموات! إن رؤية القبر زيادة في الشعور بقيمة الحياة ، فيجب أن يكون معنى القبر من معاني السلام العقلي في هذه الدنيا. القبر فم

ينادي: أسرعوا أسرعوا ، فهي مدة لو صُرِفَتْ كلها في الخير ما وَفَتْ به ؛ فكيف يضع منها ضياع في الشر أو الإثم؟ لو ولد الإنسان ، ومشى ، وأيفع ، وشبَّ ، واكتهل ، وهرم في يوم واحد فما عساه كان يُضَيِّع من هذا اليوم الواحد؟ إن أطول الأعمار لا يراه صاحبه في ساعة موته إلا أقصر من يوم. ينادي القبر: أصلحوا عيوبكم ، وعليكم وقتٌ لإصلاحها ؛ فإنها إن جاءت إلى هنا كما هي ، بقيت كما هي إلى الأبد ، وتركها الوقتٌ وهرب. هنا قبر ، وهناك قبر ، وهناك القبرُ أيضاً ؛ فليس ينظر في هذا عاقلٌ إلا كان نظره كأنه حُكْمٌ محكمة على هذه الحياة كيف ينبغي ، وكيف تكون؟ في القبر معنى إلغاء الزمان ، فمن يفهم هذا استطاع أن ينتصر على أيامه ، وأن يسقط منها أوقات الشر والإثم ، وأن يميت في نفسه خواطر السوء ؛ فمن معاني القبر ينشأ للإرادة عقلها القوي الثابت ، وكل الأيام المكروهة لا تجد لها مكاناً في هذا العقل ، كما لا يجد الليل محلاً في ساعات الشمس. ثلاثة أرواح لا تصلح روح الإنسان في الأرض إلا بها: روح الطبيعة في جمالها ، وروح المعبد في طهارته ، وروح القبر في موعظته.هـ. وهناك خطبة عذبة عنوانها: (موعظة الموت) للأستاذ سامي بن خالد الحمود أقتطف منها هذه الزهرات حيث يقول فيها: (الموت إنها الحقيقة الكبرى! كل حي سيفنى ، وكل جديد سييلى! وما هي إلا لحظة واحدة ، في مثل غمضة عين ، أو لمحة بصر ، تخرج فيها الروح إلى بارئها ، فإذا العبد في عداد الأموات. ذهب العمر وفات. يا أسير الشهوات. ومضى وقتك في سهو ولهو وسبات. بينما أنت على غيك حتى قيل مات. ونحن في غفلة الحياة ، كثيراً ما نفاجأ باتصال أو رسالة أو غير ذلك أن فلاناً قد مات ، وقد كان في كامل صحته وعافيته ، وذلك مصداق حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من اقترب الساعة أن يرى الهلال قبلاً فيقال لليلتين ، وأن تتخذ المساجد طرقاتاً ، وأن يظهر موت الفجأة). رواه الطبراني وحسنه الألباني. عجباً لنا! كيف نتجرأ على الله وأرواحنا بيده؟! وكيف نستغفل رقابته والموت بأمره؟ وقد روي أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام فقال: من أنت؟ فقال ملك الموت: أنا من لا يهاب الملوك ، ولا تمنع منه القصور ، ولا يقبل الرشوة ، قال: فإذا أنت ملك الموت ، قال: نعم ، قال: أتيتني ولم أستعد بعد! قال: يا داود ، أين فلان قريبك؟ أين فلان جارك؟ قال: مات ، قال: أما كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد؟! ينقسم الناس عند الموت وشدته ، والقبر وظلمته ، وفي القيامة وأهوالها ، ينقسمون إلى فريقين: أما الفريق الأول فحالهم: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) ، ألا تخافوا مما أمامكم من أهوال الآخرة ، ولا تحزنوا على ما خلفكم في الدنيا من الأهل والولد والمال ، نحن أولياؤكم في الآخرة ، نؤنسكم من الوحشة في القبور ، وعند النفخة في الصور ، ونؤمنكم يوم البعث والنشور. أما الفريق الثاني من الكفار والفجار ، فحالهم: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ). وصية محمد صلى الله عليه وسلم: (أكثرُوا من ذكر هادم اللذات ، فما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه ، ولا سعة إلا ضيقها). كلام مختصر وجيز ، قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة. وقد قيل: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة: تعجيل التوبة ، وقناعة القلب ، ونشاط العبادة ، ومن نسي الموت عوجل بثلاثة: تسويف التوبة ، وترك الرضا بالكفاف ، والتكاسل بالعبادة. أين هذه الخاتمة مما وقع لعدد من الشباب ، كانوا يستقلون سيارتهم ، والموسيقى تصدح بينهم بصوت مرتفع ، وهم غافلون ، وأبعد ما يفكرون فيه أن يفارقوا هذه الدنيا. وفجأة ، وقع الحادث ، وانقلبت

السيارة عدة مرات ، ثم حُمل المصابون على سيارة الإسعاف ، وكان أحدهم مصابًا بإصابات بليغة ، ويتنفس بصعوبة ، فقال له أدهم: يا فلان قل لا إله إلا الله ، يا فلان قل لا إله إلا الله ، فرد عليه: هو في سقر. هو في سقر. ثم أغمض عينيه وأرخى رأسه ومات ، فسأل الرجل صاحبيه: أكان يصلي؟ قالوا: لا والله ، ما كنا نصلي جميعًا. إذا زرت المقبرة قف أمام قبر مفتوح ، وتأمل هذا اللحد الضيق ، وتخيل أنك بداخله ، وقد أغلق عليك الباب ، وانهاك عليك التراب ، وفارقك الأهل والأولاد ، وقد أحاطك القبر بظلمته ووحشته ، فلا ترى إلا عملك. فماذا تتمنى يا ترى في هذه اللحظة؟ ألا تتمنى الرجوع إلى الدنيا لتعمل صالحاً ، لتركع ركعة ، لتسبح تسبيحة ، لتذكر الله تعالى ولو مرة؟! ها أنت على ظهر الأرض حيًّا معافي فاعمل صالحاً قبل أن تعضَّ على أصابع الندم وتصبح في عداد الموتى. إذا هممت بمعصية ، تذكر أمانى الموتى ، تذكر أنهم يتمنون لو عاشوا ليطيعوا الله ، فكيف تعصي الله؟ إذا فترت عن الطاعة ، تذكر أمانى الموتى ، واجتهد في الطاعة ، وبادر إلى التوبة قبل أن يأتيك الموت بغتة ، فتقول: يا ليتني قدمت لحياتي ، واعلم أن ملايين الموتى يتمنون مثل الدقيقة التي تمر من حياتك ليستثمروها في طاعة الله ، وذكره والتوبة إليه ، فلا تضع دقائق عمرك ، لنلا تتحسر في آخرتك. (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ). هـ. يقول ميمون بن مهران: "خَرَجْتُ مَعَ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْقُبُورِ بَكَى ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ ، هَذِهِ قُبُورُ آبَائِي كَأَنَّهُمْ لَمْ يُشَارِكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي لُدَّتِهِمْ وَعَيْشِهِمْ! أَمَا تَرَاهُمْ صَرَخِيَ قَدْ حَلَّتْ بِهِمُ الْمَثَلَاتُ ، وَاسْتَحَكَمَ فِيهِمُ الْبَلَاءُ ، وَأَصَابَ الْهَوَامُّ فِي أَيْدَانِهِمْ مَقِيلًا ، لِسَانَ حَالِهِمْ يَقُولُ: كُنَّا عِظَامًا فَصِرْنَا عِظَامًا ، وَكُنَّا نَفُوتُ فِيهَا نَحْنُ فُوتُ ، ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَشِيَّ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَنْعَمَ مَمَّنْ صَارَ إِلَى هَذِهِ الْقُبُورِ ، وَقَدْ أَمِنَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ. أَلَا تَبْكِي لِنَفْسِكَ؟! فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ بَكَى ؛ حَتَّى بَلَ طَرَفِ ثُوبِهِ. قَالَ الْحَارِثُ بْنُ إِدْرِيسَ: قُلْتُ لِدَاوُدَ الطَّائِي: أَوْصِنِي ، فَقَالَ: "عَسَكَرَ الْمَوْتُ يَنْتَظِرُونَكَ". قَالَ لِقَمَانَ لِابْنِهِ: "يَا بَنِي ، أَمْرٌ لَا تَدْرِي مَتَى يَلْقَاكَ ، اسْتَعِدَّ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْجَاكَ".

وقال محمد بن الحارث: "رَأَيْتُ الْحَسَنَ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ ، فَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا ، ثُمَّ اطَّلَعَ فِي الْقَبْرِ فَقَالَ: يَا لَهَا مِنْ عِظَةٍ! يَا لَهَا مِنْ عِظَةٍ! - وَمَدَّ صَوْتَهُ بِهَا - لَوْ وَاظَفْتُ قَلْبًا حَيًّا! ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْمَوْتَ فَضَحَ الدُّنْيَا ، فَلَمْ يَدَعْ لِدِي لُبًّا فَرَحًا ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَخَذَ مِنْهَا قُوَّتًا مَبْلَغًا ، وَهَضَمَ الْفَضْلَ لِيَوْمِ فَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ ، فَكَأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ قَدْ أَظْلَكُمْ". وكان الحسن البصري - رحمه الله - يقول أيضًا: الثَّوَاءُ هَا هُنَا قَلِيلٌ ، وَأَنْتُمْ آخِرَ أُمَّتِكُمْ ، وَأَمْتَكُمْ آخِرَ الْأُمَمِ ، وَقَدْ أُسْرِعَ بِخِيَارِكُمْ ، فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ إِلَّا الْمَعَايِنَةَ ، فَكَأَنَّهُا وَاللَّهِ قَدْ كَانَتْ ، مَا بَعْدَ نَبِيِّكُمْ نَبِيًّا ، وَلَا بَعْدَ كِتَابِكُمْ كِتَابًا ، وَلَا بَعْدَ أُمَّتِكُمْ أُمَّةً ، تَسُوقُونَ النَّاسَ وَالسَّاعَةَ تَسُوقِكُمْ ، وَمَا يَنْتَظِرُ أَوْلَكُمْ إِلَّا أَنْ يَلْحَقَ آخِرَكُمْ ، فَيَا لَهَا مِنْ مَوْعِظَةٍ لَوْ وَاظَفْتُ مِنَ الْقُلُوبِ حَيَاةً!". وقال الحسن أيضًا: "أَيُّهَا النَّاسُ ، أَصَبَحْتُمْ وَاللَّهِ فِي أَجَلٍ مَنْقُوصٍ ، وَعَمَلٌ مَحْصَى مَحْرُوسٍ ، وَالْمَوْتُ فَوْقَ رُؤُوسِكُمْ ، وَالنَّارُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ". وحضر الحسن جنازة ثم قال: "أَيُّهَا النَّاسُ ، اْعْمَلُوا لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ ، (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). كتب حكيم إلى أخ له فقال: "إِنَّ الْحُزْنَ عَلَى الدُّنْيَا طَوِيلٌ ، وَالْمَوْتُ مِنَ الْإِنْسَانِ قَرِيبٌ ، وَلِلنَّقْصِ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْهُ نَصِيبٌ ، وَلِلْبَلَاءِ فِي جِسْمِهِ دَبِيبٌ ، فَبَادِرْ قَبْلَ أَنْ تُنَادَى بِالرَّحِيلِ ، وَالسَّلَامُ". وكان يزيد الرقاشي - رحمه الله - يقول لنفسه: "ويحك يا يزيد! مَنْ ذَا يَصَلِّيُ عَنْكَ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ مَنْ ذَا يَصُومُ عَنْكَ بَعْدَ"

الموت؟ مَنْ ذا يُرضي عنك ربَّك بعد الموت؟ ثم يقول: يا أيها الناس، ألا تبكون وتُوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت طالبه ، والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والودود أنيسه ، وهو من هذا ينتظر الفرع الأكبر ، كيف يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشياً عليه". وجاء في "تهذيب الكمال" (76 / 32) ، وكتاب "المحتضرين" ص 146 عن دُرُس القزاز قال: لما احتضر يزيد الرقاشي بكى ، فقيل له: ما يبكيك - رحمك الله؟ قال: أبكي على ما يفوتني من قيام الليل وصيام النهار ، ثم بكى وقال: مَنْ يُصَلِّي لك يا يزيد ، وَمَنْ يصوم؟ وَمَنْ يتقرب لك إلى الله بالأعمال بعدك؟ وَمَنْ يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟ ويحكم يا إخوانه! لا تغترنَّ بشبابكم ، فكانَ قد حلَّ بكم ما حلَّ بي من عظيم الأمر وشدة كرب الموت ، النجاء ، النجاء ، الحذر ، الحذر يا إخوانه ، المبادرة يرحمكم الله". وكان ابن السماك يقول: ألا مُنتبه من رقدته؟ ألا مُستيقظ من غفلته؟ ألا مُفيع من سكرته؟ ألا خائف من صرعته؟ أقسم بالله لو رأيت القيامة تخفق بزلازل أهوالها ، وقد علت النار مُشرفة على أهلها ، وحيء بالنبيين والشهداء ؛ لسرَّك أن يكون لك في ذلك الجمع منزلة وزُلفى ، أبعد الدنيا دار معتمل أم إلى غير الآخرة منتقل؟ كلا ، والله لقد صمَّت الأسماع عن المواعظ ، وذهلت القلوب عن المنافع. قال عقيل بن عمرو في خطبته: "إخواني لا بُدَّ من الفناء ، فليت شعري ، أين الملتقى؟ وقال أحد الرُّهَّاد: "كُونُوا من الله على حذر ، ومن دُنْيَاكم على خَطر ، ومن الموت على وجَل ، ولقُودم الآخرة على عَجَل". قال إبراهيم بن أدهم لابن بشر: "يا ابن بشر ، مثل لبصر قلبك حُضور ملك الموت وأعوانه لِقْبُض رُوحك ، فانظر كيف تكون؟ ومثل له القيامة وأهوالها وأفزاعها ، والعرض والحساب والوقوف ، فانظر كيف تكون؟ ثم خرَّ مغشياً عليه". يقول ابن الجوزي رحمه الله: "إخواني ، إنكم تغدون وتروحون في آجالٍ قد غيبت عنكم ، فانظروا لخلاصكم قبل انقضاء أعماركم ، الوحا... الوحا ، فالطالب حثيث ، تذكروا تلك الصرعة بين الأهل ، وهم لا يقدرُونَ على ضرٍّ ولا نفع ، والله ما بات عاقلاً قطُّ إلا على فراش حذر ، إنما هو ديبب من سُقم ، ثم تُؤخَذون بالكظم ، فإنه زَلَّت القدم لم ينفع ندم ، لا توبة تنال ولا عثرة تُقال ولا فداء بمال. وتحت عنوان: (الموت عبر وعظات) قال الشيخ ندا أبو أحمد ما نصه بتصرف: (الموت) وما أدراك ما الموت! كفى بالموت واعظاً ، وللقلوب مقرحاً ، وللأحباء مفتتاً ، وللعيون مُبكيًا ، وللنفوس محزنًا ، وللجماعات مُفرقًا ، وللذات هادِمًا ، وللأمنيات قاطعًا. الموت: يُفرِّق بين الأحباب والأصحاب ، ويُباعد بين الأقرباء ، ويحول بين القرناء ، ويهدم اللذات ، ويقطع الصلوات ، ويبيِّم البنين والبنات ، ويشتت الجماعات. الموت: له هَيْبَةٌ تخضع لها الرؤوس ، وتتحني لها الظهور ، وله رهبةٌ تخشع لها النفوس ، وترجف من أجلها القلوب. الموت: يمضي في طريقه ولا يتوقَّف ولا يتلَفَّت ، لا يستجيب لصرخة ملهوف ، ولا لحسرة مفارق ، ولا لرغبة راغبٍ ، ولا لخوف خائفٍ ، ولا للوعة أمٍّ ، أو شفقة أبٍ ، أو حنين طفل. الموت: قضاء نافذ ، وحكم شامل ، وأمر حاتم لازم ، لا تمنع منه حصانة القلاع ، ولا يحول دونه حجاب ، ولا تردد الأبواب ، كما قال العزيز الوهَّاب: (أينما تكونوا يُدرككم الموت ولو كنتم في بُرُوج مُشَيِّدة). الموت: لا يخاف الأباطرة والأكاسرة ، ولا يخشى الملوك والقياسرة ، ولا يرهب الأمراء والقادة ، ولا الرُعماء والسادة ، يبطنُ بالعظيم كما يبطنُ بالحقير ، ويُفني الشيخ الكبير كما يُفني الولد الصغير ، ويُهلك الكهل القوي ، كما يُهلك الشابَّ الفتى ، لا يرحم مسكيناً ولا فقيراً ، ولا يترك عزيزاً ولا دليلاً ، ولا يدعُ باراً تقياً ، ولا جباراً عصياً ، لم ينجُ منه أميرٌ أو وزيرٌ ، ولم يسلم منه غنيٌّ أو فقيرٌ ، وما ترك نبياً ولا ولياً ولا تقياً ، ولا يُحابي زاهداً أو عابداً ، بل شمل المُقرَّ والجاد ، والصحيح والسقيم ،

والمريض والسليم ، بل لم يسلم منه الملائكة الكرام ، وحملة العرش العظيم ، وجبريل - عليه السلام - وآخر من يموت ملك الموت. الموت: عاقبة كل حي ، وختام كل شيء ، ونهاية كل موجود ، سوى الرب المعبود ، يستوي فيه المالك والمملوك ، والسيد والمسود ، فلا مفر منه ولا محيص عنه ، ولا مناص من سلطانه ، ولا إفلات من شبابه ، فهو سنة الله في خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، فمهما عاش المخلوق فهو إلى الموت صائر ، قال تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ). فالكل سيموت ، غير ذي العزة والجبروت. يقف الأحبة بجوار من ينازع سكرات الموت ، ويتفكرون. أهذا فلان المهاب ، الذي ملأ الدنيا ضجيجاً وصراخاً ، والذي كان منذ قليل يتحرك هنا وهناك؟ هو الآن أصبح جثة هامدة لا حراك لها ، قد تقلصت الشفتان ، وثقل اللسان ، وشخصت العينان ، وبردت القدمان ، وانهدت الأركان. إنه منذ قليل كان الكل يهابه ويخشاه ، ويتمنون رضاه ، أما الآن فينظرون إليه نظرة إشفاق. يقال له بلسان الحال: أين لسانك الفصيح؟ ما أسكتك؟ أين صوتك الشجي؟ ما أحرستك؟ أين ريحك العطرة؟ ما أنتك؟ أين حركاتك؟ ما أسكتك؟ أين أموالك الكثيرة؟ ما أفقرت؟ فيا أيها الإنسان. يا من كنت تجري هنا وهناك ، وتمشي على الأرض أو تسبح في الماء ، أو تركب الفلك أو تطير في الهواء ، ولك من المال والأولاد والزوجة الحسنة - سيأتك في يوم من الأيام ملك مهاب لا يستأذن لدخول الأبواب ، ولا يمنعه حجاب ، فأصبحت أيها الإنسان لملك تاركاً ، ولأحبائك مفارقاً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى الله وارداً ، انقطعت الأعمال فلا أنت في حسناتك زائد ، ولا إلى ذنوبك عائد ، إنها مصيبة عظيمة. الموت من أعظم المصائب التي تحل بالإنسان ، وقد سمى الله تعالى في كتابه الكريم: مصيبة ؛ فقال تعالى: (فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ أَلَمْ تَكُنْتُمْ أَتَى إِلَى حَالٍ ، وانتقل من دار إلى دار ، وهو المصيبة العظيمة والرزية الكبرى ، وأعظم منه العفلة عنه ، والإعراض عن ذكره ، وقلة التفكير فيه ، وعدم الاستعداد له. لذا كان السلف الكرام يذكر أحدهم أخاه بالموت وما بعده ؛ حتى يتأهب لهذه اللحظة ولا يغفل عنها ، فالموت خير واعظ. كما جاء في الحديث الذي أخرجه الطبراني أن الحبيب النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (كفى بالموت واعظاً ، وكفى باليقين غنى). وكان الفضيل رحمه الله يقول: "كفى بالله محباً ، وبالقرآن مؤنساً ، وبالموت واعظاً ، وكفى بخشية الله علماً ، والاغترار بالله جهلاً". وجاء في كتاب "التذكرة" للقرطبي ص 99: "أنه قيل لبعض الزهاد: ما أبلغ العظمت؟ قال: النظر إلى الأموات". ولقد كتب محمد بن يوسف بن معدان الأصبهاني إلى أخيه عبد الرحمن بن يوسف فقال له: "من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف. سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد: فإني مُحذرك متحولك من دار مهلتك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك ؛ فتصير في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها ، فيأتيك منكراً ونكيراً ، فيقعدانك وينتهرأك ، فإن يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة ، وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله وإياك من سوء مصدع ، وضيق مضجع ، ثم تتبعك صيحة الحشر ، ونفخ الصور ، وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق ، وخلاء الأرض من أهلها ، والسموات من سكانها ، فباحث الأسرار ، وسعرت النار ، ووضعت الموازين ، وحيء بالنبیین والشهداء ، (وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، فكم من مُفتضح ومستور ، وكم من هالك وناج ، وكم من مُعذب ومرحوم! فيا ليت شعري... ما حالي وحالك يومئذ؟ ففي هذا ما هدم اللذات ، وسلا عن الشهوات ، وقصر الأمل ؛ فاستيقظ النائمون وحذر الغافلون. أعاننا الله وإياك على هذا الخطر العظيم ، وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعها من قلوب المتقين! فإنما نحن به وله. عباد الله ، اسعوا في فكاك رقابكم ، واجهدوا أنفسكم في خلاصها قبل أن تزهق ، فوالله ما بين أحدكم وبين الندم ، والعلم بأنه قد زلت به القدم إلا أن يحوم عقاب المنية عليه ، ويفوق سهامها إليه ،

فإذا الندم لا ينفع ، وإذا العذر لا يمنع ، وإذا النصير لا يدفع ، وإذا الشفيح لا يشفع ، وإذا الذي فات لا يسترجع ، وإذا البائس المحابي به في النجاة لا يطمع ، فكأنّي بك يا أخي وقد صرّخ عليك النسوان ، وبكى عليك الأهل والإخوان ، وفقدك ولدان ، ونفخ لفرقتك الجيران ، ونادى عليك المنادي: قد مات فلان بن فلان ، ثم نقلت عن الأحباب ، وحملت إلى أرماس التراب ، وأضجعوك في محل ضنك ، قصير السمك ، مهول منظره كثير وعره ، مغشي بالوحشة ، عرفته مهول الضريح ، مطبق الصفيح ، على غير مهاد ولا وداد ، ولا مقدمة زاد ولا استعداد". أخي ، من لك إذا ألمّ الألم وسكت الصوت ، وتمكّن الندم ووقع بك الفوت ، وأقبل لأخذ الروح ملك الموت ، وجاءت جنوده وقيل: من راق ، ونزلت منزلاً ليس بمسكون ، وتعوّضت بعد الحركات السكون ، فيا أسفاً لك كيف تكون ، وأهوال القبر لا تطاق ، وفرّق مالك وسكنت الدار ، ودار البلاء فما دار إذ دار وشغلك الوزر عمّن هجر وزار ، ولم ينفكك ندم الرفاق. دخل بهاء الدين السبكي على الشيخ برهان الدين الإنباسي يعوده ، وكان تجاههما نعشٌ ، فنظر السبكي إلى النعش ، ثم قال للإنباسي: "يا شيخ برهان الدين ، أتدري ما يقول النعش؟ فقال: إنه يقول:

انظُرْ إِلَيَّ بِعَفْوِكَ \*\*\* أَنَا الْمَعْدُ لِحَمْلِكَ

أَنَا سَرِيرُ الْمَنَائِيَا \*\*\* كَمْ سَارَ مِثْلِي بِمِثْلِكَ

قال ثابت البناني: أيّ عبدٍ أعظم حالاً من عبد يأتيه ملك الموت وحده ، ويدخل قبره وحده ، ويوقف بين يدي الله وحده ، ومع ذلك ذنوب كثيرة ، ونعم من الله عديدة". وكتب رجلٌ إلى أخ له: "أمّا بعد ، فإن الدنيا حلم ، والآخرة يقظة ، والمتوسط بينهما الموت ، ونحن في أضغاث... والسلام". وجاء في كتاب "حلية الأولياء" (8/ 235) أنّ محمد بن يوسف الأصبهاني كتّب إلى بعض إخوانه فقال: "أقرب من أقرأتنا منه السّلام السّلام ، وتزوّد لأخراك ، وتجاّف عن ذنبيك ، واستعدّ للموت ، وبادر الفوت ، واعلم أنّ أمامك أهوالاً وأفزاعاً قد أرعبت الأنبياء والرّسل... والسلام". ووعظ أعرابيٌّ ابنه فقال له: "أيّ بني ، إنّه من خاف الموت بادر الفوت ، ومن لم يكبح نفسه عن الشّهوات أسرعته به التّبعات ، والجنّة والنّار أمامك". جاء في كتاب "صفة الصّفوة" (4/ 215) ، و"تهذيب الكمال" (18/ 15-16): "أنّ عبد الرحمن بن يزيد - وكان له حظّ من دين وعقل - فقال لبعض أصحابه: أبا فلان ، أخبرني عن حالك التي أنت عليها ، أترضاها للموت؟ قال: لا ، قال: فهل أزمعت التحويل إلى حالٍ ترضاها للموت؟ قال: لا ، والله ما تأقت نفسي إلى ذلك بعد ، فهل بعد الموت دارٌ فيها معتمل؟ قال: لا ، قال: فهل تأمن أنّ يأتيك الموت وأنت على حالك هذه؟ قال: لا ، قال: ما رأيت مثل هذه حالاً رضي بها ، وأقام عليها - أحسبه قال: - عاقل". يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - في كتابه "التذكرة" ص10: "فتفكّر يا مغرور في الموت وسكرته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فيا للموت من وعدٍ ما أصدقه ومن حاكمٍ ما عدله! كفى بالموت مقرّحاً للقلوب ومبكيّاً للعيون ، ومفرّقاً للجماعات ، وهادماً للذّات ، وقاطعاً للأمنيات ، فهل تفكّرت يا ابن آدم في يوم مصرعك ، وانتقالك من موضعك ، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق ، وخانك الصاحب والرفيق ، وهجرَكَ الأخ والصديق ، وأخذت من فراشك وغطّانك إلى عرر ، وغطّوك بعد لين لحافك بتراب ومدر؟! فيا جامع المال ، والمجتهد في البنيان ، ليس لك والله من مالك إلا الأكفان ، بل هي والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب ، فأين الذي جمعته من مال؟ هل أنقذك من الأهوال؟ كلا ، بل تركته إلى من لا يحمدك ، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك". ويقول القرطبي أيضاً في كتابه "التذكرة" ص91: "يا هذا ، أين الذي جمعته من الأموال ، وأعدده للشدائد والأهوال ، لقد أصبحت كفك منه عند الموت خاليةً صفرًا ، وبدلت من بعد غناك وعزك ذلاً وفقرًا ، فكيف أصبحت

يا رهينَ أوزاره؟ ويا مَنْ سَلِبَ من أهله ودياره؟ ما كان أخفى عليك سبيل الرشاد ، وأقل اهتمامك لحمل الزاد إلى سفرك البعيد ، وموقفك الصَّعب الشديد! أو ما علمت يا مغرور أن لا بُدَّ من الارتحال إلى يوم شديد الأهوال ، وليس ينفعك ثمَّ قيل ولا قال ، بل يعد عليك بين يدي الملك الديان ، ما بطشت اليدان ، ومشت القدمان ، ونطق به اللسان ، وعملت الجوارح والأركان ، فإنَّ رحمك فإلى الجنان ، وإن كانت الأخرى فإلى النَّيران. يا غافلاً عن هذه الأحوال ، إلى كم هذه الغفلة والتوان! أتحسب أنَّ الأمر صغير ، وتزعم أنَّ الخطب يسير؟ وتظنُّ أن سينفك حالك إذا آن ارتحالك ، أو ينقذك مالك حين تُوبقك أعمالك ، أو يُعني عنك ندمك إذا زلَّت بك قدمك ، أو يعطف عليك معشرُك حين يضمُّك محشرُك ، كلا والله ساء ما تتوهم ، ولا بُدَّ لك أن ستعلم ، لا بالكفاف تقنع ، ولا من الحرام تشبع ، ولا للعظمت تسمع ، ولا بالوعيد ترتدع ، دأبك أن تنقلب مع الأهواء ، وتخطب خبط العشواء ، يعجبك التكاثر بما لديك ، ولا تذكر ما بين يديك. يا نائمًا في غفلة ، وفي خبطة يقظان ، إلى كم هذه الغفلة والتوان! أنزعُم أن سنثرك سدى ، وألا تُحاسب غداً ، أم تحسب أن الموت يقبل الرشا ، أم يميز بين الأسد والرشا؟ كلا والله لن يدفع عنك الموت مالاً ولا بنون ، ولا ينفع أهل القبور إلا العمل المبرور. فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما ادعى ، ونهى النفس عن الهوى ، وعلم أن الفائز من ارعوى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، فانتبه من هذه الرقدة ، واجعل العمل الصالح لك عدةً ، ولا تتمنَّ منازل الأبرار ، وأنت مقيم على الأوزار ، عاملٌ بعمل الفجار ، بل أكثر من الأعمال الصالحات ، وراقب الله في الخلوات. رب الأرض والسموات ، ولا يعرِّك الأمل ، فتزهد عن العمل. وعظ أحد الصالحين الناس فقال لهم: "يا أيها الناس ، اعملوا على مهل ، وكونوا من الله - عزَّ وجلَّ - ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل ، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدارة خداعة ، قد ترخرقت لكم بغرورها ، وفتنتكم بأمانيتها ، وتزيّنت لخطابها ، فأصبحت كالعروس المحلية ، العيون إليها ناظرة ، والقلوب عليها عاكفة ، والنفوس لها عاشقة ، فكم من عاشقٍ لها قتل ، ومطمئن إليها خذلت! فانظروا إليها بعين الحقيقة ، فإنها دار كثيرة بوانقها ، وذمها خالقها. جديدها يبلى ، وملكها يفنى ، وعزيزها يذلُّ ، وكثيرها يقلُّ ، ودُّها يموت ، وخيرها يفوت ، فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم ، وانتهبوا من رقدتكم قبل أن يُقال: فلان عليل ، أو مدنف ثقيل ، فهل على الدواء من دليل؟! وهل إلى الطبيب من سبيل؟! فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ، ثم يُقال: فلان أوصى ولماله أحصى ، ثم يُقال: قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه. وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك ، وثبت يقينك ، وطمحت جفونك ، وصدقت ظنونك ، وتلجج لسانك ، وبكى إخوانك. وقيل لك: هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ، ومُنعت من الكلام فلا تنطق ، وختم على لسانك فلا ينطق ، ثم حلَّ بك القضاء ، وانتزعت نفسك من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فاجتمع عند ذلك إخوانك ، وأحضرت أكفانك ، فغسلوك وكفنوك ، فانقطع عوادك ، واستراح حسادك ، وانصرفَ أهلك إلى مالك ، وبقيت مرتيناً بأعمالك. يقول القرطبي - رحمه الله -: "مثل نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات ، ونزل بك الأتئين والغمرات ، فمن قائلٍ يقول: إنَّ فلاناً قد أوصى ، وماله قد أحصى ، ومن قائلٍ يقول: إنَّ فلاناً ثقل لسانه ، فلا يعرف جيرانه ، ولا يكلم إخوانه ، فكأنِّي أنظر إليك تسمع الخطاب ، ولا تقدر على ردِّ الجواب. فخيّل لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت لفراشك إلى لوح مُغسلك ، فغسلت الغاسل ، وألبست الأكفان ، وأوحش منك الأهل والجيران ، وبكت عليك الأصحاب والإخوان ، وقال الغاسل: أين زوجة فلان تحالته؟ وأين اليتامى تركمكم أبوكم فما تروّنه بعد هذا اليوم أبداً؟ أيها الغافلون عن الموت ، جدوا فقد سبقتم واستعدوا فقد لحقتكم ، وانظروا بماذا من الهوى غلقتكم ، ولا تغفلوا عمّا له خُلفتكم ، ذهبت الأيام وما أظنتم ، وكُتبت الآثام وما أصغيتكم ، وكأنكم بالصادقين قد وصلوا ، وانقطعتم ، أهذا التوبيخ لغيركم؟ أما قد سمعتم؟ اسمعوا عظة الزمان إن كنتم تسمعون ، وتأمّلوا تقلب الأحوال إن كنتم تبصرون.

ذكر القرطبي عن محمد بن القرشي أنه قال: سمعت شيخنا يقول: "أيها الناس. إنّي لكم ناصح ، عليكم شفيق ، فاعملوا في ظلمة الليل لظلمة القبور ، وصوموا في الحر قبل يوم النشور ، وحجوا يحط عنكم عظام الأمور ، وتصدقوا مخافة يوم عسير". يا ناسي الموت... كم أسمعك الموت وعيدك ، فلم تنتبه حتى قطع وريدك ، ونقض منزلك وهد مشيبك ، ومزق مالك وفرق عبيدك ، وأخلي دارك وملأ بيدك ، أما رأيت قرينك؟ أما أبصرت فقيدك؟ أين الوالدون وما ولدوا؟ أين الجبارون وأين ما قصدوا؟ أين أرباب المعاصي؟ على ماذا وردوا؟ أما جنوا ثمرات ما جنوا وحصدوا؟ أما قدّموا على أعمالهم في مآلهم ووفدوا؟ أما خلوا في ظلمات القبور؟ بكوا والله وانفردوا ، أما ذلوا وقلّوا بعد إن عتوا ومردوا؟ أما طلبوا زاداً يكفي في طريقهم ففقدوا ، أما حلّ الموت فحلّ عقد ما عقدوا؟ عاينوا والله كلّ ما قدموا ووجدوا ، فهمنم أقوام شقوا وأقوام سعدوا. أيها الغافل ، كم سكن مثلك في هذا الدار ، فحام الموت حول حماهم ودار! ثم ناهضهم وسلب الجار ، فمن أندر قبل هجومه فما جار. يا هذا ، العمر عمرٌ قليل ، وقد مضى أكثره بالتعليل ، وأنت تعرض البقيّة للتأويل ، وقد أنّ الأوان أن يرحل النزير". أيها الغافل، كأنك بالموت وقد اختطفك اختطاف البرق ، ولم تقدّر على دفعه عنك بملك الغرب والشرق ، وتأسفت الأسف الشديد (وجاءت سكرة الموت بالحقّ ذلك ما كنت منه تحيد). يقول ابن الجوزي: "كم يوم غابت شمسك وقلبك غاب ، وكم ظلام أسبل ستره وأنت في عجائب ، وكم أسبغت عليك نعمة وأنت للمعاصي توثب ، وكم صحيفة قد ملأها بالذنوب الكاتب ، وكم يُنذرك سلب رفيقك وأنت لآعب! يا من يأمن الإقامة قد زمت الركائب ، أفق من سكرتك قبل حسرتك على المعاييب ، وتذكر نزول حفرتك وهجران الأقارب ، وانهض عن بساط الرقاد وقل: أنا تائب ، وبإدب تحصيل الفضائل قبل فوت المطالب ، فالسائق حثيث ، والحادي مُجد ، والموت طالب! اعلم يا ابن آدم أنك لدنياك مفارق ، ولسكرات الموت ذائق ، وللقبر ساكن ، وبين يدي ربك واقف ، وعن أعمالك وأقوالك مسؤول ، فأعدّ للسؤال جواباً ، وللجواب صواباً ، واعلم أنّ الحساب دقيق ، والناقد بصير ، وهو على كلّ شيء قدير. جاء في "التبصرة" (2/ 206): يا غافلاً عن نفسه ، أمرك عجيب ، يا قاتيل الهوى ، داؤك غريب ، يا طويل الأمل ، سنُدعى فتجيب ، وهذا عن قريب ، وكلّ أت قريب ، هلا تذكرت لحدك ، كيف تبيت وحدك ، ويباشر الثرى خدك ، وتقتسم الديدان جلدك ، ويضحك المحبُّ بعدك ، ناسياً عنه بُعدك؟! والأهل مذ وجدوا المال ما وجدوا فقدك ، إلى متى وحتّى متى تترك رشدك؟! أما تحسن أن تحسن قصدك؟! الأمل جد مجد ، فلازم جدك". أيها الغافل عن الموت بإدب قبل الفوت. يقول شميظ بن عجلان - رحمه الله - كما في "صفة الصفوة" (3/ 347) ، و"قصر الأمل" ؛ لابن أبي الدنيا ص62: "أيها المغترّ بطول صحته ، أما رأيت ميئاً قط من غير سقم؟ أيها المغترّ بطول المهلة ، أما رأيت مأخوذاً قط من غير عدة؟ إنك لو فكّرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدّم من لذاتك. أبالصحة تغترّون ، أم بطول العافية تمرحون ، أم للموت تأمنون ، أم على ملك الموت تجترّون؟! إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك. أما علمت أنّ ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط؟ ثم قال: رَحِمَ اللهُ عبداً عمِلَ لساعة الموت ، رَحِمَ اللهُ عبداً عمِلَ لما بعد الموت ، رَحِمَ اللهُ عبداً نظرَ لنفسه قبل نزول الموت". اهـ. والآن لنتابع قراءة جزئنا الثاني من: (القبور تتكلم) وعنوانه: (نصيحة لزائري القبور)! ويعقبه الجزء الثالث إن كان في العمر بقية! وأسأل الله أن ينفع به من كتب وقرأ ونشر! هو ولي ذلك والقادر الوحيد عليه!

انظر الأجداث ، واستنقص الخبر والتمس من منظر القبر العبر

وارحم الموتى ، وأشفق ، واحترم أخذة الموت ، وللهول انكسر



هذَّبِ النَّفْسَ ، وَأَلْزَمَهَا الْحَيَا      وتفكَّرْ فِي الَّذِي تَحْوِي الْحَفْرَ  
حُرْمَةَ الْأَمْوَاتِ لَا ، لَا تَنْتَهَكْ      واعتَبِرْ - يَا صَاحِبَ الْعَظْمِ النَّخِرِ  
إِنَّهُ الْقَبْرُ يُبَكِّي نَاطِرًا      إنْ أَطَالَ الْعَبْدُ - فِي الْقَبْرِ - النَّظَرَ  
بِيَسْتِ دُودٍ ، دُودُهُ لَا يَرَعُ وَيُؤْيِ      يَنْهَشُ اللَّحْمَ ، فَلَا يَبْقَى أَثَرَ  
وَهُوَ بَيْتٌ مُوَحِّشٌ مُسْتَوْحِشٌ!      عَمَلُ الْإِنْسَانِ ضَعِيفٌ مُسْتَقَرٌّ  
وَهُوَ مَأْوَى غَرْبَةٍ إِنْهَاؤُهَا      حِلَّ مِيعَادِ النَّشُورِ الْمُنْتَظَرِ  
وَالْمَقَادِيرُ لَهَا أَسْبَابُهَا      وَدُخُولِ الْقَبْرِ حَتَّى تُسْتَقَرَّ  
وَالْبِرَايَا قَدَّرَتْ أَعْمَارُهَا      وَقَضَاءِ اللَّهِ آتٍ وَالْقَدَرُ  
وَالْمَنَائِمَا وَالْبَلَايَا سُبُجَلَتْ      فَاجْتَهِدْ فِي السَّعْيِ وَاصْبِرْ وَاصْطَبِرْ  
وَتَأْمَلْ فِي مَقَادِيرِ السُّورَى      نَصَبَ عَيْنِكَ حَكَايَا كَالسِّيَرِ  
كَمْ طَوَى الْمَوْتَ فَرَاعِينَ الدُّنَا      دُونَ إِمْهَالِ كَلِمَاتٍ بِالْبَصْرِ!  
كَمْ دَهَى الْمَوْتَ أَنْسَاءً عَرَبَدُوا      بَعْدَمَا الْآيَاتُ جَاءَتْ وَالنَّذْرُ!  
كَمْ عِظَاتٍ صَاغَهَا الْمَوْتُ لَنَا      سَرَّذُهَا يَكْوِي قُلُوبًا تَعْتَبِرُ!  
أَيُّ قَلْبٍ عَافَ وَعَظًا جَاءَهُ      فَمَكَانَ الْقَلْبِ قَدْ حَلَّ الْحَجْرُ!  
قَدْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ أَرْجَى وَعَظِي      عَنِ سِنَاهُ يَصْرِفُ النَّفْسَ الْخُورِ  
كَمْ دَرُوسٍ سَاقَهَا عَنِ مَيِّتٍ      مَلَأَكَ الدُّنْيَا ، وَبِالْبَأْسِ اشْتَهَرَ!  
غَرَّةَ السَّلْطَانِ ، وَانْقَادَتْ لَهَا      رَغْمَ أَنْفِ الْكُلِّ قَطْعَانِ الْبَشْرِ  
وَأَنْبَرِي يَخْتَالُ فِي أَهْوَانِهِ      وَالرَّعَايَا - حَوْلَهُ - مِثْلُ الْعَجْرِ  
أَفْسَدَ الدُّنْيَا ، وَأَغْوَى أَهْلَهَا      وَبِمَا أَحْدَثَ بِأَهْلِهَا ، وَافْتَخَرَ  
زَاعِمًا أَنَّ الدُّنْيَا رِفْعَةٌ      فَاسْتَمَى شَأْنُ التَّدْنِي ، وَانْتَشَرَ  
حَارِبَ الْحَقِّ ، وَعَادَى أَهْلَهُ      وَأَجَادَ اللُّؤْمَ - جَهْرًا - وَالذَّبْرُ!

باذلاً مُر الأذى في كيدهم وعلى أعلامهم كال الضرر  
 مُعَمِّلاً سيفَ الردى في قهرهم غال بعضاً ، ثم بعضاً قد قهر  
 ثم حاك الزيف عنهم والفري مثلما يحتال كذابٌ أشر  
 واسـتقرَ الأمرُ: رأسٌ صادقٌ والألى صدوه هم أشقى الزمر  
 ثم جاء الموتُ يُردى المفتري! فإذا بالخـب أضحى يحتضر  
 قال للخُجّاب: هيا أحضروا أهلَ طبي يرفعوا عني الخطر  
 وَغَكَّةَ هذي ، سـيُنهيها الدوا وَمِن الأسقام قد يُنجي الحذر  
 وأتى الطبُ ، وأدلى دلوه أين مما قدر المولى وَرَّر؟!  
 خيمَ الموتُ ، وألقى سـيتره أي طبٍ يبتلي هذي السُتْر؟!  
 نفضَ (الدكتور) كفي عاجز مُلقياً كل الأحاجي والإبر  
 لم تعدْ تُجدي العقاقيرُ التي أنتجَ الطبُ ، فقد ولي العُمُر!  
 فاحملوها جُثّة أفضت إلى كل أعمال إليها تفتقر  
 كم تلا الموتُ عباراتِ الأسى عن أناس شمسنا هم والقمر!  
 أهلُ علم بينوا سُنبل الهدى وأبانوا الرشدَ في خالي العُصُر  
 شرفوا الدنيا بما هم خُلقوا من علوم كم حوت أحلى الدُرر!  
 ففي بَقاع الأرض ذروا علمهم ولهم في نشره أرجى السـيَر  
 والتلاميذ أتوا من بعدهم بانلين الجهدَ في بذر الفِكر  
 فاستفادَ الناسُ من تعلـيمهم والآنوا - للتلاميذ - العـيـر  
 ثم ماتوا ، والعلومُ لم تمتْ ولها دوماً - على الجهل - الظفر  
 والقبورُ غيّبت أجسامهم لكن الذكرى تُسلي من ذكر  
 لا يزال الدهرُ يُعلي شأنهم ولهم - بين البرايا - ينتصر  
 قبرٌ كلٌّ منهم مُستودعٌ لرفاتٍ ما ثوى فيها الخبر

إليه يا قبراً حوى أهل الهدى! الجثامين مضت ، والعلمُ قرأ!  
 زائرَ القبرِ تَأدبُ ، وارتدغ وتأمل ، وتبصّر ، وادكر!  
 قد يُفِيقُ القبرُ قلباً هائماً إن تملى القلبُ يوماً ، وافتكر  
 قد تهز الروحُ ذكرى ميّتٍ بخلال الخير والحسنى أمر  
 قد يُعيدُ القبرُ عبداً شارداً في الضلالات - تمادي - والسُعر  
 زائرَ القبرِ تطفُف ، وانتصت لحديث القبر ، واعقل ، واعتبر  
 إن - للقبر - كلاماً قاله فاقراً الأقوال ، وابحث في الأثر  
 لم يكن قط حديثاً مفتري بل حديثاً فيه أسمى مُزدجر  
 لِمَ جَفَّ الدمعُ ، واعتيل البُكا؟ كنت أولى بدموع تنحدر  
 كيف تهذي عند قبر ربما فيه نيران ، أتثه من سقر؟!  
 تحرقُ الميّتَ صُبحاً والمسا في ذنوب بات - منها - يستعر  
 كيف لم يهزمك قبرٌ ربما ضمّ جثماناً فأذى واعتصر؟!  
 كيف لم يرددك قبرٌ عن هوى فراك الناسُ تجترُ السمّر؟!  
 كيف تلهو بالنكات استغرقت وقت غير لم يُزلزله الكبر؟!  
 وعجيبٌ أمرٌ كَفَى غافل كل كَفٍ - بهواها - تَأتُر!  
 كفك اليمنى بها الحلوى شدت وفمُ الشرهان منها لم يذر  
 طابت الحلوى فأفنى ما اشتهى وقضى - من نهمة الأكل - الوطر  
 واليذُ اليسرى بها سيجارة تعس المذمن ، أشجاه الخدر!  
 وي كأن القبرَ ملهى جاعة قاصداً فيه التلهي والسهر!  
 وي كأن القبرَ مقهى زاره ينفخ النرجيل وهاج الشرر!  
 تشمئز النفسُ من دُخانهِ ويلى دُخانهِ ريحٌ قذر

تَعَسَّ التَّدْخِيْنُ يُرْدِيْ أَهْلَهُ هَلْ رَشِيْدٌ بِسُمُوْمٍ يَنْتَحِرُ؟!  
يُشْعَلُ السِّيْجَارُ عِنْدَ الْقَبْرِ ، لِمَ يُنْسَهُ الْقَبْرُ الْهُوْىَ كِي يَنْزَجِرُ!  
وَالْمَزَاجُ الْعَذْبُ نَاجِيْ عَابِثاً! عَمِي الْقَلْبُ - لَدِيْهِ - وَالْبَصْرُ!  
خَابَ كَيْفَ كَمَ يُدَسِّيْ مُدْمِناً! هَلْ - مَعَ الْإِصْرَارِ - ذَنْبٌ يُغْتَفَرُ؟!  
ضَجَعَةَ الْقَبْرِ تَقِيْ مَنْ شَيَّعُوا فَتْنَةَ الدُّنْيَا وَأَوْهَامَ الْبَطْرِ  
كُلَ مَجْنُوْزٍ لَهْ فِي قَبْرِهِ عِبْرَةٌ تُورِثُ - فِي النَفْسِ - الضَّجْرُ  
رَحَلَ الْمَجْنُوْزُ عَنْهَا مُكْرَهُاً وَأَرَانَا - بَعْدَ حِيْنٍ - فِي الْآثَرِ  
هَلْ يَكُوْنُ الْقَبْرُ أَحْلَى رَوْضَةٍ مِنْ جَنَانٍ فِي جَوَارِ الْمَقْتَدْرِ؟  
أَمْ يَكُوْنُ الْقَبْرُ أَشْقَى حُفْرَةٍ مِنْ جَحِيْمٍ ، ثُمَّ فِي الْآخَرَى سَقْرُ؟!  
إِنْ فِي الْقَبْرِ عِظْمَاتٌ تَجْتَنِيْ فَرْحَةٌ فِي الْقَلْبِ تَعْلُوهَا الْبُشْرُ  
وَدُرُوساً تَدْمَعُ الْعَيْنُ لَهَا فَتَرَى الدَّمْعَ غَزِيْراً يَنْهَمِرُ  
وَلِذِكْرِ الْمَوْتِ أَخَذَ صَاعِقٌ كَمَ بِهِذَا الذِّكْرِ نَفْسٌ تَنْكَسِرُ!  
زَائِرَ الْقَبْرِ أَطْعَمِيْ ، وَانْتَصِخْ رُبَّ نَصْحِ سَاقٍ - لِلْغَافِيْ - الْعَبْرِ!  
خَفَّ مِنَ الْقَبْرِ ، وَجَهْزَ زَادَهُ! رَاحِلٌ أَنْتِ ، تَهِيْأُ لِلْسَفْرِ!  
رَبِّمَا وَافَاكَ مَوْتُ مَزْمَعٍ فَتَأْهَبُ لِلْقَاءِ الْمَقْتَدْرِ!  
رَحِمَ اللهُ أَمِيراً يُصْغِيْ إِلَيَّ وَاعْظِ الْمَوْتَ رَضِيْاً بِالْقَدْرِ  
هَادِمِ اللِّذَاتِ آتٍ ، فَالْقَدَةُ مَسْتَعْداً قَدْ أَفَادَتْكَ النَّذْرُ  
سَوْفَ يَأْتِيْ بِغْتَةٍ ، فَامْهَدْ لَهَا بِسْمِنَا التَّقْوَى وَسُغِيْ مُدْخَرِ  
وَبِأَعْمَالٍ تُنَجِّيْ عَامِلاً وَبِأَفْعَالٍ وَأَقْوَالٍ أُخْرِ  
وَادْعُ رَبَّ النَّاسِ ، وَانْشُدْ عَوْنَهُ فِي دَجَى اللَّيْلِ ، وَفِي وَقْتِ السَّحْرِ  
كُتِبَ الْمَوْلَى عَلَى الْخَلْقِ الْفَنَاءُ وَسَيَبْقَى وَجْهُ خَلْقِ الْبَشْرِ!

### المقابر تتكلم 3 (وصية أصحاب القبور)

(تخيلت المفترطين المقصرين من أصحاب القبور ، وقد أتاحت لهم الفرصة ليوصوا الأحياء من بني البشر ، فماذا يقولون لهم؟ فكانت هذه القصيدة ترجمة لوصيتهم! مهما كتبنا عن الموت وعظة القبر فما أظننا وفينا هذا الموضوع حقه والإحاطة به علماً ووصفاً! جاء في كتاب "الزهد الكبير"؛ للبيهقي عن روح بن مدرك أنه قال وهو على المنبر: "الآن قبل أن تسقم فتضنى ، وتهرم فتبلى ، ثم تموت فتنسى ، ثم تُقبر فتبلى ، ثم تبعث فتحيى ، ثم تحضر فتدعى ، ثم تُوقَف فتجزى بما قدّمت وأمضيت ، وأذهبت فأفانيت من موبقات سيئاتك ، ومتلفات شهواتك ، فالآن... الآن وأنتم سالمون". أما أنّ للنائم أن يستيقظ من نومه؟ وحن للغافل أن ينتبه من غفلته قبل هُجوم الموت بمرارة كأسه؟ وقبل سكون حركاته ، وخمود أنفاسه ، ورحلته إلى قبره ، ومقامه بن آدماسه. قال الحسن بن عبد العزيز الجروبي: "من لم يردعه القرآن والموت ، فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع". يا مَنْ يُدعى إلى نجاته فلا يجيب ، يا مَنْ قد رضي أن يخسر ويخيب ، إنّ أمرك طريف وحالك عجيب ، أذكر في ذمك راحتك ساعة الوجيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). ويحك! إنّ الحقّ حاضر ما يغيب ، تُحصى عليك أعمال الطلوع وأفعال المغيب ، ضاعت الرياضة في غير نجيب ، سيماك تدلّ وما يخفي المريب ، اسمع: لا بُدَّ لغربان الفراق من نعيب ، أنساكن الغفلة ولغيرنا نعيب؟ يا مَنْ سلعة كلُّها معيب ، أذكر يوم الفرع والتأنيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). لا بُدَّ والله من فراق العيش الرطيب ، والتحافِ البلى مكان الطيب ، واعجباً للذات بعد هذا كيف تطيب ، ويحك! أحضر قلبك لوعظ الخطيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). تذكر من قد أصيب ، كيف نزل بهم يوم عصيب ، وانتبه... لاحظ الحظ والنصيب ، واحترز... فعليك شهيداً ورقيب ، إذا حلَّ الموت حلَّ التركيب ، وتقلب مقلّ القلوب في قلب التقلب. ستخرج والله من هذا الوادي الرحيب ، ولا ينفك البكاء والنحيب ، لا بُدَّ من يوم يتحير فيه الشبان والشيب ، ويذهل فيه الطفل للهول ويشيب ، يا مَنْ عمله كلُّه رديء فليته قد شيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). كيف بك إذا أحضرت في حال كنيب ، وعليك ذنوب أكثر من رمل كثيب ، والمهمين الطالب والعظيم الحسيب ، فحينئذٍ يبتعد عنك الأهل والنسيب ، النوح أولى بك يا مغرور من التشبيب ، أتؤمن أم عندك تكذيب ، أم تراك تصبر على التعذيب؟ كأنك بدمع العين ومائها قد أذيب ، أقبل نصحي وأقبل على التربية والتهديب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). يا مُطالباً بأعماله ، يا مسؤولاً عن أفعاله ، يا مكتوباً عليه جميع أقواله ، يا مُناقشاً على كلِّ أحواله ، نسيانك لهذا أمرٍ عجيب ، أتسكن إلى العافية ، وتساكن العيشة الصافية ، وتظن أيمان الغرور واقية ، لا بُدَّ من سهم مصيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). لو أحسنت الخلاص أحسنت ، لو آمنت بالعرض لتجملت وتزيّنت ، يا مَنْ قد أنعمت عليه الأمور لو سألت لتبيّنت ، ويحك! أحضر قلبك إنما أنت في الدنيا غريب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). إلى متى أنت مع أغراضك؟ متى ينقضي زمان إغراضك؟ يا زمن البلى متى زمن إنهاضك؟ تالله لقد كعّ من أمراضك الطبيب ؛ (وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ). يا مَنْ عمله بالنفاق مغشوش ، تنزيّن للناس كما يُزيّن المنقوش ، إنما يُنظر إلى الباطن لا إلى النُقوش ، إذا هممت بالمعاصي فاذكر يوم النُعوش ، وكيف تحمل إلى قبرٍ بالجندل مفروش ، من لك إذا جمع الإنس والجن والوحوش ، وقام العاصي من قبره حيران مدهوش ، وجاء الجبار العظيم وهو مغلولٍ مخشوش ، فحينئذٍ يتضاءل المتكبر وتدلّ الرؤوس ، ويومئذٍ

يبصر الأكمة ويسمع الأطروش ، وينصب الصراط فكم واقع وكم مخدوش! ليس بجادة يقطعها قاصلاً ولا مرعوش ، ولا تقبل في ذلك اليوم فدية ولا تؤخذ الأروش ، والمتعوس حينئذ ليس بمنعوش ، وينقلب أهل النار في الأقدار والريح كالخشوش ، لحافهم جمر وكذلك الفروش ، (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ). يا مَنْ أركان إخلاصه واهية ، أما لك من عقلك ناهية؟ إلى متى نفسك ساهية ، مُعجبة بالدنيا زاهية؟ مُفاخرة للإخوان مضاهية ، النار بين يديك وتكفي داهية وما أدراك ماهية ، (نَارٌ حَامِيَةٌ). تقوم من قبرك ضعيف الجاش ، وقد جأر قلبك في بدنك وجاش ، ووابل الدمع يسبق الرّشاش ، أتدري ما يلاقي العطاش الظامنة (نَارٌ حَامِيَةٌ). أين من عتا وتجبر؟ أين من علا وتكبر؟ أين من للدول بالظلم دبّر؟ ماذا أعد للحضرة السامية (نَارٌ حَامِيَةٌ). لو رأيت العاصي وقد شقي ، يصيح في الموقف: "واقلي" ، اشتدّ عطشه وما سقي ، وشرر النار إليه يرتقي ، فمن يتقي تلك الرامية ، (نَارٌ حَامِيَةٌ). لو رأيت يقياسي حرّاً ، ويعاني ضرّاً ، جحيمها وقرّها ، والله لا يدفع اليوم شرّها ، إلا عين هامية (نَارٌ حَامِيَةٌ). يفرّ الولد من أبيه ، والأخ من أخيه ، وكلّ قريب من ذويه ، أسمعت يا مَنْ معاصيه نامية ، (نَارٌ حَامِيَةٌ). لهذا كان المتّقون يقلقون ويخافون ربهم ويشفقون ، وكم جرث من عُيون القوم عيون! كانت جفونهم دائمة دامية ، من خوفهم من (نَارٌ حَامِيَةٌ). أجارنا الله بكرمه منها ، ووفّقنا لما ينجي عنها ، وجعلنا بفضل من قام بما يؤمر ، واجتنب ما عنه ينهى ، فكم له من نعم سامية! فاتّقوا (نَارٌ حَامِيَةٌ). يقول ابن الجوزي - رحمه الله - كما في "التبصرة" (2/ 275): "كأنك بالعمر قد انقرض ، وهجم عليك المرض ، وفات كلّ مراد وغرض ، وإذا بالتلف قد عرض أخذاً (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). شخّص البصر وسكّن الصّوت ، ولم يمكن التّدارك للفوت ، ونزل بك ملك الموت ؛ فسامت الرّوح وحاذى: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). عالجت أشدّ الشدائد ، فيا عجباً ممّا تُكابِد ، كأنك قد سقيت سمّ الأسود فقطع أفلاًداً ؛ (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). بلغت الرّوح إلى التّراقي ، ولم تعرف من الساقى ، ولم تدر عند الرّحيل ما تُلاقي ، عياداً بالله عياداً ، (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). ثم درجوك إلى الكفن ، وحملوك إلى بيت العفن ، على العيب القبيح والأفن ، وإذا الحبيب من التراب قد حفن ، وصرت في القبر جُداً ، (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). وتسرّبت عنك الأقارب تسري ، تقدّ في مالك وتقرى ، وغاية أمرهم أن تجري دموعهم رداً ، (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). قفلوا الأقفال وبصّعوا البضاعة ، ونسوا ذكرك يا حبيبهم بعد ساعة ، وبقيت هناك إلى أن تقوم الساعة ، لا تجد وزراً ولا معاداً ، (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). ثم قمت من قبرك فقيراً ، لا تملك من المال نقيراً ، أصبحت بالذنوب عقيراً ، فلو قدّمت من الخير صار ملجأ وملاداً ، (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا). وقال في موضع آخر: يا مطلقاً نفسه فيما يشتهي ويريد ، اذكر عند خطواتك المبدئ المعيد ، وخفّ فبح ما جرى فالملك يرى والملك شهيد ؛ (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ). هلاً استحييت ممّن يراك إذا ركبت من هواك ما نهاك ، ستبكي والله عينك ممّا جنت يداك ، أما تعلم أنّه بالمرصاد ، فقل لي: أين تحيد؟ (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ). كم من ظالم تعدّى وجار! فما راعى الأهل ولا الجار ، بينا هو يعقد عقد الإصرار ، حلّ به الموت ، فحلّ من حلّته الأزرار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). ما صحّبه سوى الكفن إلى بيت البلى والعفن ، لو رأيت وقد حلّت به المحن ، وشين ذلك الوجه الحسن ، فلا تسأل كيف صار (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). سأل في اللحد صديده ، وبلي في القبر جديده ، وهجره نسيبه ووديده ، وتفرّق حشمه وعبيده والأنصار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). أين مجالسه العالية؟ أين عيشته الصافية؟ أين لذاته الحالية؟ كم تسفي على قبره سافية ، ذهبت

العين وأخفيت الآثار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). تقطعت به جميع الأسباب ، وهجره القراء والأتراب ، وصار فراشه الجندل والتراب ، وربما فتح له في اللحد باب النار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). خلا والله بما كان صنع ، واحتوشه الندم وما نفع ، وتمنى الخلاص وهيهات... قد وقع ، وخلاه الخليل المصافي وانقطع ، واشتغل الأهل بما كان جمع ، وتملك الضد المال والدار (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). نادم بلا شك ولا خفا ، باك على ما زلَّ وهفأ ، يوذ أن صافي اللذات ما صفا ، وعلم أنه كان يبني على شفا جرف هار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). قارنه عمله من ساعة الحين ، فهو يتمنى الفرار ، وهيهات... أين؟ ويقول: يا ليت بيني وبينك بُعد المشرفين ، فهو على فراش الوحدة وحده ، والعمل ثاني اثنين ، ولكن لا في الغار ؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). وهذه إن كانت حالة من عدا ، فكل منكم مثلها عدا ، فانتبهوا من رقادكم قبل الردى ؛ (أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) ، إنما هي جنة أو نار؛ (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ). أيها الغافلون ، أين أحببكم الذين سلفوا؟ أين أتراكم الذين رحلوا وانصرفوا؟ أين أرباب الأموال وما خلفوا؟ ندموا على التفریط ، يا ليتهم عرفوا هول مقام يشيب منه الوليد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). يا من جسده حي وقلبه ميت ، ستعاين عند الحسرات ما لا تريد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). كم أزعج المنون نفوسا من ديارها! وكم أباد البلى أجسادا منعمة لم يدارها! وكم نقل إلى الحفر أرواحا مذارها! وكم أذل في التراب خدودا بعد مزارها! فابك على نفسك قبل بكاء لا يفيد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). أما علمت أنك ترحل في كل يوم مرحلة؟ أما علمت أنه يحصى عليك من الأعمال خردلة؟ وكم من مؤمل خاله في الحساب ما أمله؟ مر القضاء وعجله ولم تبلغه الآمال إلى ما يريد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). يا معرضا عن المولى ، إلى متى الإعراض؟ وقد ولّى شبابك في طلب الأعراض. أما علمت ويحك أن عمرك في انقراض ، وقواك كل ساعة في انتقاض ، ويحك تزود ، فالسفر والله بعيد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). يا من كسته المعاصي ظلمة الحجاب ، يا من أغلق الهوى في وجهه الأبواب ، نُح على نفسك فربما ينفخ التعديد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). أما علمت أن الموت لك بالمرصاد؟ أما صاد غيرك وإياك سيصطاد؟ أما بلغك ما فعل بسائر القُصَاد؟ أما حذرَكَ غفلتك عنه في كل موطن وواد؟ أما سمعت قول الملك المجيد: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). أين من بنى وشاد؟ واستطال وتأمّر على العباد؟ ألم يسمعوا الإنذار بالموت والتهديد: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)؟ فيا من ينظر العبر بعينيه ، ويسمع المواعظ بأذنيه ، وكلماته معدودة عليه ، ونذير الموت قد دنا إليه بالإسراع والتأكيد ؛ (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). أيها الغافل ، ربح القوم وخسرت ، وساروا إلى الحبيب وما سرت ، وقاموا بالأوامر وضيعت ما به أمرت ، وسلموا من رِقّ الهوى واغتررت فأسرت ، فالدنيا تخدمهم والسعادة تقدمهم حين يحشرون ؛ (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ). لقد شوقتم إلى الفضائل فما اشتقتم ، وزجرتكم عن الرذائل وأنتم في سكر الهوى ما أفقتم ، فلو حاسبتم أنفسكم وحققتم ، علمتم أنكم بغير وثيق توثقتم ، فاطلبوا الخلاص من أسر الهوى فقد جدّ الطالبون ؛ (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ). هـ. وفي حديث البراء بن عازب - الذي أخرجه الإمام أحمد - قال: "خرجنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في جنازة رجل من الأنصار ، فانتبهنا إلى القبر ، ولما يُلحد ، فجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجلسنا حوله ، وكان على رؤوسنا الطير ، وفي يده

عود ينكت في الأرض ، فرقع رأسه ، فقال: (استعيذوا بالله من عذاب القبر) مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال: (إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ؛ نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت - عليه السلام - حتى يجلس عند رأسه ، فيقول: أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان) ، قال: (فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها ، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض) ، قال: (فيصعدون بها ، فلا يمرون - يعني: بها - على ملامن الملائكة ، إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا - حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة ، فيقول الله - عز وجل: اكتبوا كتاب عبي في عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى) ، قال: (فتعاد رُوحه في جسده ، فيأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام ، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله ، فأمنت به ، وصدقت ، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبي ؛ فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له في قبره مد بصره ، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول: أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير فيقول: أنا عمك الصالح ، فيقول: رب أقم الساعة ؛ حتى أرجع إلى أهلي ومالي ، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول: أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال: فتفرق في جسده ، فينتزعها ، كما ينتزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها ، لم يدعها في يده طرفة عين ، حتى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملامن الملائكة ، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا ، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له ، فلا يفتح له) ، ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) فيقول الله - عز وجل -: اكتبوا كتابه في سجين ، في الأرض السفلى ، فتطرح رُوحه طرْحاً ثم قرأ: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) ، فتعاد رُوحه في جسده ، ويأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري ، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري ، فينادي مناد من السماء: أن كذب ، الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه ، هاه ، لا أدري ، فينادي مناد من السماء: أن كذب ، فأفرشوا له من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره ؛ حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، مُتْنِ الرِّيحِ ، فيقول: أبشر بالذي يسووك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول: من أنت ، فوجهك الوجه يجيء



بالشر؟ فيقول: أنا عمك الخبيث ، فيقول: رب لا تقم الساعة) ، (287 /4) ، (18557) ، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح ، رجاله رجال الصحيح.)هـ. وتحت عنوان: (الموت جهة غير متوقعة) يقول الأستاذ الدكتور فهمي أحمد عبد الرحمن الفزاز ما نصه بتصرف: (ليس بدعاً من القول أن يكون الموت مصيبة ؛ قال - تعالى - : (فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ) ، وجزاء الصابر عليها أن الله يصلي عليه ؛ قال - تعالى - : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ). ومعنى صلاة الله على عبده: أن يخرجهم من الظلمات إلى النور؛ قال - تعالى - : (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا). والموت على دين الإسلام غاية الغايات ، وأسمى الأمنيات ؛ قال الله - تعالى - : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ). والموت خلق من خلق الله ؛ قال - تعالى - : (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ). وهو قدر مقدر ، فأى خلل في هذا التقدير يؤدي إلى فساد الدنيا ؛ قال - تعالى - : (نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ). وهذا القدر المحسوم لن يدفع ، أو يتقدم ، أو يتأخر ؛ قال - تعالى - : (الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعِدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنِّي أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ، وقال - تعالى - : (وَلَوْ يُوَاعِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ). وقضى الله في كتابه أننا جميعاً سنلاقي هذا المصير المحتوم ؛ قال - تعالى - : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ). ولو نجا منه أحد وكُتِبَ له الخلد ، لكان أحب خلق الله له سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال - تعالى - : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنُيَضِّرَنَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ). كل نفس ذائقة الموت ، وهذا المصير المحتوم سنعيشه بواقعه ؛ كما أخبرنا عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في السنة النبوية المطهرة. وهو من موازين الله في خلقه لمن تمنّاه ، فهو علامة من علامات أولياء الله: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). من أجل ذلك تحدى الله - تعالى - بني إسرائيل أن يتمنّوه إن كانوا يظنون أن الآخرة لهم دون غيرهم ؛ قال - تعالى - : (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). ونوع الله - تعالى - الوصف فيمن يأتيه الموت على ثلاث صفات: فقد وصف بالحضور ، والمجيء ، والإتيان ، فالذي يقضي حياته بالسيئات صباح مساء ، فسبحضره الموت ، فيشاهده ، ويكون بمكان قريب منه - ليس له توبة ؛ لأنه قد وقع به ، فلا مجال لتوبته ؛ قال - تعالى - : (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) ، فقد اجتاز مرحلة الغرغرة التي أخبرنا عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (إن الله يقبل توبة العبد ما لم يعرعر) ، فيكون توبته كتوبة فرعون التي لم تقبل ؛ لأنه قد فاته هذا، فرأى العذاب: (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعُدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ). وأما المنفق الذي يتصدق بماله في سبيل الله ، سيسهل أمره إذا جاءه الموت ، فجاء بصيغة الإتيان بقوله - تعالى - : (وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ

فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ). فالإتيان: مجيء الشيء بسهولة ، فأرشدنا ربنا أننا إذا أردنا أن يسهل أمرنا في الموت ، فعلينا أن نكثر من الصدقة. وأما المشرك والمنافق، فيكون الموت عليه شاقاً ، فجاء بصيغة المجيء. قال - تعالى - : ( حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ). وقال - تعالى - : ( وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ). والمتتبع لآيات التنزيل - ومن خلال التأمل - يجد أن الموت يأتي من مكان غير متوقع ، وسأحاول في هذا الكلمات أن أقرب المقصود ، فأقول: الذي يفر من عدو ، فيجعله خلف ظهره ، جلُّ همه أن ينجو منه ، فهو عندما يفر يلتفت خلف ظهره ؛ ليقدر المسافة بينه وبين عدوه ، فيزيد من سرعته إن اقترب ، وإذا تباطأ بالجري خلفه يلتقط أنفاسه ، فيخفف قليلاً من سرعته ، فيكون في أمان بالنجاة منه ، ولكن هذا الأمر لا ينطبق على الموت الذي نفر منه جميعاً ، فسيأتي من جهة غير متوقعة ، فسيأتينا من أمامنا وليس من خلفنا ، ويلاقينا وجهاً لوجه ؛ قال - تعالى - : ( قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). بل أخبرنا الله - تعالى - أن هذا الفرار لن ينفعنا أبداً ؛ قال - تعالى - : ( قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا). وهذا ما أكد في القرآن بصيغة أخرى ، فالجملة في اللغة متكوّنة: من فعل ، وفاعل ، ومفعول به ، والأصل فيه هذا الترتيب ، فإذا تقدم المفعول به على الفاعل ، فلحكمة يعلمها أهل الشأن ، ومن حكمها القصر وغيرها ، والذي يقرأ القرآن الكريم في موضوع الموت ، يعلم يقيناً حكمة تقدّم المفعول به على الفاعل في قوله: ( وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ). وقال - تعالى - : ( وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ). وهذا يتناول الأنبياء وغيرهم ؛ قال - تعالى - : ( أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهُكَ وَإِلَةَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ). فتقدّم المفعول به على الفاعل: إما لأن النفس ترغب في تأخيرها ، فتأخر لذلك. وإما أن يكون المعنى: أنكم تمشون إلى الموت بأنفسكم ، فأنتم تسيرون إليه ، فاستعدوا له ، لا أن يأتيكم هو ؛ كقوله - تعالى - : (جَادِلُونَا فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ). ومن المعلوم بدهاءة أن الذي يهاجر من موطنه إلى بلد آخر ، يتوقع الخير والشر ، وكل ما يخبئه له القدر سيأتيه في المكان الذي سيهاجر إليه ، لا من البلد الذي تركه خلف ظهره ؛ فلذلك فإن الموت سيأتي من هذا المكان غير المتوقع ؛ قال - تعالى - : ( وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا). فجاء مصطلح "الإدراك" ؛ ليختصر لنا هذا المعنى ، وهذا الذي حصن نفسه ، وجلس في حصنه وقصره ، يتوقع أن يأتيه الشر من خارجه ، وليس من داخله ؛ لأنه قد حصن نفسه في مكانه هذا ، من أجل هذا فإن الموت سيأتي من مكان آمن بنظر هذا العبد ، متناسياً قوله - تعالى - : ( أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ قُلْ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَالٌ هُوَ لِأَعْيُنِ النَّاسِ أَنْ يَبْصُرَهُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) والذي يشرف على الغرق في بحر متلاطم الأمواج ، ينتظر أن تأتيه يد العون من خارجه ، ولكن مع الموت - ولا سيما للظالم - فيد العون تقول لهم: أخرجوا أنفسكم. فماذا يختار؟ الجاذب أم المنقذ؟ فإذا كان المنقذ من أهل الرحمة فحيهاً ، وأما إن كان الآخر ، فسيختار أن تُفَرَّقَ رُوحه في جسده ؛ كما أخبرنا رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - في الحديث ؛ قال الله - تعالى - واصفًا هذا الموقف بقوله: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ). ولعل في ذلك كله تكمن حكمة الإكثار من ذكر الموت ؛ كما أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله: (أكثرُوا من ذكر هادم اللذات) ، وفي رواية بالمبالغة: (استكثرُوا من ذكر هادم اللذات ، فإنه ما ذكره أحدٌ في ضيق إلا وسَّعه الله ، ولا ذكره في سعة إلا ضيَّقها عليه) ؛ فالإكثار من ذكره يجعل الفرد في تأهب دائم لاستقباله ، وهو أمر واقع لا محالة).هـ. وتحت عنوان: (الاستعداد للموت) يقول الأستاذ أحمد محمد مخترش ما نصه بتصريف: (اعلموا أن هذه الحياة أنفاس معدودة في أماكن محدودة بأجال معلومة وأرزاق مقسومة ، قال تعالى: (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) فاعلموا عباد الله إنه لن يُعَمَّرَ أحدٌ على وجه هذه الأرض ، فكم من أمم عاشت مئات السنين على هذه الأرض فأين هم وأين أجدادنا لقد ماتوا وأنقضت أعمارهم ، فالأعمار عباد الله محدودة. فاعلموا يا رعاكم الله أن الموت مهلك العباد ، وموحش البلاد ، وميتم الأولاد ، ومرمل النساء ، ومُذل الجبابرة الشداد ، لا يعرف الصغير ولا يميز بين الوضع والوزير ، سيوفه على العباد مُصلّته ، ورماحه على صدورهم مشرعة ، وسهامه لا تطيش عن الأفئدة. واعلموا أن الموت هو مفارقة الروح الجسد، وإنه انتقال من حال إلى حال ومن دار إلى دار، ولقد سمى الله الموت في كتابه مصيبة كما قال جل في علاه: (إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ) نعم الموت مصيبة! لكن المصيبة الأعظم هي الغفلة عن الموت عدم تذكر الموت عدم الاستعداد للموت ، لقد أوعظنا النبي صلى الله عليه وسلم بموعظة من أبلغ مواعظه تلين القلوب وتدعو إلى المحاسبة وتذكرنا بالآخرة فقال صلى الله عليه وسلم: (أكثرُوا من ذكر هادم اللذات) نعم أيها الغالي يوم غفلنا عن الموت وسكرته والقبر وظلمته والسؤال وشدته ويوم القيامة وكرباته والصراط وحدته ، يوم غفلنا عن هذه الأشياء قست القلوب وظهر الفساد في البر والبحر ، فاعلموا عباد الله إن من كان للموت ذاكراً كان للموت مستعداً ، قال أبو علي الدقاق: (من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاث أكرم بتعجيل التوبة ونشاط في العبادة وقناعة في القلب ، ومن نسي الموت عوقب بثلاث تسويف في التوبة وكسل في العبادة وعدم القناعة في القلب) ، وذكر الموت يُقلل كل كثير ويكثر كل قليل ، ويزهد في الدنيا ، ويعين على العمل الصالح والإكثار من ذكر الله هو سبيل المؤمنين وعباد الله المتقين. كان الحسن بن يسار كثيراً ما يقول: "يا ابن آدم! نطفة بالأمس ، وجيفة غداً ، والبلى فيما بين ذلك يمسح جبينك كأن الأمر يعني به غيرك ، إن الصحيح من لم تمرضه القلوب ، وإن الطاهر من لم تنجسه الخطايا ، وإن أكثركم ذكراً للآخرة أنساكم للدنيا ، وإن أنسى الناس للآخرة أكثرهم ذكراً للدنيا ، وإن أهل العبادة من أمسك نفسه عن الشر ، وإن البصير من أبصر الحرام فلم يقربه ، وإن العاقل من يذكر يوم القيامة ولم ينس الحساب". إذاً يا رعاك الله مما يرقق القلوب التفكر في الموت وفي أحواله وفي القبر وظلماته ، فبالله عليك أخي هل تفكرت يوماً وأنت تخرج في الصباح أنك لن ترجع إلى بيتك مرة ثانية ، هل تفكرت أن هذا اليوم هو آخر يوم لك في الحياة ، هل إذا أتاك ملك الموت في هذا اليوم أنت راض عن نفسك ، هل أنت راض عن عملك الذي ستقابل به ربك؟ هل تخيلت حالك قبيل الموت كيف تكون؟ هل تخيلت أنفاسك الأخيرة على أي حال ستنتضي وهل ستكون ممن يحبون القدوم على ربهم أم ستكون كالعبد الأبق يطلب

الرجعة؟ فيا أخي أنت الآن في مهلة فاغتنم فرصة العمل قبل انقضاء الأجل ، فوالله لا ينفك أن تقول: (رَبِّ ارْجِعُونِ) فلا تغفل عن الموت فإنه ليس له مكان معين ، ولا زمان معين ، ولا سبب معين ، ولا عمر معين يأتيكم بغته وأنتم لا تشعرون (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). إن الناس عند الموت على حالين إما محب للقاء الله فيحب الله لقاؤه ، وإما كاره للقاء الله فيكره الله لقاؤه ، قالت عائشة يا رسول الله كلنا يكره الموت قال: (لا يا عائشة ليس ذاك لكن هو العبد الصالح - العبد المستقيم - عند سكرات الموت تأتيه ملائكة الرحمن تبشره بروح وريحان ورب راضي غير غضبان فيفرح بلقاء الله فيفرح الله بلقاؤه ، أما العبد العاصي - العبد الغافل - فتأتيه ملائكة الرحمن تبشره بسخط وعذاب من الله فيكره لقاء الله فيكره الله لقاؤه). فاستعدوا للموت عباد الله قبل أن يفاجئكم ، قال أبو الدرداء رضي الله عنه وهو يحتضر (ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا ألا رجل يعمل لمثل ساعتني هذه؟ ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا؟ ثم بكى فقالت له امرأته: أتبكي وقد صاحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: وما لي لا أبكي ولا أدري علام أهجم من ذنوبي) ، وبكى أبي هريرة رضي الله عنه في مرضه فقيل له: ما يبكيك فقال: (أما إني لا أبكي على دنياكم هذه ، ولكني أبكي على بُعد سفري وقلة زادي وإني أصبحت في صعود مهبط على جنة أو نار ولا أدري أيهما يأخذ بي). فتخيل يا عبد الله نفسك وأنت على فراش الموت تعاني مرارة الموت ، وتخيل ممشاك إلى القبر ، وتخيل مبيتك فيه وحيداً فريداً في حفرة ضيقة مظلمة مغلقة محكمة ، تخيل أول ليلة تبيتها وأول نزلة تنزلها وأول سؤال تسمعه في القبر من ربك ما دينك ماذا تقول في الرجل الذي بعث فيكم ، تخيل ذلك وتخيل حالك كيف سيكون حينها ، عن أنس رضي الله عنه قال: (ألا أحدثكم بيومين وليلتين لم تسمع الخلائق بمثلهن أول يوم يجينك البشير من الله تعالى إما برضاه وإما بسخطه ، ويوم تعرض فيه على ربك آخذ كتابك إما بيمينك أو بشمالك ، وليلة تستأنف فيها المبيت في القبور وليلة تمخض صبيحتها يوم القيامة). فاعلم أخي أن الموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع والكأس التي طعمها أكره وأبشع وأنه الحادث الأهدم للذات والأقطع للراحات والأجلب للكربات والمفرق للجتماعات ، فإن أمراً يا رعاك الله يفرق أعضائك ويقطع أوصالك ويهدم أركانك لهو الأمر العظيم والخطب الجسيم. لقد آن للنائم أن يستيقظ من نومه ، وحن للغافل أن ينتبه من غفلته قبل هجوم الموت بمرارة كأسه وقبل سكون حركاته وخمود أنفاسه وقبل رحلته إلى قبره وخلوده بين أرماسه. فمثل لنفسك يا مغرور فمثل يا رعاك الله وقد حلت بك السكرات ونزل بك الأئين والغمرات والناس من حولك مجتمعون تسمع كلامهم وتريد أن تكلمهم فلا تستطيع ، فخيل لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت من فراشك إلى لوح مغتسلك فغسلك المغسل ، وأنت جثة هامدة لا حركة ولا نفس ، وألبست الأكفان وأوحش منك الأهل والجيران ، وبكت عليك الأصحاب والإخوان وصلوا عليك صلاة لا ركوع ولا سجود لها وحملوك إلى القبر ، وأنزلوك فيه وأدخلوك في ذلك اللحد الضيق المظلم ثم أهالوا عليك التراب ، وانصرفوا عنك وتركوك وحيداً ، لا صديق ولا قريب الكل سينصرف عنك حينها ولا يبقى معك إلا ما قدمت من عمل ، فتخيل ذلك وتخيل جلوسك لسؤال وما جوابك لهذا السؤال. إن الموت ساعة لا بد منها طال العمر أو قصر ، وإنه لو كان الموت هو نهايتنا ، ولو أننا من بعده تركنا لكان الموت أهون علينا ، بل إن هناك أمور وأحوال وشدائد من بعد الموت! هناك بعث ونشور وحشر وجزاء وحساب ، في محكمة قاضياها هو الله وجنوده الزبانية وساحتها القيامة ، وأن هناك صراطاً وجنة وناراً ، فاستعد أخي لهذه الأحوال. وإذا كان هذا

الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء المتقين ، فما لنا عن ذكره مشغولون وعن الاستعداد له متخلفون ، فلمثل هذا اليوم أخي فلتعد الزاد ، ولمثل هذا اليوم فلتهجر العناد والفساد ، ولمثل هذا اليوم فلتتق رب العباد. فيا عبد الله ألا دموع تذرفها ، ألا زفرات تنفثها ، ألا توجعات من بين الضلوع تخرجها ، حقا يا عباد الله قست القلوب وران عليها غطاء الذنوب نودع الأموات وها نحن قبل الممات أموات. إنه كأس الموت ، وهو حكم الحي الذي لا يموت تبارك وتعالى ، فهل تذكرت يوماً أخي أنك ستتجرع يوماً هذا الكأس حتى النهاية ، فيا كثير السينات غداً ترى عملك ، ويا هاتك الحرمات إلى متى تديم ذلك ، ويا أكلاً لحوم الناس بالغبية والنميمة ويا مفرطاً في الصلوات ويا هاجراً للقرآن ويا عاكفاً على الأغاني والأفلام الخليعة والمُلهيات إلى متى سيبقى هذا هو حالك؟ وإلى متى ستبقى تعصي رب الأرض والسموات؟ أأمنت الموت وسكرته؟ أم أنك أيقنت أنك ستعيش إلى الغد؟ أما تعلم أن الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل؟ أما تعلم أن الموت يسعى في تبيد شملك؟ أما تخاف أن تؤخذ على قبيح فعلك؟ واعجباً لك من راحل تركت الزاد في غير رحلك ، أين فطنتك ويقظتك وتدبير عقلك؟ أما بارزت بالقبيح فأين الحزن؟ أما علمت أن الحق يعلم السر والعلن؟ ستعرف خبرك يوم ترحل عن الوطن ، وستنتبه من رقادك ويزول هذا الوسن! إن الموت حق لا ريب فيه ويقين لا شك فيه ، فمن يجادل في الموت وسكرته ، ومن يخاصم في القبر وضمته ، ومن يقدر على تأخير موته وتأجيل ساعته ، (فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) فلماذا تتكبر أيها الإنسان وسوف تأكلك الديدان ، ولماذا تطغى وفي التراب ستلقى ، فيا عبد الله لا تغفل عن الموت وأعد الزاد لحين خروج الروح ومفارقتها جسديك ، لعل الله يرحمك ويختم لك بالصالحات أعمالك. فإن حسن الخاتمة لا تكون إلا لمن استقام ظاهره وصلح باطنه من الرياء والنفاق ، ومن علامات حسن الخاتمة: أن يتوفاك الله على الإسلام ، وأن يوفق الله العبد للتوبة عن الذنوب والمعاصي والإقبال على الطاعات ، وأن يوفق الله العبد للنطق بالشهادة ، فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، قد يقول قائل أحد الغافلين المفرطين العاصين لرب الأرض والسماء إذا جاءني الموت سأقول لا إله إلا الله ، هيهات هيهات حينها والله لن تستطيع قولها ، ذلك من تلبيس الشيطان عليك ، نعم تستطيع الآن قولها عشرات المرات بل آلاف المرات لكن وقتها لن يستطيع أحداً قولها إلا من وفقه الله لقولها. ومن علامات حسن الخاتمة أيضاً أن يموت العبد على عمل صالح من صلاة أو صيام أو جهاد أو قراءة قرآن. ذكر بعض الفضلاء أن امرأة عجوزاً كانت من أهل الصلاة والطاعة ، وفي يوم وهي في مصلاها ساجدة ، أرادت أن ترفع من سجودها فلم تستطع ، صاحت بابنها ، أجلسها كهينة السجود ، حملها إلى المستشفى ، ولكن لا فائدة ، فقد تجمدت أعضاؤها على هذه الحال ، قالت يا بني خذني إلى مصلاي أتعبد وأصلي إلى أن يفعل الله ما يشاء ، ولم تنزل في صلاة وهي على هيئة السجود لا تقوى على الحراك ، فقبض الله روحها وهي ساجدة ، غسولها وهي ساجدة ، كفوها وهي ساجدة ، أدخلت إلى قبرها وهي ساجدة ، وتبعث يوم القيامة بإذن الله وهي ساجدة!..هـ. وتحت عنوان: (الموت والحشر والحساب) يقول الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم ما نصه بتصريف: (يقول جل شأنه: (وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَأِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ). ووصف وقت مجيء الموت بالسكرة والسكرات ؛ لأنها تُغْطِي عقل الإنسان فتُسلبه القوة المدركة للمعلومات ، وذلك عند اشتداد النزاع ، وخروج الروح من أجزاء البدن ، ونزاع الروح من الجسم أشد من ضربات السيف على البدن ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم-

يُدْخِلُ يَدَهُ فِي قَدْحٍ مِنَ الْمَاءِ ، وَيَمْسَحُ وَجْهَهُ الشَّرِيفَ - حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ - وَيَقُولُ: (إِنْ لِلْمَوْتِ لَسَكْرَاتٍ). (ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ تَحِيدُ): أي: ذلك الموت ، وهذه اللحظات كنت تفر منها وتَهْرَبُ ، فقد جاءتك ، فلا محيد ولا مناص ولا خلاص ، كل الناس يكرهون الموت ، إلا أن المشركين يحرصون على الحياة أكثر من المؤمنين ؛ لعدم اعتقادهم بالحياة الآخرة ؛ يقول عز من قائل: (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْضَخِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ). والمؤمن يكره الموت جبلةً ، وربما يرغب في الحياة ؛ لاستدراك ما فاته من العمل الصالح ، أو الاستزادة منه ، وكثير من السلف الصالح كانوا يستبشرون بالموت ولقائه ؛ لأنه البوابة التي يدخلون منها إلى جنات النعيم ، ولقاء الأحبة محمد - صلى الله عليه وسلم - وصحبه الكرام. (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ): جاء ذكر النفخ في الصور في آيات كثيرة ، ومرجعها إلى نفختين: النفخة الأولى: (نفخة الصعق): وجاء ذكرها في قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ). النفخة الثانية: (نفخة البعث): وجاء ذكرها في قوله تعالى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) ، ولا يدرى أحدٌ كم يكون الوقت بين النفختين. وجاءت آيات في سياقات متعددة تُذكر بالنفخة الثانية: (نفخة البعث) ؛ كما في قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ \* قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ). وقوله تعالى: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا). ثم يأتي النداء لجمع الناس إلى أرض المحشر: وهل هذا النداء نفخة ثالثة ، أو نداء خاص يجمع الناس إلى الموقف؟ قال تعالى: (وَاسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ \* يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ \* إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِنَّا الْمُصِيرُ \* يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ). وسمى القرآن الكريم هذا الحشر بناءً على نداء المنادي ، وسماه تارة بالصيحة ، وتارة بالزجرة ، وهو أسلوب قرآني يُراعي السياق عند التعبير عن الحقيقة الواحدة بألفاظ مختلفة. فمثلاً استخدام "الزجرة" مناسب تماماً لإيقاعات النازعات التي تمثل السرعة والاضطراب في النفوس ، والهلع في القلوب ؛ يقول عز من قائل: (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِيفَةُ \* تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ \* قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ \* أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ \* يَقُولُونَ أَنَا لَمْرُدُونَ فِي الْخَافِرَةِ \* إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً \* قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ \* فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ \* فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ). وحشر الناس إلى أرض المحشر بناءً على تلك الزجرة يُلْفِه الخوف والفرع والسرعة ، والعنف والذل وخشوع البصر وشروء الذهن من المحشورين ، الذين لا يدركون حقيقة المصير الذي يتوجهون إليه ، والمقر الذي يستقرون فيه. وذهب بعضهم إلى أن النفخات ثلاث: الأولى: نفخة الفرع الأكبر: وأشير إليها في قوله تعالى: (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ). الثانية: نفخة الصعق: وهي التي يكون بها موت الخلائق ، وخراب الكون ، وجاءت الإشارة إليها في سورة الزمر في قوله تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ). وفي سورة الحاقة في قوله تعالى: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةٌ وَاحِدَةٌ \* وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً \* فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ \* وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ \* وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةً). الثالثة: نفخة البعث والنشور: كما في قوله تعالى: (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ). وهي التي جاء التعبير عنها أحياناً بالصيحة والنداء والزجرة. وسواء كانت النفخات ثلاثاً أو اثنتين ومعها الصيحة ؛ فكلها تُبين القضاء المُبرم لحشر الناس إلى أرض المحشر ؛

لإجراء الحساب ، ووزن الأعمال في ذلك الموقف العصيب واليوم الرهيب. (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ): جاء التعبير القرآني بأساليب كثيرة في وصف حال الناس عند توجُّههم إلى أرض المحشر ، وكل صورة منها تعكس الحال الداخلية لأصحابها ، إما على قسَمات وجوههم أو على طريقة سيرهم ، أو بعض أحوالهم الأخرى: أما السرعة والدُّل: فتعرضه الآياتان في قوله تعالى: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ \* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ). والجزء من جنس العمل: لقد كانوا يسرعون للطواف حول أصنامهم وهم فرحون ، مبتهلون مستبشرون ، وفي أعيادهم ومناسباتهم للاحتفال بطقوسهم الدينية ، كانوا يخرجون زرافاتٍ ووحدانا ، واليوم يخرجون من القبور تغشاهم الذلَّة والقلق والاضطراب ، إنه اليوم الموعود الذي أنكره وكذبوا به. أما خروجهم من أصقاع الأرض وانتشارهم عليها من كل حدب وصوب ، فتصوِّره الآيات التالية ؛ يقول تعالى: (خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ \* مُهْطِعِينَ إِلَىٰ الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ). إن التشبيه بالجراد الكثير الذي يملأ وجه الأرض ، ويأتي من كل جهة تصوير دقيق وراعب لصورة الناس ، وهم هائمون على وجوههم يخرجون أفواجا تلو أفواج ، وهم في تلك الحالة المفزعة المضطربة. أما الأحوال التي يكون عليها الناس نتيجة انعكاس أحوالهم (المعنوية) على الظاهر المادي ، فيعرضها القرآن الكريم في صورٍ مذهلة: يقول عز من قائل: ( فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ \* يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ \* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ \* وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ \* ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ \* وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ \* تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ \* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجِرَةُ ) ، قيل: السائق من الملائكة ، والشهيد: شاهد عليه من نفسه ، وقيل: ملكان. (لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ الْيَوْمَ حَدِيدًا): الغفلة: الذهول عما شأنه أن يُعلم ، والمراد بها هنا الإنكار والجحود ؛ إذ المؤمن لا يغفل عن الموت والحساب ، وإن جاءته أوقات غفل فيها عن ذكر الموت والحشر ، فسرعان ما يتذكر كل ذلك عند صلواته ، وعند أذكاره ، فمن عظمة الإسلام أن ربط المسلمين بأدعية وأذكار وعبادات تُذكِّرهم بالله وباليوم الآخر كل أوقاتهم. والغطاء: هي الشواغل والاهتمامات والحُجُب التي كانت تشغله عن ذكر الموت ، أو رؤية حقائق الموت ، وقبض الرُّوح. (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ): حدة البصر: نفاذه في المرئيات ، وعند خروج الرُّوح من البدن تتكشف الحقائق للإنسان ، وتصبح المغيِّبات مشاهدات ، يُدركها الإنسان ، ولا يبقى مجالاً لما كانوا يقولون في الحياة الدنيا ، وكانوا يقولون: (إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَا لَمَبْعُوثُونَ \* وَأَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) ، ويتحققون من البعث والجمع ؛ كما ورد في قوله تعالى: (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ \* لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ \* ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكذَّبُونَ \* لَأَكَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقُومٍ \* فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ \* فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ \* فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ \* هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) ، وكل إنسان تتكشف له الحقائق عند الموت ؛ فالمؤمن يرى مقعده من الجنة ، والكافر يرى مقعده من النار ؛ لذا لم تُقبل توبة الكافر عند غرغرة الموت ؛ لأن وقت الابتلاء بالتصديق أو التكذيب قد فات ، وظهرت الحقائق لكل أحد. (وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدِيَّ عَتِيدٌ): القرين: الشيطان الموكل بكل إنسان ، يدعوه إلى الشر ، ويصرفه عن الخير. يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ما من أحد إلا وكلُّ به قرينٌ من الجن) ، قالوا: وإياك؟ قال: (وإياي! إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير). (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ \* مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ \* الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ

(الشديد) ؛ الخطاب للملائكة الموكلين به. (كفَّارٍ عَنِيْدٍ): كَفَّرَ بِنِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ من العقل والسمع والبصر والصحة والمال والأولاد ؛ فلم يشكر نِعْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ، ولم يستخدم تلك النِّعْمَ فيما خُلِقَتْ له ، وعانَد دواعيَ الإيمان من داخله ؛ الفطرة والعقل ، ومن خارج نفسه ؛ دعوة الأنبياء والمرسلين ، والسائرين على منهجهم ؛ من المصلحين والأئمة المهديين. (مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ): على رأسها: الصدق ، وأعمال البر ، والإنفاق في سبيل الله ، ويدخل فيها العمل الصالح في مختلف مجالات الحياة ، مما يُصلح حياة الأفراد والجماعات ، وقيمها على شريعة الله. وقيل: الذي يمنع دخول الناس في الإسلام ؛ فالخير كله في الإسلام. (مُعْتَدٍ مُرِيْبٍ): مُتَجَاوِزٌ لِحُدُودِ الْحَقِّ ، سواء بالكلمة أو بالفعل ، وغير ذلك من أساليب الظلم والشر ، ومرتابٍ شاكٍّ في الحق ، وفي دعوة الأنبياء والبراهين المقامة من الكتاب المفتوح الكون ، والكتاب المنزَّل. (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ): سواء كان هذا الإله المزيف من الأوثان المادية أو المعنوية ، كالعلم والمبدأ والحزب والقوم... فكل هؤلاء عُبدت من دون الله في العصور السابقة واللاحقة. (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانُ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ): يقول قرينه: لم أكن سبباً في إضلال هذا الإنسان ، وإنما كان ضلاله ذاتياً ؛ فطغى هو بضلالة ، وقيل: إن الكافر يزعم أن الملك الموكل بكتابه سيناته قد زاد فيما كتب ، فيقول الملك: ربنا ما أطعته ؛ أي: ما زدت عليه". (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ بِالْوَعْدِ \* مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ): كل الكفرة والمجرمين ينتصلون من جرائمهم التي عملوها في الدنيا ، ويلقون بالتَّبَعَةَ على متبوعيه من الإنس والجن الذين أضلُّوهم ، إلا أن الله - سبحانه وتعالى - الذي أعطى العقل والإدراك لكل شخص يُحاسبه على ذلك: (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَى) ، نعم قد تتضاعف العقوبة على الداعية إلى الضلالة ، فيكتب عليهم أوزار الذين كانوا سبباً في إضلالهم ، ولكن لا يُنْقَصُ من عذاب الأتباع ؛ فكلُّ فيها خالد ، وقد جاء بيان كل ذلك على السنة الأنبياء والمرسلين ، فلا يظلم ربك أحداً ، إن الحق ثابتٌ مستمر ولا يمكن تغييره أو التلبيس عليه ، فلا تمويه ولا تغيير ولا تبديل ، ولا ظُلم ، ولا يظلم ربك أحداً. (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ): خلق الله - سبحانه وتعالى - الجنة وجهنم ، ووعد لكل واحدة منهما ملاءها ؛ عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (لا تزال جهنم يلقى فيها ، وتقول: هل من مزيد ، حتى يضع رب العزة فيها قدمه ، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط ، وعزتك وحرمك ، ولا يزال في الجنة فضلٌ ، حتى ينشئ الله لها خلقاً آخر فيسكنهم في قصور الجنة). (وَأَزَلِفَتْ أَلْجَنَّةُ لِلْمُنْتَقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ \* هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ \* مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيْبٍ): تزيَّنت الجنة واقتربت للمتقين الذين يعودون إلى ربهم ، ويتوبون كلما وقعوا في ذنب ، ولا يُصِرُّون على الإثم. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أَوْتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبَّرِينَ ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي ، أَعْدَبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ مِنْ عِبَادِي ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مَلُوءَةٌ ، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - رِجْلَهُ ، فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ ، فَهَنَّا لِكَ تَمْتَلِي وَيُزَوِّي بِعُضْوِهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا خُلُقًا). (خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ): من خاف الله - تعالى - في سرِّه ؛ حيث لا يراه أحد إلا الله - عز وجل - فيحفظ نفسه من الذنوب ، كما يحفظها في الجهر ، وقيل: للتائب في السر من ذنوبه إذا ذكرها كما فعلها في السر ، وقيل: الذي يستتر



بطاعته لنلا يُدخلها في الظاهر رياء. (ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود \* لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد): تتلقى الملائكة أهل الجنة بالترحاب وبشرى الخلود في دار النعيم ؛ كما قال - تعالى -: (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين). (لهم ما يشاءون فيها): لأهل الجنة ما يتمنون: (وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) ، يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر). (ولدينا مزيد): الزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم ، وقيل: اجتماعهم كل جمعة بربهم. وقيل: الزيادة: الحور العين التي تُبعث من السحاب)هـ. يُروى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: "أنه قال لكعب الأحبار: حدثنا عن الموت ، فقال كعب: نعم يا أمير المؤمنين ، هو كغصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل ، فأخذت كل شوكه بعرق ، ثم جذبته رجلاً شديداً الجذب ، فأخذ ما أخذ ، وأبقى ما أبقى". وكان عمر - رضي الله عنه - يقول: "لو أن لي طلاع الأرض ذهباً ، لافتديت بها من هول المطّلع". وقال شداد بن أوس: "الموت أفضح هول في الدنيا والآخرة على المؤمن ، وهو أشد من نشرٍ بالمناشير وقرضٍ بالمقاريض ، وغلي في القدر ، ولو أن الميت نشر (بعث من قبره) ، فأخبر أهل الدنيا بألم الموت ، ما انتفعوا بعيش ولا تلذذوا بنوم". وذات يوم دخل الحسنُ البصري على مريض يعود "فوجده في سكرات الموت ، فنظر إلى كربه ، وشدة ما نزل به ، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم ، فقالوا له: الطعام يرحمك الله! فقال: يا أهلاه ، عليكم بطعامكم وشرابكم ، فوالله لقد رأيتُ مصرعاً لا أزال أعمل له حتى ألقاه". وصدق عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - حيث قال: "السعيد من وعظ بغيره". وقيل لبعض الزهاد: "ما أبلغ العظاظ؟ فقال: النظر إلى الأموات". ولما حضرت عمرو بن العاص - رضي الله عنه - الوفاة قال له ابنه عبد الله: "يا أبتاه ، إنك قد كنت تقول لنا: ليتني كنت ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت ، حتى يصف لي ما يجد ، وأنت ذلك الرجل ، فصف لي الموت ، فقال: والله يا بني لكان جنبي في تحت ، وكأني أتفس من سم إبرة ، وكان غصن الشوك يجزُّ به من قدمي إلى هامتي ، ثم قال:

ليتني كنت قبل ما بدا لي في قلال الجبال أرى الوعولا

والله ليتني كنت حيضاً ، أعركتني الإمام بدریب الإذخر". (كتاب المحتضرين ص 93). وتحت عنوان: (الموت حق على الإنس والجن)يقول الأستاذ الشيخ ندا أبو أحمد ما نصه: (في "صحيح البخاري" عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: (أعوذ بعزتك ، الذي لا إله إلا أنت ، الذي لا يموت ، والإنس والجن يموتون). فالموت عاقبة كل حي ، وختام كل شيء ، ونهاية كل موجود - سوى الرب المعبود - فالكل سيموت ، إلا ذا العزة والجبروت ، فالموت طالب لا يعجزه المقيم ، ولا ينفلت منه الهارب ، فهو قضاء نافذ ، وحكم شامل ، وأمر حاتم لازم ، لا مهرب منه ولا مفر ، وبعد الموت يجازى كل إنسان مناً بما عمل في هذه الحياة الدنيا ؛ كما قال - تعالى -: (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) ، وقال - تعالى -: (كل نفس ذائقة الموت وتبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون). قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير هذه الآية: "نختبركم بالشدة والرخاء ، والصحة والسقم ، والغنى والفقر ، والحلال والحرام ، والطاعة والمعصية ، والهدى والضلال ؛ أي: لننظر كيف شكركم

وصبركم ، (وَإِنِّيَا تُرْجَعُونَ) ، لا إلى غيرنا فنجازيكم بأعمالكم". وأخرج الإمام أحمد - بسند حسن - عن أنس - رضي الله عنه - قال: "لما قالت فاطمة ذلك ، يعني لما وجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كرب الموت ما وجد ، قالت فاطمة: واكرباه: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يا بُنَيَّةُ ، إنه قد حضر بأبيك ما ليس الله بتارك منه أحد لموافاة يوم القيامة). (السلسلة الصحيحة: 1738). وكان الإمام أحمد يقول: "يا دار، تخربين ويموت سكانك". وكتب سالم بن عبد الله بن عمر إلى عمر بن عبد العزيز في رسالة له طويلة منها: "أما بعد ، فإن الله - تبارك وتعالى - خلق الدنيا لما أراد ، وجعل لها مدة قصيرة ، فكان ما بين أولها إلى آخرها ساعة من النهار ، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء ، فقال: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ). (حلية الأولياء: 284/5). هـ. وتحت عنوان: (سكرات الموت) يقول الشيخ ندا أبو أحمد ما نصه: (للموت سكرات يُلَاقِيهَا كُلُّ إِنْسَانٍ حِينَ الْإِحْتِضَارِ ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - دَخَلَتْ عَلَى أَبِيهَا أَبِي بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ ، فَلَمَّا ثَقُلَ عَلَيْهِ ، تَمَثَّلَتْ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ الْحَكِيمِ الْفَذِّ مَبِينَا عِظَمَ لِحْظَةِ مَفَارِقَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا:

لعمرك ما يُغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

فكشفت عن وجهه ، وقال - رضي الله عنه -: ليس كذلك ، ولكن قلبي: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ). والمقصود بسكرات الموت: هي "كُرْبَاتِهِ وَغَمْرَاتِهِ" ، قال الراغب - رحمه الله - في "مفرداته": "السُّكْرُ: حَالَةٌ تَعْرِضُ بَيْنَ الْمَرءِ وَعَقْلِهِ ، وَأَكْثَرُ مَا تُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرَابِ الْمُسْكِرِ ، وَيُطْلَقُ فِي الْغَضَبِ وَالْعِشْقِ وَالْأَلَمِ وَالنُّعَاسِ وَالغَشْيِ النَّاشِئِ عَنِ الْأَلَمِ وَهُوَ الْمَرَادُ هُنَا". (فتح الباري: 440/11). ولو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجرد ما ، لكان جديراً بأن يتنصص عليه عيشه ، ويتكدر عليه سروره ، ويفارقه سهوه وغفلته ، وحقيق بأن يطول فيه فكره ، ويعظم له استعداده ، لا سيما وهو في كل نفس بصدده ، فالموت كما قيل: "كرب بيد سواك ، لا تدري متى يغشاك". والعجيب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات ، وأطيب المجالس من اللهو ، فانتظر أن يدخل عليه إنسان ، فيضربه خمس ضربات بالسيف ، لتكدرت عليه لذاته ، ولفسد عليه عيشه ، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع ، وسكرات النزع كما قيل: أشد من ضرب بالسيف ، ونشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض ؛ لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح ، فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح؟! وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه ، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه من شدة ألمه ؛ لأن الكرب قد بلغ فيه ، وتصاعد على قلبه ، وبلغ كل موضع منه ، فهدد كل قوة ، وضعف كل جارحة ، فلم يترك له قوة الاستغاثة ، ولو كان المجذوب عرقاً واحداً ، لكان ألمه عظيماً ، فكيف والمجذوب نفس الروح؟! لا من عرق واحد بل من جميع العروق ، ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجياً فتبرد أولاً قدماه ، ثم ساقاه ، ثم فخذاه ، ولكل عضو سكرة بعد سكرة ، وكربة بعد كربة ، حتى يبلغ بها إلى الخلقوم ، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها". انظر: التذكرة للقرطبي. ولم يسلم الأنبياء - مع علو مكانتهم ورفعة منزلتهم - من سكرات الموت ، يروى عن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لما مات قال الله - عز وجل - له: (كيف وجدت الموت؟ قال إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -: كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب ، فقال له رب العزة: أما إننا قد هونا عليك). ويروى عن موسى - عليه السلام -: "أنه لما صارت رُوحه إلى الله - عز وجل -

قال له ربه: (يا موسى ، كيف وجدت الموت؟ قال: وجدت نفسي كشاة حيّة بيد القصاب تُسَلَخ). ورؤي عنه أيضًا أنه قال: "وجدت نفسي كالصفرور الحي حين يُقْلَى في المِقلّة ، لا يموت فيستريح ، ولا ينجو فيطير". وقد عانى الرسول - صلى الله عليه وسلم - كذلك من هذه السكرات ؛ فقد أخرج البخاري من حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: "إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان بين يديه ركوة - أو علبه فيها ماء ، يشك عمر (أحد رواة الحديث) - فجعل يُدخِل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: (لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات) ، ثم نصب يده فجعل يقول: (في الرفيق الأعلى) ، حتى فُيَضَ ومالت يده". قال أبو عبد الله: العلبه من الخشب ، والركوة من الأدم (الجلد). وأخرج البخاري عن عائشة أيضًا - رضي الله عنها - قالت: "مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإنه بين حاقنتي وذاقنتي ، فلا أكره شدة الموت لأحد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم". وفي "الصحيح" أيضًا: "أنه لما تُقِل النبي - صلى الله عليه وسلم - جعل يتغشاه الكرب ، فجعلت فاطمة - رضي الله عنها - تقول: واكرب أبتاه! فقال - صلى الله عليه وسلم -: (لا كُرب على أبيك بعد اليوم). وعند الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس - رضي الله عنه - قال: "لما قالت فاطمة ذلك - يعني لما وجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كُرب الموت ما وجد ، قالت فاطمة: واكرباه! قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (يا بُنَيَّة ، إنه قد حضر بأبيك ما ليس الله بتارك منه أحدًا لموافاة يوم القيامة). (السلسلة الصحيحة: 1738). لكن ما الحكمة من تشديد الموت على النبيين ، يُجيب عن هذا القرطبي - رحمه الله - فقال: "لتشديد الموت على الأنبياء فاندتان: الأولى: تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم ، وليس ذلك نَفْصًا ولا عذابًا ، بل هو من جنس ما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد: (إن أشد الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الأمتل فالأمتل). والثانية: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن ، وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى ، فلا يرى عليه حركة ولا قلقًا ، ويرى سهولة خروج الروح ، فيظن سهولة أمر الموت ، ولا يعرف ما الميت فيه ، فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم شدة ألمهم مع كرامتهم على الله تعالى ، وتهوينه على بعضهم قطع الخلق بشدة الموت الذي يُقاسيه الميت مُطلقًا ؛ لإخيار الصادقين عنه ، ما خلا الشهيد (قتيل الكفار) ، فإنه لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم مسّ القرصة ، كما ثبت في الحديث". اهـ. فإذا كانت هذه سكرات الموت على الأنبياء والمرسلين وعباد الله الطيبين ، فكيف بالظالمين الذين قال عنهم رب العالمين: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ). يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية: "(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ) ؛ أي في سكراته وغمراته وكرباته: (وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ) ؛ أي: بالضرب ؛ كقوله: (لَنْ بَسَطَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي) ، وقوله: (وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ). قال غير واحد: (بَاسِطُو أَيْدِيَهُمْ) ؛ أي: بالعذاب ، كقوله: (وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَنْدَبَارَهُمْ وَدُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) ؛ ولهذا قال: (وَلَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا) ؛ أي: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ؛ ولهذا يقولون لهم: (أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ) ، وذلك أن الكافر إذا احتضر بشترته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم ، وغضب الرحمن الرحيم ، فتنفّرق رُوحه في جسده ، وتعصى وتأبى الخروج ، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم ، قائلين لهم: (أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ

تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) ؛ أي: اليوم تُهانون غاية الإهانة ، كما كنتم تكذبون على الله ، وتستكبرون عن اتباع آياته ، والانتقياد لرُسله ، وقد وردت الأحاديث المتواترة في كيفية احتضار الكفار عند الموت". اهـ. ففي مسند الإمام أحمد عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال :- (وإن العبد الكافر - وفي رواية الفاجر - إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداداً ، سود الوجوه معهم المسوح من النار ، فيجلسون منه مدَّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول ، أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال: فتفرَّق في جسده ، فينتزعها كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول ، فتقطع معها العروق والعصب). سؤال: ولعل قائلًا يقول: إذا ، ما الفارق بين الأتقياء والأشقياء ، وبين الصالح والظالم؟ فالكل يُعاني من سكرات الموت! نقول: لا يستويان ؛ فإن الكافر والفاجر يُعانيان من الموت أكثر مما يُعاني منه المؤمن ؛ كما دلَّ على ذلك الحديث السابق ، فتقطع مع خروج الرُّوح العروق والعصب ، هذا أمر. والأمر الآخر: أن سكرات الموت للكافر أو الفاجر: محنة ونقمة وشدة وعذاب ونكال. أما سكرات الموت للمؤمن التقي النقي: فهي منحة ونعمة ورحمة ؛ حيث يُغفر بها الذنوب ، أو تُرفع بها الدرجات. فقد روي عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: "إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله ، شدَّد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدانده درجته من الجنة ، وإن الكافر كان قد عمل معروفًا في الدنيا ، هُوَّن عليه الموت ، ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ، ثم يصير إلى النار". (رواه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت). هـ. وتحت عنوان: (التذكير بالموت هادم اللذات) يقول الشيخ عبد الله بن صالح القصير ما نصه: (إنه مما يروى عنه صلى الله عليه وسلم في الموت قوله عليه الصلاة والسلام: "أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت ، وأفضل العبادة التفكر ، فمن أتقته ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة"! وقوله صلى الله عليه وسلم: "أكثر ذكر الموت ، فما من عبد أكثر ذكره إلا أحيا الله قلبه وهون عليه الموت ، وإنه لا يكون في كثير إلا قلله ، ولا في قليل إلا أجراه". وقوله عليه الصلاة والسلام: "أكثروا ذكر هادم اللذات - يعني الموت - ، فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه ولا في سعة إلا ضيقها عليه". وقوله صلى الله عليه وسلم: "أكثروا ذكر الموت فإنه يُحص الذنوب ، ويزهد في الدنيا ، فإن ذكرتموه عند الغنى هدمه ، وإن ذكرتموه عند الفقر أَرْضاكم بعيشكم". كفى بالموت واعظاً وباليقين غنى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، واحبب من أحببت فإنك مفارقة ، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، وإنما يكون ذلكم عند الموت ، حين يرى المحتضر ما يبشر به بحسب عمله. أيها الناس إنكم في دار هدنة ، وأنتم على ظهر سفر ، والسير بكم سريع ، وإن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء ، وجلأوها كثرة ذكر الموت وتلاوة القرآن ، وإنكم لو رأيتم الأجل ومسيره ، لأبغضتم الأمل وغروره! وفي مسند الديلمي رحمه الله عن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وما من أهل بيت إلا وملك الموت يتعاهدهم في كل يوم مرتين ، فمن وجده قد انقضى أجله قبض روحه فإذا بكى أهله وجزعوا قال: لم تبكون؟ ولم تجزعون؟ فو الله ما نقصت لكم عمراً ، ولا حبست لكم رزقاً وإن لي فيكم لعودة ثم عودة ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحداً". وروي عنه صلى الله عليه وسلم قال: "احضروا موتاكم

ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة ، فإن الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع ، والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله. في سنن النسائي رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا حضر المؤمن - أي عند قبض روحه - أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ، فيقولون: أخرجي راضية مرضياً عنك ، إلى روح وريحان ورب غير غضبان! فتخرج كأطيب ريح المسك ، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضاً حتى يأتوا به باب السماء ، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض! فيأتون به أرواح المؤمنين فلم أشد فرحاً من أحدكم بغائبه يقدم عليه ، فيسألونه: ماذا فعل فلان ، ماذا فعلت فلانة؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا ، فإذا كان - يعني ميتاً - قال: أما أتاكم؟ قالوا: ذهب إلى الأمة الهاوية! وإن الكافر إذا حضر أتته ملائكة العذاب بمسح أي كفن من النار - فيقولون أي لروحه: - اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله! فتخرج كأتنت ريح جيفة حتى يأتوا بها باب الأرض ، فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا بها أرواح الكفار - يعني في السجن أسفل سافله. وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، قالوا إنا نكره الموت ؛ قال: ليس ذلك ، ولكنه إذا حضر فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله ، والله عز وجل للقاءه أحب وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم! فإذا بشر بذلك كره لقاء الله ، والله للقاءه أكره". روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أول ما يبشر به المؤمن روح وريحان وجنة نعيم ، وأول ما يبشر به المؤمن أن يقال له: أبشر ولي الله برضاه والجنة قدمت خير مقدم ، قد غفر الله لمن شيعك ، واستجاب لمن استغفر لك وقبل ممن شهد لك ، وما من ميت يوضع على سريرة فيخطى به ثلاث خطى إلا نادي بصوت يسمعه من يشاء الله ، يا إخوانه ، ويا حملة نعشاه ، لا تغرنكم الدنيا كما غررتي ، ولا يلعبن بكم الزمان كما لعب بي ، أترك ما تركت لذريتي ، ولا يحملون عني خطيئتي ، وأنتم تشيعوني ثم تتركوني ، والجبار يخاصمني". هـ. وتحت عنوان: (ذكر الموت وتمنيه) يقول الدكتور عبدالله بن حمود الفريح ما نصه: (من أصيب بضرٍّ من مرض ونحوه ، فإنه لا يتمنى الموت بسبب ذلك الضر ؛ لحديث أنس رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: "لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضَرِّ أَصَابَهُ ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعْلَمْ ؛ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي". ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "لَا يَتَمَنَّي أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمرَهُ إِلَّا خَيْرًا" ، فدلَّ الحديث على النهي عن تمني الموت ، وعن الدعاء به على النفس ، لأنَّ زيادة العمر خير للإنسان إذا استغله ، فهو إمَّا يزيد في الطاعة ، أو يستغفر عن الذنب ، وجاء في لفظ البخاري: "لَا يَتَمَنَّي أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ ؛ إمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزِدَادُ ، وَإِمَّا مُسِينًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبُ". ويستثنى من ذلك حالتان يُشرع للإنسان فيهما تمني الموت: الأولى: إذا خشي على دينه من الفتنة. ويدل على ذلك: أ. قوله تعالى عن مريم: (يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا) وذلك حينما حملت ، وخافت على نفسها العار ، بأن تتهم في عرضها كونها جاءت بولد من غير أب ، وعلى هذا يحمل ما ورد من الأخبار في تمني السلف للموت ، بأنهم خافوا على دينهم من الفتنة. ب. حديث معاذ رضي الله عنه الطويل ، وفيه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً ؛ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَقْتُونٍ" ، وموت الإنسان ولو بعد

عمر قصير غير مفتون ، خير له من أن يموت مفتوناً. والثانية: إذا كان موته شهادة في سبيل الله تعالى. ويدل على ذلك: أ. حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وَلَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي، مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي أَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أَقْتُلُ، ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أَقْتُلُ". ب. حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ". هـ. يقول الأستاذ محمد بن صالح المنجد تحت عنوان: (ذكرى المئوى) ما نصه: (لقد ألهانا ما في هذه الدنيا عن الاستعداد للدار الآخرة ، إن هذا ألهتنا هذه الدنيا عن الله البهرج ، وهذه الزينة ، أن هذا الألوان والسلع ، إن هذه التسالي والألعاب ، إن هذه الأفلام والمسلسلات ، إن هذه الأسفار والسياحات ، إن هذه الملابس والصناعات ، قد ألهتنا عن الله - تعالى - ، والاستعداد للدار الآخرة ، ولا يزال أهل الدنيا في غفلة حتى يأتيهم الموت ، فإذا ماتوا انتبهوا. الموت - يا عباد الله - الذي حثنا النبي ﷺ على تذكره ، وأمر بذلك ، فقال: أكثروا ذكر هادم اللذات ، وامثالاً لأمره ﷺ! تعالوا بنا نتذكر شيئاً من الأمر الذي أمرنا به ﷺ ، وهو تذكر الموت ، لعل الله - تعالى - أن ينشئ قلوبنا بذكره ، وأن يزيل الغفلة عن القلوب الصدنة ، وأن يعود من انحرف إلى الجادة ، وأن يزداد الذي سلك الجادة عبادة ، قال الله - تعالى -: (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ). نَفِرُ مِنَ الْحَوَادِثِ ، وَنَفِرُ مِنَ الْأَمْرَاضِ إِلَى الْأَطْبَاءِ وَالْمَسْتَشْفِيَّاتِ ، نَفِرُ مِنَ الْمَوْتِ ، وَالْمَوْتِ مُلَاقِينَا ، (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) ، إنه مجيء أكيد ولا بد ، (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ) ، إن هذا الموت - يا عباد الله - آتٍ لا محالة ، كيف بأمر إذا نزل قطع الأوصال ، أمر يقطع أوصالك ، ويفرق أعضائك ، ويهدم أركانك ، إنه حقٌّ أمر عظيم ، وخطبٌ جسيم ، وإن يومه لهو اليوم العظيم ، قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: "ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله" ، وهذا الأمر قد نسيناه ، دهانا مجرد ذكر الموت والحديث فيه ، والكثير يغضب إذا ذكر الموت ، ويقول: تنغص علينا حياتنا وعيشتنا ، تنغص علينا أكلنا ومعيشتنا ، وذكر الموت ليس لتكدير حياة الناس ، وإفساد مجالسهم ، ونزع السعادة منهم ، وإنما لإصلاح حالهم ، وتنوير قلوبهم ، وجعلهم مستعدين للقاء الله والقُدوم عليه. قيل للحسن - رحمه الله -: يا أبا سعيد ، كيف نصنع؟ نجالس أقواما يخوفونا حتى تكاد قلوبنا تطير ، فقال: "والله إن تخالط أقواما يخوفنك حتى يدركك أمن خير من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى يدركك الخوف". وقال - رحمه الله -: كان من كان قبلكم يقربون هذا الأمر ، كان أحدهم يأخذ ماء لوضوئه ، ثم يتنحى لحاجته ؛ مخافة أن يأتيه أمر الله وهو على غير طهارة ، فإذا فرغ من حاجته توضأ". إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ، ولا كثرة احتشادك ، أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب شديد ، وغصص وندامة على تفريط ، رحم الله عبداً عمل لساعة الموت ، وما نراه في المقابر أعظم عظة أكبر معتبر. تمر بنا أيام أيها الإخوة ، تتابع علينا أخبار الوفيات ، تتابع الجنازات ، وأخبار الأموات ، هذا صديق ، وهذا قريب ، وهذا جار قد اختطفهم الموت بأمر الله تعالى ، وما نراه في المقابر أعظم عظة ، وأكبر معتبر ، فحامل الجنازة اليوم محمول غداً ، ومن يرجع من المقبرة إلى بيته اليوم سيرجع عنه غداً ، ويترك وحيداً فريداً ، مرتهاً بعمله ، فإن خيراً فخير ، وإن شراً فشر. فيا عبد الله لا تغرنك الصحة والقوة والعافية ، ولا يغرنك الشباب وكلام الأصحاب ، لا يغرنك عشاء ساكن قد يوافي بالمنيات السحر ، قد يأخذ على حين غفلة ، وأنت لا ترى الموت يصل إليك ، بل تراه بعيداً. إذا جاءنا هذا

الأمر من الله ، فهل للطبيب من سبيل فتدعى الأطباء؟ أو إلى الشفاء طريق فيرجى الشفاء؟ ما يقال إلا فلان أوصى ، ولماله أحصى ، قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ، ولا يعرف جيرانه ، وعرق الجبين ، وتتابع الأنين ، وثبت اليقين ، وصدقت الظنون ، وتلجج اللسان ، وبكى الإخوان ، هذا ابنك فلان ، وهذا أخوك فلان ، قد منعت من الكلام فلا تنطق ، وختم على لسانك فلا ينطق ، ثم حل بك القضاء ، وانتزعت النفس من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فاجتمع عند ذلك إخوانك ، وأحضرت أكفانك ، فغسلوك وكفنوك ، فانقطع عوادك ، واستراح حسادك ، وانصرف أهلك إلى مالك ، وبقيت مرتها بأعمالك. قال سفيان الثوري - رحمه الله - مبيناً حال شيخ كبير في استعداده للموت: رأيت شيخاً في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة ، أنتظر الموت أن ينزل بي ، لو أتاني ما أمرته بشيء ، ولا نهيته عن شيء ، ولا لي على أحد شيء ، ولا لأحد عندي شيء أنتظر الموت ، أنتظر أمر الله على عبادة وطاعة. لو أتانا الموت يا عباد الله ، ففرع أبوابنا ، واستأذن للولوج - ولن يستأذن - لاحتجنا إلى سنواتٍ طويلةٍ ، نرتب أمورنا ، ونسد حقوقنا ، ولكن السلف كانوا على استعداد دائم. انظر يا أخي في غدك ، ودنو أجلك ، وقلة عمرك ، فقد كتب بعض أهل الحكمة إلى رجل من إخوانه: يا أخي احذر الموت في هذه الدار ، قبل أن تصير إلى دار تتمنى الموت فيها فلا تجده ، يتمنى الموت في ذلك اليوم ، (وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)! فلنحذر في هذه الدار ، قبل أن نصير إلى دار يتمنى فيه الموت فلا يحصل. قال يحيى بن معاذ - رحمه الله -: "مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلها للعبد في ماله عند الموت ، قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ منه كله ، ويسأل عنه كله ، فأى مصيبة في المال أعظم من هذه؟ لو احترق ، لو ذهب في الدنيا يأتي بدلاً منه ، يأتي هو ببديل منه ، لكن عند الموت يؤخذ منه كله ، ولا يأتي ببديل ، ويسأل عنه كله ، وعن كل درهم: من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ قيل لعبد الله بن عمر: "توفي فلان الأنصاري ، قال: رحمه الله ، قالوا: ترك مئة ألف ، قال: لكن هي لم تتركه" وكيف تتركه وهناك كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وهذه كلمات أخرى لمعاذ بن جبل لما نزل به الموت ، ثم قال: "مرحبا بالموت ، زائر مغيب ، وحبیب جاء على فاقة ، اللهم إني كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك ، اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا ، وطول البقاء فيها ، لكري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لطول ظمأ الهواجر ، وقيام ليل الشتاء ، ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر". فكانوا ثابتين عند الموت لما كانت لهم الثبات في الحياة ، الطاعة في الحياة تثمر ثباتا عند الموت ، والمعصية في الحياة تثمر اللجاجة والحشجة وعدم التوبة ، وقلة الثبات عند الموت. ولذلك كان السلف - رحمهم الله - أثبت ما يكونون في تلك الساعة ، وهي أحوج ما يكون فيها الإنسان إلى الإيمان ، وإلى سلامة العقيدة. لما حضره ابن عباس ، فقال له: أبشر يا أمير المؤمنين ، أسلمت مع رسول الله حين كفر الناس وقاتلت مع رسول الله حين خذله الناس ، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض ، ولم يختلف في خلافتك رجلان ، فقال عمر: أعد ، فأعاد ، فقال: عمر المغرور من غررتموه ، لو أن لي ما على ظهرها من بيضاء وصفراء من الذهب والفضة لافتديت به من هول المطع. ولما حضرت سلمان الفارسي الوفاة بكى ، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: "ما أبكي جزعا على الدنيا ، ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب" ، هذا هو الذي يكون معك في الدنيا كزاد الراكب ، فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضع عشرة درهماً ، خاف من بضعة عشر درهماً أن يكون خالف فيها وصية الرسول ﷺ. ها نحن نمر في الجنائز ،

ونمشي فيها ، ونحملها ، ولا تدمع العيون ، ولا تتحرك القلوب ، ولا ترى على الوجوه آثار الخشية من هذا المصير ، والله إنها غفلة ، وإلا فمن لا يعتبر بمحمول إلى حفرة ضيقة؟ قال الأعمش: كنا نشهد الجنازة ، ولا ندري من المعزى فيها لكثرة الباكين ، ليس أهل الميت فقط هم الذين يبكون ، كل الناس يبكون فيها ، وإنما كان بكأؤهم على أنفسهم لا على الميت. وقال إبراهيم النخعي: "كانوا يشهدون الجنازة فيرى فيهم ذلك أياماً ، ترى آثار حضور الجنازة أياماً". وقال أسيد بن حضير: "ما شهدت جنازة وحدثت نفسي بشيء سوى ما يفعل بالميت ، وما هو صائر إليه". وقال إبراهيم النخعي - رحمه الله -: "كنا إذا حضرنا الجنازة ، أو سمعنا بميت عرف فينا أياماً ؛ لأننا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار ، وإنكم في جنازتكم تتحدثون بأمر الدنيا. والله يرى في الجنازة من يضحك ، ويرى في المقبرة من يضحك ، ويرون خارجين من المقابر وبأيديهم السجائر يدخنون ، ضحك وتدخين ، هذا في أعظم مكان يمكن أن يتذكر فيه الإنسان على وجه الأرض ، في المقبرة ، غاية الغفلة ، فماذا تعرف وتنتظر وتتوقع خارج المقبرة؟ إذا كان غفلة في المقبرة ، فماذا نتوقع خارج المقبرة؟ ولذلك لا عجب إذاً أن يقعوا في معاصي متواليات ، ويسهروا الليالي في المعاصي ، وهؤلاء اليوم وفي هذا الشهر - شهر الحر - يريدون السفر بأي طريقة إلى بلاد الكفر والعصية ، وهؤلاء بانعو السياحة ، يتفننون في إغراء المسلمين بقضاء إجازاتهم في بلاد الكفر التي غابت عنها شمس الدين والفضيلة ، وهي محاولات للسطو على أماناتنا الأموال والأولاد ، لأن الله قال: (لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ). وهذا أب لا يحفظ ولده ، وهذا صاحب مال لا يحفظ ماله).هـ. والآن لنتابع ما من الله تعالى علينا به في جزئنا الثالث من سلسلة: قصائد المقابر تتكلم!

تُفِيدُ الْمَوَاعِظَ مَنْ يَعْتَبِرُ وَيَسْعَدُ بِالنَّصِيحِ مَنْ يَذَكِّرُ  
وتنفغ أهل النهى نفحة من اللوم تزجي الوصايا الغرر  
طوتنا الحياة بطوفانها فبتنا - إلى سؤنها - نحدرد  
وعز علينا اتباع الهدى ولم نستفد من مبین النذر  
وتاهت عن الدرب أقدامنا وصبرنا نواجه ما لا يسر  
عصينا المليك ، ولم نمثل برغم استطاعتنا ما أمر  
ولم ننته النهي عنه نهى برغم وضوح الدليل الأغر  
ولمنا نحل الحلال الذي أحل لنا - في الدنا - المقتدر  
ولمنا نحرّم حراماً لله ولم نذر ما خبأته الغير  
وزيّن للنفس ما تشتهي وشهوتها ناولتها الخور  
فمالت إلى المعصيات التي دعت عزمها ، فاحتواها الكدر



وَخَنَيْتُ إِلَى اللَّهِ وَنُقَادَةً! لَدِيهِ لَهَا الْوَرْدُ ثُمَّ الصَّدْرُ  
 لَهَا أَحْلَوْلَتِ الْمَوْبِقَاتِ ، فَلَمَّ تَجَذَمَن يَهِيْبُ بِهَا أَنْ تَذُرْ  
 وَطَاوَعَتِ الْجَهْلَ مُخْتَارَةً فَكَأَنَّ لَهَا اللَّوْمَ بَعْدَ الدَّبْرِ  
 فَكَمْ أُسْرِفْتُ ، وَاعْتَدْتُ ، وَافْتَرْتُ وَبِالضَّرِّ خَيِّمَ لَمْ تَعْتَبِرْ!  
 وَفِي الْخَيْرِ لَمْ تَعْرِفِ الْمُبْتَدَا فَضَلَّتْ هَدَايَتَهَا لِلْخَبْرِ!  
 وَكَمْ دَاعَبْتَهَا طَيِّبُ الْوَفَى الْمُنَى فَعَاشَتْ بِأَمَالِهَا تَبْتَشِرْ!  
 وَكَمْ صَدَّهَا الْوَهْمُ عَنِ رُشْدِهَا! فَمَا اسْتَصْحَبَتْ - مِنْ هَوَاهَا - الْخَذِرْ  
 وَكَمْ لِلتَّقَالِيدِ قَدْ أذَعَنْتُ وَلِلْحَقِّ وَالْعَدْلِ لَمْ تَنْتَصِرْ!  
 بَغِيْرَ الْمَهِيْمِنِ كَمْ أَقْسَمْتُ! فَهَلْ غِيْرُهُ خَالِقٌ لِلْبَشْرِ؟!  
 وَكَمْ غِيْرَ رَبِّ الْبِرَايَا دَعَيْتُ! فَهَلْ عِنْدَ ذَا الْغِيْرِ نَفْعٌ وَضَرٌّ؟!  
 وَكَمْ غِيْرَ رَبِّ الْوَرَى حَكَمْتُ! وَأَبْنَسُ بِهِ مِنْ تَرْدٍ وَعِزِّ!  
 وَكَمْ ذَا أَقْرَبْتُ فَسَادًا طَغَى! وَبَيْنَ الْأَنْبَامِ سَرَى وَانْتَشَرَ  
 وَكَمْ سَحَرَ الزِّيْفُ تَفْكِيرَهَا فَظَلَمْتُ - بِنِيرَانِهِ - تَسْتَعِرْ!  
 وَكَمْ تَرَكْتُ مِنْ صَلَاةٍ بِلَا مُسْوَعٍ يَجْعَلُهَا تَعْتَنُرْ!  
 وَكَمْ عَنِ أَدَاءِ الزَّكَاةِ نَهَيْتُ! فَهَلْ مِثْلُ ذَلِكَ أَمْرٌ يُقَرُّ؟!  
 وَكَمْ عَقَبْتُ الْوَالِدِينَ ضَحَى! كَأَنَّ قَدْ تَسَاوَى عَقْوَقٌ وَبِرْ!  
 وَكَمْ سَامَرَ النَّفْسَ أَكَلَ الرِّبَا! وَتَحْرِيْمُهُ وَاضِحٌ مَسْتَطِرْ  
 وَكَمْ أَهْدَرْتُ حَقَّ مَنْ يَتَمَوَا! كَأَنَّ حَقَّ الْيَتَامَى هَدَرْ  
 وَكَمْ زَايَلْتُ صَدَقَهَا وَالْوَفَا! وَبِالْكَذْبِ حَلَّ الْأَذَى وَالْخَطَرْ  
 وَكَمْ صَامَتِ الشَّهْرَ لَمْ تَلْتَزِمْ بِأَخْلَاقِهِ رَغْبَةً فِي الْأَجْرِ!  
 وَكَمْ أَنْصَبْتُ - وَيَحْهَى - لِلْغِنَا! وَكَمْ أَطْلَقْتُ - فِي النِّسَاءِ - الْبَصَرَ!  
 وَكَمْ شَوَّهَ الْكِبْرُ إِحْسَانَهَا! فَصَارَتْ - بِإِفْلَاسِهَا - تَفْتَخِرْ

وكم سرّيل العُجبُ أخلاقها فأمست - إلى رُشدها - تفتقر!  
 وكم من شهادة زور أتت! فلم تلق - في عيشها - من ظفر  
 وكم قذفت مُحصناتٍ ، ولم تُثب! حيث باتت بذات تشتهر  
 وكم أكلت مال قوم غفوا وحازتْهُ لَمَّا اعترتهم غرر!  
 وكم راعتِ الناسَ كي يُخدعوا ولكن بها الفذل لم ينبهر!  
 وكم خانَتِ اللهَ لم تحترم عُهوداً كعبدٍ خوون أشر!  
 وكم درّست تبغّي رفعة كمرّت زق أجـره ينتظر!  
 وكم كتمت علمها ترتجي تفرّدها - في الورى - بالنظر!  
 وكم بالقضا خصّها استهزأت! وكم سخرت من مريـر القدر!  
 وبالمَن كم أحببت أجرها! فبالمن مجدّ الفتى يندحر  
 وكم لعنت مؤمناً قانتاً! كأي بها بُغضه تدخر!  
 وكم صدقت كاهناً مجرمأً يُصدّقه مَن بربي كفر!  
 وكم قاطعت جُل أرحامها كما يفعل - اليوم - بعضُ العجر!  
 وكم بالنميمة دكت عُرى كمثل الحريق ابتدا بالشر!  
 وكم جادلت عن أناس عتوا وكانوا - على الخلق - مثل التتر!  
 كم اغتابتِ القومَ تُزري بهم! وكم مكّرت بالتقاة البُذر!  
 وأدركها الموتُ مُلتاعة على السوء منها مراراً صدر  
 وجماعت - إلى القبر - مكسورة وكسُرُ التلاعب لا ينجبر!  
 وصاحبها أزه حالها فكم أوقبت سَمعة والبصر!  
 وكنّا جميعاً على إثره كما يتبغ الخطو أهل الأثر  
 وظلمة أجداثا راهنت على عمل طيب مُبتشر

فما حصّات منه لوظيفة      لتدفع عنا البلا والخسر  
يميناً ندمننا على فعلنا      وطالت علينا سني الضجر  
وظال العذاب ، وزاد الأسى      وطف الشقا ، والمرار استمر  
ظننا الحياة تطول بنا      لنصلح قبل فوات العُمر  
لكي نستعد للقياما الفنا      لكي لا نرى - في القبور - الكدر  
ولكنّ نجم الأمانى خبا      وأرهق كل الوجوه القتر  
فيا سانلي عن ضمنا حالنا!      بلينا بحال فظيع عسر  
فخذ عبرة من أناس شقوا      يكن لك - في شأننا - مزدجر  
وسدد وقارب ، وكن واعياً      وخذ إلهك ، واتل السور  
وتابع نبياً مسترشداً      فأنت - إلى هديه - مفتقر  
وأصلح ، ولا تصطب من غوى      فعيش الغوي كعيش الحمر  
وزهرة عُمرك ضاعت سُدىً      ومهما يطل يخترمه القصر  
أفيقوا - إلى رثدكم - أهنا      لكي تتركوا طبيبات السير!  
وهيا اسقيموا كما ربكم      بآياته - في الكتاب - أمر  
أنيبوا إلى الله كي تفلحوا      وفيما أتيتم أعيادوا النظر  
وصيتنا هذه ذرة      فهل تقدرون ثمين الدرر؟!  
وموت الفتى قادم فجأة      فهل منه سوف يُولي الذبر؟!  
وتأتي الملائك أموراً      بأن تنزع الروح من محتضر  
ليصبح بعد حديث الورى      وأقصوة دق فيها الخبر  
فيا رب سلم من المنتهى      وزحزح تقاة الورى عن سقر  
وأدخل جناتك أهل التقى      لنسعدهم رؤية المقتدر!

## المقابر تتكلم! 4 (حوار بين ميت وقبره)

(إن الذي يزور القبور بقلبه وجوارحه وعواطفه ومشاعره وأحاسيسه ، ليسمع بالقبور تناديه وتذكره وتعظه! وكأني بالواحد منهم يتخيل نداء قبره الذي سوف يدفن فيه وهو يقول له: أنا بيت الوحشة! أنا بيت الوحدة! أنا بيت الدود! اعمل الصالحات لأكون لك روضة من رياض الجنة! واجتنب المعاصي والموبقات حتى لا أكون لك حفرة من حفر النار! فله كلام! وجزء من محاضرة لفضيلة الأستاذ الشيخ/ سليمان الماجد ، والتي هي بعنوان: (لو تكلم الموتى) يقول فيه: (تصور لو أن أهل القبور خرجوا من قبورهم ، خرجوا بأكفان بالية ووجوه مغبرة ، خرجوا من سكون القبور وظلمتها إلى ضجيج الأرض وأصواتها ، فركوا عيونهم ، عركوا آذانهم ثم انطلقوا في أنحاء المدينة أشباحاً مهيبية ليحدثونا عن هول ما رأوا ، فماذا عساهم أن يقولوا بعد هول المطلع وسؤال منكر ونكير وحساب عسير ، وكيف يا ترى سيكون حديث الأموات للأحياء؟ الوقفه الأول: يا ليت والذي يعلم! هذا فتى مات في ريعان شبابه ، اختطفه الموت وهو أوسع الناس أملاً في العيش وأكثرهم رجاءً في متاع الحياة الدنيا ، مات على إسراف منه بالمعاصي ، فماذا عساه أن يقول لأبيه المفرط في تربيته لو لقيه في هذه الدنيا؟ لعله أن يقول: يا أبتى لقد رأيت ثمار ذنوبي وهي آثار تربيتك! رأيت هذه الثمار ناراً تلظى وجحيماً لا يطاق ، يا أبتى لقد كنت في حياتي تُعنى كثيراً بلباسي ومأكلي ومشربي ، ولكنك لم تكن تُعنى بقلبي وروحي! لقد أهملتني في بداية مراهقتي ، فلم توجهني إلى أصدقاء صالحين ، لم تكن تهتم بما أصاحب من أقاربي وجيرانى وزملاء دراستي ، لقد كانت فترة التأثير المثالي هي ما بين سن السابعة إلى سن الخامسة عشر ، وكنت تعلم وقتها يا أبتى أن هذه المرحلة هي مرحلة تصويب الولد نحو الهدف الصحيح ، كنت أنا السهم وكنت أنت اليد والقوس والوتر ، في هذه المرحلة كنا يا أبتى نتلقن كل شيء ونحب كل شيء ونستطلع كل شيء ، في هذه المرحلة كنا نقلب أنواع الأصدقاء في معرض الدنيا العريض ، أيهم ننتقي وأيهم نصاحب ، كنا في هذه المرحلة العجيبة عجيبةً غضةً طيعةً تستطيع توجيهنا الوجهة الصالحة ، يا أبتى لكنك كنت وقتها تقضي أكثر أيام أسبوعك في الاستراحة مع الأصدقاء أو مع الزملاء أو مع الأقارب ، وفي مرات كنت تتابع تجاراتك التي لم تزد من سعادتك ، بل أحالت وجهك البشوش إلى صحراء من العبوس والغبرة والتشاؤم ، لم تكن يا أبتى تهتم باهتماماتٍ مباحةٍ ، لذلك كنت أبحث عنها عند أيّ أحدٍ مهما كان مقصده في توفيرها لي ، ثم إنك جعلت علاقتي بك كعلاقة مدير مؤسسة فاشل بمرؤوسيه ، كانت علاقة الغطرسة والرسمية ، حتى أصاب علاقتي معك جفافاً وجفاءً وفجوةً ، فلم أعد أقبل منك توجيهاً ولا نصيحة بسبب هذا الجفاء ، يا أبتى لو أنك جعلتني صديقاً من أصدقائك لكان تأثيرك فيّ أكبر ، ولكنك كنت تعتبر هذه الصداقة مع أولادك ضرباً من التنازل الذي لا يليق برئيس مؤسسة محترمة على حد زعمك! يا أبتى لو كنت أستطيع أن أقول غفر الله لك إهمالك في تربيتي لفعلت ، ولكنني حينما فارقت هذه الدنيا بذنوب ثقيلة فإنني لا أملك أن أستغفر لنفسي من ذنب واحد من ذنوبي ، فكيف بذنوب غيري ، ولكنك أنت الذي لازلت في دار المهلة وتستطيع أن تستغفر لي ولنفسك ، يا أبتى: إن تسببك في انحرافي لن يخفف عني شيئاً من العذاب الذي لقيته ، ولكنني أدعوك إلى التوبة من إهمالك لي ، وأدعوك إلى أن تتدارك الأمر مع بقية إخوتي قبل فوات الأوان ، يا أبتى تدارك نفسك بالتوبة ، وتدارك إخواني بحسن التربية فلعل صلاحهم أن يكون سبباً في نجاتي يوم الدين. الوقفه الثانية: جار غير عزيز! ولعل رجلاً من أهل هذه القبور أخذ يتهدى حتى

وقف بباب جاره فلعله أن يعاتبه فيقول: جاري العزيز لقد كنت تطرق بابي فزعاً إذا رأيت الماء قد تسرب من الخزان العلوي حرصاً منك على مصلحتي ، ولكنك لم تكن تنبهني على بعض أصدقاء السوء الذين يخالطون أبنائي ، لم تكن تذكرني باهمالي لصلاة الجماعة ، لم تكن تنبهني على إدخالني لأجهزة الفساد إلى منزلي ، لقد كان حقّي عليك أكثر من حقوق سائر الناس عليك فلو علمت يا جاري العزيز أن احتفاظك لنفسك بالصلاح لا ينجيك يوم الدين لما أهملتني ، ولو علمت أن استئقالي لنصيحتك لا يسوّغ لك ترك نصيحتي ولبادرت إلى هذه النصيحة. الوقفة الثالثة: ولقد جنتمونا فرادى! وهذا رجل تقلّب في مناصب مؤسسية خاصة أو عامة ، كان في هذه الدائرة ملئ السمع والبصر ، امتلأت ردهاتها بآماله العراض ، بل كادت لا تتسع لتلك الآمال ولقد فاجئه الموت وهو أوسع الناس أملاً وحرصاً ومزاحمة ، كان يدخل دائرته التي اعتاد الدخول إليها كل صباح بنفس متوثبة متفائلة متطلعة إلى مستقبل وظيفي أكبر ، لم يكن حين ذاك يفكر بالموت ولا ما بعده من هولٍ وعذاب ، فلو دخل دائرته بعد خروجه من قبره وتذكر وهو يللم أكفانه المغبرة كم كان في دنياه في غرور ، وكما كانت الأمانى تضرب به في كل واد دون أن يفكر في حفرة القبر التي أودع فيها رهين عمله ، لقد كان يتبختر في هذه الممرات بشباب جديدة جميلة ، لو وقعت عليها خردلة من غبار لنفضها بسبابته وهو الآن يللم أكفاناً بالية بلغ الغبار والنتن منها كل مبلغ ولعله لو مرّ بقسم الترقيات في دائرته لتذكر ، كم كانت ترهق النفوس وتشرب الأعناق للحصول على مرتبة أو علاوة ، بل ربما بذل دينه ومروءته من أجل ترقية أو علاوة ، وقد أيقن الآن ولكن بعد فوات الأوان أن رفعة الدرجات ، إنما هي عند الله وحده ، وأن علو مقام المرء إنما هو في قربه من الله وتمام عبوديته له ، أما العبودية للدنيا فلا تزيده إلا حسرة وندامة وتشتتاً ، ولعله لو مرّ بغرفة بعض موظفيه لوجد هذا الموظف على عادته في الوشاية بزملائه ووضع العراقيل أمام أعمالهم ومشاريعهم ، حتى لا يظهر لهم نجم ولا يعلو لهم شأن ولا يعم لهم نفع ، وحتى لا يسبقوه بحسن رأي ولا جودة عمل فماذا عساه أن يقول لهذا الموظف لو رآه واستطاع أن يتكلم لعله أن يقول: هب أنك نافست مثل ما كنتُ أنافس بالحلال والحرام فسبقت أقرانك وبرزت أتراك ، أليست سنين معدودة إن مُد لك أجل ثم تأول بك الحال إلى عالم التقاعد حيث ينفذ عنك أهل المصالح وتصير في عالم النسيان ، هذا مآل الوظيفة في الدنيا ، أما مآلها في الآخرة فحفرة القبر الموحشة ، حيث لا أنيس إلا عمل صالح ، ولعله أن يقول: كنا نسمي المتورعين عن المنافسة المحرمة سذجاً أو دراويش ذوي ورع بارد لا طموح لهم ولا يعرفون قيمة النجاح ولا يتذوقون طعم السباق مع الأقران ، ولكن علمنا ولا ينفعا هذا العلم الآن أن طريقتهم هي طريقة النجاة وأن المنافسة الحقيقية هي في قلب سليم وعمل صالح ينجو بها العبد من عذاب القبر الرهيب ، وأن المنافسة الصحيحة هي التي لا تضر بالآخرين ولا تمنع مسيرة الخير ونفع الناس ، آه آه ليتني أعود إلى الدنيا لأصفي سريرتي وأحسن سيرتي ، تالله إن صفاء السيرة هي راحة البدن وهي راحة النفس في الدنيا وهي النجاة في الآخرة ، آه مما فعلنا بأنفسنا وما غرتنا هذه الدنيا وما أظعنا فيها إبليس الضلالة ، وكنا نسمع قول الله تعالى: {وَلَا تُحْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} ، { فَكُبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}! ولعل صاحبنا ذلك الرئيس أن يرى في آخر الممر مكتب سعادة المدير حيث كان هو مديراً قبل وفاته ، لقد تعود في

هذا الممر أن يرى لأعوانه هناك انتشاراً ، وخطفه وأصحاب المصالح بين يديه لا يرتد إليهم طرفهم وأفندتهم هواء والمراجعون يصدرون عن مكتبه بين موهوب ومحروم ، رأى هذا المدير على ما عهد نفسه من إقصاء الأكفاء من الموظفين خوفاً من منافسته على جاهه وسلطانه فمرة بالعزل وأخرى بالمضايقة وأخرى بالتهميش رآه على ما كان يعرفه من نفسه من تكثير ذوي المطامع الذين لا يعرفون الذكاء إلا فيما يخدم سعادة المدير ، ويكثر جاهه ويعظم سلطانه ، ومن ثم يحظون عنده بالرتب العالية والتقارير الكاذبة ، لقد تعلم المدير وأعوانه بفساد مدنية أن الدائرة التي لا تنجز مصالح الناس ومياه أعمالها دائماً جارية نقية يرى باطنها من ظاهرها أنها إدارة لا تحقق المصالح الشخصية ، فلا بد من العمل بحرية من توفير مستنقعات أسنة متعكدة من مصالح الناس المتعطلة تسهل فيها حركة اللصوص ويسهل فيها اللعب على المغفلين ، فلذلك جعلوا هذه الدائرة في فوضى دائمة ، ثم حجبا الناس عن سعادته حتى يوفروا هذه المستنقعات التي تعيش فيها الحشرات القذرة التي تحسن السمسة في شراء الذمم وبيعها ، وهكذا حزن الاثنين معاً تعطيل مصالح الناس وأكل المال الحرام الذي يبذله الناس لإنجاز مصالحهم ، لعله أن يقف متأملاً في غمرة المراجعين بكفنه البالي المغبر فيقول: لو كان عندي القليل من التقوى والقليل من معرفة حال الدنيا وحال الآخرة ، لرأيت أن في النصح للناس أعظم الأجر والمثوبة ، ماذا بقي معي في قبوري من بريق المال الذي كنت أبذره بلا عد ولا حساب وأتمتع به بلا خوف من حشر وعذاب ، وماذا بقي معي من ضجيج الشرف وجلبة الأعوان وكثرة العلاقات والاتصالات وما أراه في عيون الناس من تعظيم وتبجيل ، لقد تلاشى ذلك كله كبخار في يوم صائف! فلم أدخل في هذا القبر من مالي وشرفي إلا بكفن ، لله كم كنت مغروراً بهذه الدنيا حينئذ فقط أدركت معنى قوله- صلى الله عليه وسلم :- (ما ذنبان جانعان أرسلنا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)! لقد كنت أرى ذلك كله ، ولكن نفسي كانت تزيّل لي ما أفعله وكانت شدة الإبهار في أنوار الدنيا تحجب عني رؤية الحقيقة ، فلم أتبينها إلا حين فات وقت الندم! {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} ، {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}! الوقفه الرابعة: رفيقة الدرب! ولعل أحدهم حين خرج من قبره أن يلقي زوجته فيقول لها: كم كنت أرتكب الحرام رداً لجميل وفانك وعظيم صبرك! وكم كنت أتساهل في الموبقات من أجل سواد عينيك ، لقد كنت أسافر السفر المحرم والسياحة السيئة بسبب حبي لك ومن أجل كلمة ثناء طيبة من لسانك العذب الرقيق ، وكنت أدخل أجهزة الفساد إلى منزلي من أجل ما تشككين من فراغ قاتل على حد زعمك ، لم أكن مقتنعاً بالكثير مما كنت أفعله ، بل كنت أعرف أنه الطريق الخطأ ولكنني في سكرة الهوى وحب الدنيا نسيت كل شيء ، لقد كانت عقوبة ذلك ناراً لا تطاق وجحيماً لا يحتمل ، لقد كنت أستمع من كتاب الله إلى هذه الآيات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ، ولم أكن والله لأرد كلام ربي ، ولكن سلطان الهوى حجب عني تلك المخاطر ، حتى كنت أقول كيف تكون هذه الوردة الجميلة عدواً يستوجب الحذر ، الآن عرفت ذلك ولكن لم تعد تنفع المعرفة! الآن ندمت ولكن لات حين مندم ، لقد كنت أسمع كلام الله ، لكنه سماع أذن لا سماع قلب ، كنت أسمع قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَتْ

الصَّاحَّةُ \* يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ \* لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}. الوقفة الخامسة: ذبول وردة! هذه فتاة ماتت في عمر الورود كانت ترى الحياة مرحاً وسعادة ، كانت ترى أن أعظم السعادة هو أن تكون محط أنظار الناس وسبب إعجابهم! فلذلك سعت إلى التميز في كل شيء ، في ملابسها في مشيتها ، سعت إلى جديد الموضات حلالاً كانت أو حراماً ، تأخذها من أي وسيلة إعلامية ، من المجلة أو التلفاز أو المحطة الفضائية ، المهم هو التميز مهما كانت الوسيلة ، فمرة تشبهت بالكافرات ، ومرة تشبهت بالفاسقات ، ومرة تشبهت بالممثلات والمغنيات ، ومن أجل هذا التميز وتلك الجاذبية نزلت إلى الأسواق ومجامع الناس وقد ليست العباءة الضيقة لتتمتع على حد ظنها بالنظرات الجائعة ، ومن أجل هذا التميز خرجت في الحفلات بثياب تخرج أكثر جسدها ، وما سترته من جسدها فهو ضيق يجسم عورتها ؛ يا ترى ما عساها أن تقول لو خرجت من قبرها وتكلمت: يا أمي لقد رأيت عذاب الله تعالى في ذلك القبر الموحش ، رأيت عذاب الله حين أغريت الشباب ورأيت حين كنت أسوة سيئة للفتيات وقدوة سيئة لأختي الصغيرة في دخول هذه الطرق ، أماه إذا كان هذا ما أصابني بسبب اقتداء أختي بي ، فما ظنك بعذاب الله لمن كانت السبب الأول في انتشاره وما الظن بعذاب الله تعالى لمن يصنع هذه العبايات أو يبيعهها ، أماه لقد كنت أبدي مفاتن جسدي بطرق متعددة: فمرة بالنقاب الواسع الذي يبدي عينين كحيلتين ويظهر أهداباً كسهام مريشة حادة ، أغرسها في قلوب الرجال لتصيبها في مقتل ، ومرة أدع العنان لعباءتي لتسفر عن نحر أبيض وجيد فضي ، كوجهي في الضحى ، فتطير لذلك عقول وتضطرب أفئدة ، أو أظهر قواماً كغصن البان حتى أطرب لتأوهات المفتونين ، ومرات ومرات كنت أغشى الحفلات وقد خلعت جلباب الحياء فأنا كاسية عارية! إذا رأني الرائي فلا يخالني إلا في حفلة غربية ماجنة ، أبديت فيها عضداً كجمارة نخلة فتية وأظهرت ساقاً وجزءاً من فخذ وظهر ، فعلت كل ذلك حتى أبدو متميزة في مظهري ، أتدرين يا أماه كيف آلت بي الحال في قبري لقد سألت تلك الأعين النجل مع سهامها المريشة على خد متعفن مجعد أسود ، وصار ذلك النحر الفضي قطعة جلد أسود تتدلى أطرافه على عظام نخرة لتلامس قلباً طالما امتلأ بالهوى القاتل والغرور بالدنيا الفانية وطول الأمل الكاذب ، لا أدري يا أماه كيف كنت أرى الدنيا طويلة طويلة ، وأنا أرى الناس يموتون كل يوم ممن حولنا من الجيران والأقارب والأصدقاء ، لا يفرق ملك الموت بين صغير وكبير وغني وفقير وملك وحقير ، لله يا أماه كم كانت تلك المواعظ ترق أدني وتشاهدها عيني وتحسها يدي ومع ذلك لا أجد لها في نفسي أثرا إن السبب هو غلبة الهوى وحب الدنيا من الشهرة والتميز الكاذب والمفاخرة الجوفاء ، وحينئذ فقط عرفت معنى قول الله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ!} أماه إن ما أفعله هي منافسة ومسابقة ، ولكنها مسابقة لتحصيل نبات أخضر بهيج ولكنه بعد برهة يأول سريعاً إلى زوال ، والسباق الحقيقي الثابت النافع إنما هو لتحصيل مغفرة الله تعالى وجناته {اعلموا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} ، {سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا عَرْضُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}. الوقفة السادسة: في الاستراحة! ولعل من هؤلاء رجلاً وقف على أصحابه بأكفان بالية المتربة وهم في استراحتهم ، هؤلاء الأصدقاء

الذين كانوا يقضي معهم جُلّ وقته ، هؤلاء الأصدقاء الذين كانوا يقدم محبتهم على محبة والده ووالدته وأخوته ، حيث كان يتفقد أحوالهم ولا يتفقد أحوال أقاربه ، كان يأنس بلقياهم ولا يأنس بلقيا أقرب مقربيه كان لا ينام حتى يهاتفوا بعضهم ، لقد كانوا ملء سمعه وبصره ولعله لو خرج من قبره وذهب إليهم في ناديتهم لتذكر كم كانت الأوقات تذهب سدى لقد كان يقطع في طريقه إليهم ما يقارب نصف ساعة ، كان يستطيع أن يسبح في هذا الطريق أكثر من ألف تسبيحة ولعله أن يقول: كم كانت الأوقات تذهب سدى هذه ألف تسبيحة في طريق الذهاب فقط بكل تسبيحة صدقة ، فلماذا كنا نضيع الوقت فيما لا ينفع ، ونحن من أحوج الناس إلى هذه الحسنات والصدقات ، لتكفير عظيم السيئات ، لقد قضيت معهم من عمري أكثر من عشر سنوات لم أمسك بيدي فائدة واحدة في ديني ودنياي فيما كان أهل الخير يخرجون بنتائج باهرة ، فمرة بمذاكرة علم ، ومرة بموانسة محببة ، ومرة بتعاون على مشاريع الخير والبر ويشجع بعضهم بعضا عليها ، هكذا يكون قضاء الأعمال فيما ينفع في الدين والدنيا ولعله لو أطل على مجلسهم لتخيل نفسه بينهم ، هذا مكانه هذا موضع مرحه هذه قوته هذا شبابه ، آه ليتني أعود إلى هذه الدنيا في تلك القوة والنشاط لأعبد الله حق عبادته لاتوب من ذنوبي لأستكثر من الحسنات ، آه ليتني أعود لهذه الدنيا لأقول لهم: لقد عودتموني على كل عادة قبيحة ، وعلمتموني كل معصية لله-عز وجل - ، سوف أترككم إلى الأبد لأبدأ حياتي من جديد في طاعته ورضوانه في كنفه وقربه ، لقد كانت الآيات تطرق سمعي وكأنه يُعنى بها غيري {ومن عيش عن ذكر الرحمن نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُم فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} ، {الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} ، {وَيَوْمَ يَعَضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا}. الوقفه السابعة: ألا لله الدين الخالص! هذا رجل عود نفسه على الرياء ، فأصبح لا يعمل العمل الذي يُبتغى به وجه الله إلا بحافز من نظرات الناس ، فلا يصلي نافلة إلا بمحضهم ولا يعمل خيراً إلا بثنائهم ، فغابت عنه لذة المخلصين في العبادة والأعمال الصالحة ، لقد علم في قبره أن أعماله لم تكن إلا سراباً بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ، لقد تبخرت هذه الأعمال التي لم تكن في الحقيقة إلا فقاعة أزالتها نفخة من فم الحقيقة الذي لا يكذب ، وليت الأمر وقف عند حبوط العمل ، بل صار الرياء سبباً من أسباب العقوبة من تصغير وتحقير ، وكنا نسمع قوله - صلى الله عليه وسلم -: (من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وصغره وحقره)! ولكن تسمع الأذن ولا يعي القلب ، ماذا أفادتنا نشوة الرياء الكاذبة في سكون القبر القاتل ، ماذا نفعلنا ثناؤهم عند سؤال منكر ونكير ، لماذا كنت أفرح بنظرة الناس إليّ وهؤلاء الناس هم الذين وضعوني في حفرة القبر ثم ولّوا مدبرين لا يتبرعون لي بحسنة واحدة ، آه من خفة عقول المرانين وهم لا يتعظون بقوله - صلى الله عليه وسلم -: (يقول الله - عز وجل -: إذا جرى الناس بأعمالهم ذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عنهم جزاء)! ولا يراعون لقوله - صلى الله عليه وسلم -: (من أحسن الناس حين يراه الناس وأساءها حين يخلوا فتلك استهانه استهان بها ربه تبارك وتعالى). الوقفه الثامنة: هذه أموالى تقسم! وهذا صاحب ثروة طائلة عاش حياته غافلاً عن أجله لاهياً عن حفرة القبر الموحشة ، كان أصدقاء المصلحة في حياته لا يفارقونه ، فامتلات



حياته ضجيجاً وأضواءً وانشغالاً ، كان من أطيب الناس ريحاً وأحسنهم ثياباً وأكملهم رونقاً وأبهة ، فلو خرج من قبره بكفنه المهترئ ورائحته الكريهة فماذا عساه أن يقول أو يفعل لعله هل كانت هذه الدنيا وتلك الأقوال تستحق ما كنا نبذله من أجلها ، فمن أجل الأموال عادت أقاربي ، وقسوت على أصدقائي ، وأهملت أولادي ، وقصرت في حق زوجتي ، بل قصرت في حق نفسي ، لقد أفديت عمري وزهرت شبابي في جمع هذا المال ، ثم حين حصل لي صرت أكافح من أجل أن أبقى غنياً متفرداً فلا أريد أن يسبقني في كثرة المال أحد وكان ذلك كله على حساب صحتي واستقرار نفسي وحقوق زوجتي وولدي ضللت ألث وألثت بحثاً عن السعادة حين والمباهاة حين آخر ، لم أكن أتوقع أن يداهمني الأجل بهذه السرعة ، فتنقطع آمالي وتتحطم تطلعاتي ، لقد كنت أرى الناس يموتون ولكن كنت أظن أن الموت الذي داهم الآخرين ، كان لأسباب خاصة لا تنطبق علي ، هكذا كنت أفكر بسداجةٍ وغفلة! ليتني أنفقت من هذا المال ليكون مزرعة تنتج الأجر والثوبة إلى الأبد ، لقد كنت أسمع القرآن فلم أع ما كان فيه من عظاتٍ وعبر ، لقد أعمى قلبي حب الدرهم والدينار ، كان مما أسمع قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}. نعم لقد كنت أستمع إلى هذه المواعظ العظيمة ، ولكن نداءها {كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يِعْقِلُونَ} ولعله أن يمر ببيت أحد أبناءه ليجد أن زوجته قد تزوجت وأن ورثته قد اجتمعوا ليقسموا تركته ، هذه غرفة الضيوف مضاعة فيها ورثتي ، وقد علت أصواتهم يتجادلون في قسمة أموالي: هذا الابن الأكبر له كذا من الملايين ، وهذه البنت لها النصف من ذلك ، وهذه الزوجة لها نصيبها ، فماذا عساه أن يقول لعله أن يقول: لقد قسمت أموالي التي كنت أبخل بها على نفسي وولدي قسمت على أولادي وأزواج بناتي وزوج امرأتي ، لقد كنت في الدنيا في عماية عظيمة حين كنت أسمع قول النبي- صلى الله عليه وسلم -: (أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله) قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال: (فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر)! كل ما تركته فليس بمالي صدق الصادق المصدوق- صلى الله عليه وسلم- لقد كنت أنا أخشى على أولادي العيلة ، وهذا من قلة التوكل وضعف اليقين ، ولقد كنت أنا أولى بهذا المال منهم! لقد كدت أصيح فيهم فأقول: إن في هذا المال زكاة مهملة فأخرجوها ، وفي هذا المال ربا فتخلصوا منه ، وفي هذا المال حقوق لبعض الخلق منعي البخل من أدائها فأدوا الحقوق أهلها ، ولكنني لا أستطيع النطق! لقد انقضى زمن العمل وجاء زمن الحساب والعقاب ، آه من الغفلة وطول الأمل! لقد كنت أعيش على أمل يطول عمري بحياة مرفهة سعيدة! {ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}.هـ. قال الإمام ابن الجوزي- رحمه الله تعالى- في مؤلفه الرائع: (صيد الخاطر) ما نصه: (من أظرف الأشياء إفاقة المحتظر عند موته فإنه ينتبه انتبهاً لا يوصف ، ويقلق قلقاً لا يحد ، ويتلهف على زمانه الماضي ويود لو ترك كي يتدارك ما فاته ، ويصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت ، ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف ، ولو وجد ذرة من تلك الأحوال في أوان العافية حصل له كل مقصود من العمل بالتقوى. فالعاقل من مثل تلك الساعة ، وعمل بمقتضى ذلك ، فإن لم يتهياً له تصوير ذلك على حقيقته تخيله على قدر يقظته ، فإنه يكف الهوى ويبعث على الجد).هـ. وتحت عنوان: (الحياة في القبور) يقول الدكتور محمد بن عبد الرحمن العريفي ما

نصه: (لو تكلم الموتى لسمعتهم منهم أعاجيب ، ولو وقفت عند المقبرة لرأيت تحت الجنادل ملوكاً ومملوكين ، ورأيت رؤساء ومرووسين بعدما كانوا في عز وشرف وخدم وحشم ، وإذا هم طعام للودود والثرى. لو تكلم هؤلاء وقاموا من قبورهم فنزعوا عنهم أكفانهم وأذن الله لهم أن يتحدثوا ، أو قامت إليك عظامهم ورفاتهم لما أمرك أحدهم بزنا ولا بشرب خمر ، ولا قال لك: اغتتم حياتك ، اغتتم شبابك وارتكب الزنا والفجور... لا ، ما أمرك إلا بصلاة وصوم وعبادة وقربة. روى الإمام أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال: "أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إلى جنازة رجل من الأنصار ، قال: فلما وصلنا إلى القبر فإذا هو قد حفر ولما يلحد." يعني قد حفر القبر لكن لم يحفروا اللحد وهو الجانب من القبر. قال: "ولما يلحد ، وقعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخذ عصي وجعل ينكت في الأرض وقعد أصحابه حوله ، قال وكان على رؤوسهم الطير ، قال فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة ، قال: فيقعدون منه مد البصر" ، وهذا يكون عند خروج الروح إلى بارئها ، إذا احتضر المرء وجعلت روحه في تحشرج في حلقه لتخرج ، وقد أذن الله تعالى لها بالخروج وهذه آخر الأنفاس له في هذه الدنيا فيرى الذين حوله ، والله جل وعلا يعلم متى تخرج روحه والميت نفسه لا يعلم ذلك. والله تعالى قد وصف ذلك فقال جل في علاه: (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ \* وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ \* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ \* فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ \* تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ). يقعد هؤلاء الملائكة منه مد بصره ، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يقعد عن رأسه فيقول: يا أيتها الروح الطيبة كنت في الجسد الطيب اخرجي إلى رحمة من الله ورضاه. والمعنى: أنت روح طيبة لأنك لم تتلقي بمعازف محرمة ولا بزنا ولا بفواحش ، ولم تغتابي أحداً ، ولم تحدثي صاحبك أن يفعل منكراً ، أنت روح طيبة ، إنما كنت تحثينه على الخير وتدلينه عليه ، إنما تنبهينه على الشر وتحذرنيه منه ، أنت روح طيبة لم يفلح الشيطان في الوسوسة لك يوماً في أن تقودي الجسد إلى معصية. كنت في جسد طيب ، ما عرفت يده إلا في دعاء وصلاة وصدقة ، ولا عرف لسانه إلا بذكر وتسيب وتهلل ، ولا عرف من عينه إلا النظر إلى الحلال ، ولا عرف من جسده ورجله إلا المشي إلى الحلال والمساجد والجهاد والصدقة والكد على العيال والعمل الصالح. أنت روح طيبة ، وأنت جسد طيب! إذا كيف ينبغي أن يتعامل معك؟ قال: يا أيتها الروح الطيبة كنت في الجسد الطيب ، اخرجي إلى رحمة من الله ورضوان ، قال فتخرج روحه تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء. يعني كما تسيل القطرة من القربة التي تكون من جلد ، فإذا قلبتها فخرج الماء كله مندفعاً ، ثم لم يبق إلا قطرة واحدة من ماء في أعلى هذه القربة ، فإنها تبدأ تسيل شيئاً يسيراً رزينا هادناً ، ليس فيه عنف ولا فيه شدة ، تنزل هذه القطرة ببسر وسهولة ، حتى تصل إلى فم السقاء ثم تفارق هذا السقاء الذي كانت فيه. يقول عليه الصلاة والسلام: "تخرج روح هذا المؤمن خروجاً سهلاً ليناً" ، لأنها تبشر لما بعد الموت من روح وريحان ورب راضي غير غضبان ، قال: تخرج روحه تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها ملك الموت ، قال فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين. ملائكة الرحمة التي نزلت بكفن من الجنة وحنوط من الجنة ، طيب من الجنة وألبسة من الجنة لا يرضوا أن تتأخر هذه الروح الطيبة في يد ملك الموت ولا طرفة عين. قال: "ولا يدعوها في يده طرفة عين" فيأخذوها منه فيجعلوها في ذلك الحنوط يعطرونها ويطيبونها فقد طيبت هذه الروح نفسها في

الدنيا بالذکر الحسن والطعام الحسن الحلال وبالکلام الحسن والريح الحسن ، طيبت نفسها بالحضور في المساجد والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنکر ، وحمل هم الإسلام ، روح تستحق الإكرام. قال: فيأخذوها منه فيجعلوها في ذلك الحنوط ثم يجعلوها في ذلك الكفن ثم يصعدون بها ، إذا صعد بالروح ، وفارقت الجسد ، وصاح العيال ، ووزع المال ، وارتخت الیدان ، وزاغت العينان ، ثم أيقن أهله أنه مات بين أيديهم ، وقد فارقت روحه جسده ترتفع مع الملائكة إلى السماء ، ويقوم أهله إلى هذا الجسد يهينونه بتغسيل وتكفين ، وينبنون الناس بموته ليجتمعوا للصلاة عليه. أما روحه فلا يدرون ماذا يفعل بها لكن الله تعالى يدري ترفعها الملائكة إلى السماء فيصلون إلى السماء الأولى. قال: فيستفتحون له فتقول الملائكة من؟ من هذا الذي تأمرنا الملائكة أن نفتح له من؟ ليس أي روح يفتح لها أبواب السماء من؟ قال فيقولون الملائكة التي تحمله بهذا الطيب الحسن والحنوط الطيب والكفن الحسن تقول هذه روح فلان بن فلان بأطيب أسمائه وأحسن أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا. قال: فيفتحون له ثم يصعدون إلى السماء الثانية ومقصدهم الوصول إلى رب العباد جل وعلا ، قال فيصلون إلى السماء الثانية فتفتح له فإن قالوا من؟ فتقول الملائكة: هذا فلان بن فلان بأحب أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا فيفتحون له. رجل صالح تعرفه ملائكة السماء وتحب لقائه وتفتح له أبواب السماء له ذكر حسن ، فله قبول في الأرض ومحبة في السماء ، قال فيفتح له فيصعدون به إلى السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة إلى السماء السابعة فيستفتح له فيفتح له ثم يقول الله تعالى: أفرشوا لعبدي من الجنة وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال: فتعاد روحه في جسده وقد دفن جسده في الأرض ، ثم يأتيه ملكان فيقعدانه بأحسن طريقة وألين أسلوب ، قال فإذا قعد نظر فخيّل له أن الشمس تغرب فيقول لهما أنذراني حتى أصلي العصر ، فيقولان له: إنك مصلي ، من ربك؟ فيقول ربي الله ، ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام ، يقولون: من نبيك؟ فيقول: نبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فيقولون: وما علمك؟ من أخبرك بهذا؟ من نباك به؟ من علمك؟ والمعنى: هل هو فقط كلام تحفظه دون أن يؤثر في حياتك ، دون أن يكون له تطبيق في واقعك ، من علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فعرفته وفقهته. قال: فيقول له الملكان وهما اللذان يرحمانه ويتلطفان معه ويختار أحسن وألين العبارات ليتكلما معه ، يقولان له: نم هائنا ، فيقول الله تعالى: صدق عبدي ، عبدي كان كادحاً في الدنيا ، صدق عبدي! فافرشوه من الجنة ، وأطعموه من الجنة ، وافتحوا له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها وريحانها وينظر إلى مقعده من الجنة. فيقول: ربي أقم الساعة. ربي أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي ، يا رب ما دام إني في الجنة وأن ذاك مقعدي في الجنة ، يا رب أنا عندي عيال وذاك مالي في الجنة ينتظرني ، ذاك قصري ، وتلك زوجاتي ، وذاك النهر ، وذاك النعيم ، يا رب أقم الساعة ، أقم الساعة. حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال عليه الصلاة والسلام: ثم يأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح ، يأتيه بعدما وسع عليه قبره حتى صار مد البصر ، فيقعد إليه هذا الرجل الصالح ويقول له: أبشر بالذي يسرك ، فيقول: من أنت؟ فوجهك يجيء بالخير ، ابتسامتك ونور وجهك وحسنك وبهاؤك وكلامك الحسن يأتي بكل خير ، من أنت؟ فوجهك يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عمك الصالح ، أنا لست غريباً عليك: أنا صلاتك والناس نيام ، أنا صومك في اليوم شديد الحر ، أنا صدقك لما كان الناس ينفقون أموالهم ، أنا سعيك إلى المسجد في شدة الحر ، أنا سجودك بين يدي الله ، ألا تعرفني أنا أمرك بالمعروف ونهيك عن المنکر ، أتظن أنه ضاع سدى ، أنا برك بوالديك ، أنا ابتلاءك الذي ابتليت به ، أنا

جهادك في سبيل الله ، أنا تلاوتك للقرآن ، أنا عنايتك وتربيتك لأولئك ، أنا سعيك وراء أولادك وأنت تقول احفظ قرآن وقم صلي ، أنا أمرك زوجتك وبناتك بالحجاب ، أنا عمك في الدعوة إلى الله ، أنا خدمتك لدينك ، أنا نفس جديدة عليك ، أنا لم أنبت لك من الأرض ولم أنزل من السماء ، أنا لست حجراً منكر تحولت رجل فجأة ، كلا ، بل أنت طوال حياتك كنت تسمعني وكنت تسمعني. قال: أنا عمك الصالح. ولا يزال الرجل يقول: ربي أقم الساعة ، أنا غير خائف يا ربي من النفخ في الصور لأنك أمنتني ، غير خائف من لقائك أنا فرحان بلقائك يا ربي ، يا رب أقم الساعة ، يا رب عجل بالساعة أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. ثم قال عليه الصلاة والسلام: وأما العبد الفاجر أو الكافر فإذا حضره الموت نزل إليه ملائكة من السماء ، سود الوجوه ، قال يأتي معهم مسوح من النار وهو أعظم وأشد ما يلبس كالثوب المليء بالشوك. قال: فيجلسون منه مد البصر ، لا يتشرفون بالاقتراب ولا بالنظر إليه ، قال فيأتي ملك الموت ثم يقول يا أيتها الروح الخبيثة كنت في الجسد الخبيث ، رجل ما عرفت طريق المساجد ، ويد ما عرفت إلا لمس المومسات ومسك الخمور والوقوع في الفاحشة أو الكتابة المحرمة ، أي يد هذا وأي رجل ، كيف يكون حال هذا الجسد وهو يعمل على المعصية ومحاربة الدين والتضييق على الدعوة وعلى الخير. يا أيتها الروح الخبيثة ، روح خبيثة ما تأمرين صاحبك إلا بوسوسة محرمة واستجابة للشيطان ، يا أيتها الروح الخبيثة كنت في الجسد الخبيث اخرجي إلى غضب من الله ، اخرجي إلى لعنة من الله وغضب. قال: فتفرق روحه في جسده ، شدة الرعب لا تدري إلى أين تهرب ، أتهرب إلى رجلي اليمنى أو إلى اليسرى أو إلى يده ، أو تكون في بطنه أو في رأسه ، تتفرق روحه في جسده ، قال: فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول. السفود هو تلك المحش التي يقطع به العشب كأنك أخذته ثم لفته بصوف مبلول بماء ثم نزعت هذه السكين من ذلك الصوف تتقطع تقطعاً ، يقول عليه الصلاة والسلام ثم ينزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول. قال: فإذا انتزعها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك المسوح من النار ، ثم يصعدون بها إلى السماء أما أهله يبكون عليه ، وأما ماله فيقسم ، وأما أطفاله فاطرحوا على صدره يبكون ، ربما هناك من فرح بموته ، ربما مظلوم يفرح بموت ظالمه ، ورب مقهور يفرح بموت من قهره ، ورب من أصيب بأذى ولم يستطع أن ينتصر ممن أذاه يفرح بموت مؤذيه. أقوام إذا ماتوا اهتز لهم عرش الرحمن محبة لهم وبكت عليهم منابر المساجد ، وأقوام يموتون فيستبشر الناس بموتهم. قال: فيصعدون به فيستفتحون له ، تقول الملائكة من؟ فيقولون هذا فلان بن فلان يسمونه بأقبح أسمائه التي كان ينادى بها في الدنيا ، أقبح اسم كان يلقي عليه تعبيراً وإغاظاً. الاسم الذي يكره أن يسمعه في الدنيا يقال: هذا فلان بن فلان ، لا تستحق التكريم أنت ما كرمت جسدت فكنت من أهل الصلاة ولا كرمت يدك فتكون من أهل الصدقة ، أنت ما احترمت نفسك فتحترمك الملائكة ، ولا جعلت لنفسك قدر حتى يكون لك قدر في السماء. قال: فلا يفتح له ، فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبي في سجين فأعيدوه إلى الأرض ، وقد قال ربنا عن المؤمن اكتبوا كتاب عبي في عليين ، أما هذا اكتبوا كتاب عبي في سجين واعدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدوهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال : فتعاد روحه في جسده ، فيأتيه ملكان فينتهرانه ، ما يحركانه تحريكاً يسيراً لطيفاً سهلاً ليناً.. لا ، يأتيه ملكان فينتهرانه ، فيقوم فزعاً فيقولان له من ربك؟ فيقول: ها ها كأنه يتذكر هذا السؤال أنه حفظه في الدنيا ، أنه سمعه في الدنيا ، أنه قيل له في الدنيا ، لكنه أغلق عليه وتحير فكره واضطرب ، شدة الهول ، ها ها لا أدري. فيقال له: ما

دينك؟ على أين دين كنت؟ كنت تعبد من في الدنيا؟ هل كنت عبداً لله حقيقة؟ أم عبداً لفرجك وعبداً لكاسك وعبداً لمالك وعبداً لكرسيك وعبداً لمنصبك ، لذلك كنت تقتل الناس وتظلمهم ، ما دينك؟ أين دين كنت عليه؟ ما دينك؟ فيقول: ها ها لا أدري. فيقول: من هذا الرجل الذي بعث فيكم هل تعرفه؟ تعرف أخلاقه؟ تعرف سننه؟ هل تحبه؟ هل تتبعه؟ هل تدافع عنه؟ هل تعرف صفاته؟ هل قرأت عنه؟ من هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: ها ها لا أدري. فيقول الملك: لا دريت ولا تليت أصلاً أنت منذ أن كنت في الدنيا وأنت ضايع لا تقرأ ولا تتلو ولا تدري همك شهوتك ومالك ومنصبك وكرسيك وملكك وعرشك ، هذا همك أما أمر أخرتك فتحت قدميك. لا دريت ولا تليت. قال عليه الصلاة والسلام: ثم يُضرب بمرزبة ، مطرقة لو ضرب به جبل لدكته ، قال: فيغوص في الأرض سبعين ذراعاً ، قال: فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويقول الله تعالى: قد كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له باب إلى النار ، فيأتيه من سمومها ويسمع عذاب أهلها وصراخهم. ثم يأتيه رجل قبيح الوجه منتن الريح ، لا النظر إليه محتمل ولا رائحته تحتل ، فيقول هذا الرجل المنتن القبيح أبشر بالذي يسوؤك ، الذي يأتيك أعظم مما ترى الآن ، الآن ضربت بمرزبة هذا لا شيء ، الآن ضيق عليك حتى اختلفت أضلاعك هذه ليست شيئاً ، ترى النار وترى مقعدك منها ويأتيك من حرها وريحها وسمومها هذا ليس بشيء. أبشر بالذي يسوؤك! فينظر إليه فإذا قبح في الوجه ومنتن في الريح ، فيقول: من أنت؟ فوجهك يجيء بالشر ، فيقول له الرجل: أنا عمك السيء! والمعنى: أنا عمك القبيح أنا لست غريباً عليك ، هو زناه الذي زناه وقد تحول أمامه ، هو شربه للخمر ، هو أكله لأموال الناس بالباطل ، هو ظلمه للضعفاء إذا استطاع ظلمهم ، هو عقوقه لوالديه ، هو شربه للخمر ، هو نومه عن الصلاة ، هو قتله للناس ، هو حكمه بغير ما أنزل الله ، هو سكوته عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هو كتاباته المحرمة ، هو غيبته ، هو نيمته ، اجتمعت حتى كادت أن تكون جبلاً فصارت رجلاً. قال: أنا عمك الخبيث فلا يزال يجالسه يرى من قبح منظره ومن نتن ريحه ما لا يحتمل ، فيقول: ربي لا تقم الساعة ، يا رب لا تقم الساعة ، يا رب لا تقم الساعة مما ينتظره من العذاب في الآخرة. هذه أحوال الناس في قبورهم ، فلو تكلم الموتى لسمعت منهم أعاجيب).هـ. إذن فالكل الموت وعظة القبر لا ينتهي! ونضم قصيدتنا هذه إلى قصائد سبقت عن المقابر! تم العظة ولتتفع النصيحة ولتعم العبرة! والله من وراء القصد!

القَبْرُ يُنَادِي مَنْ عَقَلُوا وَيُذَكِّرُ قَوْمًا قَدِ غَفَلُوا  
وَيَلُومُ أَنَاسًا كَمِ شَرَدُوا عَنْ دَرَبِ الْحَقِّ ، فَمَا عَدَلُوا  
وَيُعَاتِبُ قَوْمًا كَمِ لَعَبُوا وَانصَاعُوا لِلسُّوءِ ، وَهَزَلُوا  
وَيُوبِّخُ قَوْمًا مَا احْتَرَمُوا دِينَ اللَّهِ ، فَبِئْسَ الْعَمَلُ!  
ويَقُولُ: أَفَيْقُوا ، وَانْتَبَهُوا قَدِ يَأْتِي اللّاهُتِينَ الْأَجَلُ  
لَا تَفْتَنُوا نَفْسَ الْدُنْيَا لَا يُغْرِيكُمْ فِيهَا الْأُمَلُ  
لَا تَخُدَّكُمْ بِزَخَارِفِهَا خَابَتْ إِنْ خُدَعْتُمْ مَنْ عَقَلُوا

كم خدعت من لم ينتبهوا! فبها فتتوا ، وبها اش تغلوا  
 بالوعظ القبر تُتعق بكم وأقام الحجة ، فاعتدلوا  
 وانصاعوا للأمر ، وجذوا طوعاً كى ينصلح الخلل  
 بات القبر لكم مدرسة وبعيرته ضربه المثل  
 فاذا ذكر يا غافل ضمة إن الضمة خطب جال  
 تضغط أضلاعك شديتها وبها تختالف وتنفصل  
 والسنة وصفتها وصفاً لا يدركه الغر الجهل  
 والمجنون وحيداً يلقى هذي الضمة إذ يرتحل  
 يوم يُهال عليه تراب عن هذي الضمة لا حول  
 والملك ان سريعاً أتيا كيف الحل؟ وماذا العمل؟!  
 أنيابهم تحفر قبراً حفرأ رائيه ينهل  
 صوتهما والرعد سواً والنظر البرق المشعل  
 بينهم ايجلس ميتنا مذعوراً يطويه الوجع  
 لهما أسئلة قد علمت لإجابات لا ترتحل  
 يا عبداً ثلاثة أسئلة هل فيها العقل سيعتمل؟  
 أم سيجيب عليها فرحاً؟ هو - للأمر - إذن يمتثل  
 من ربك؟ يا عبداً أجبناً! ما دينك؟ أفصح يا رجل!!  
 ونبي قد أرسل فيكم كان الإيمان؟ أم الميئل؟  
 هل في الموقف هذا تنجو؟ وبمنجاتك هل تحتفل!!  
 ملكان بسؤلك قد وكلا هل تنفع - في السؤل - العلل!!  
 هل تُجدي أعذار مमार في لهجته بان الدغل!!

هل يُرثني الملكان بمال؟ مَالِك - للورثة - مُبْتَدِل!
  
أجَامِلُ مَلِكًا ، والثاني تأخُذُه الشَّفَقَةُ والخَجَل!؟
  
هل يطرح سؤلاً أحدهما ويُجيبُ الثَّانِي يَرْتَجِل!؟
  
هل يأتيك الوحي فتتأوه أجوبه غيبها الكسَل!؟
  
هل تُدرِكُ غِرّاً مُعْجِزَةً كي ينزاح الكربُ العَضِل!؟
  
ما أوهنَ حيلة مَبْتَسِسٍ في القبر تحدّثه النَقْل!
  
لم يحسب - للقبر - حساباً وعلى ذلك عاش الهَمَل!
  
فإذا بـ القبر يُلْقِيه درسا لا تنقصه المُثَل
  
ويؤيخ عبداً لم يَفْطِنَ لِمَآلَاتٍ لا تُحْتَمَل
  
ومصير - في القبر - وشيكٍ ما عُقباه؟ وماذا النَزَل!؟
  
وعذاباتٍ ما أصعبها وبلاءٍ أضناه الثَقَل!
  
وأجابه المقبورُ مُصِيباً كَبِدَ الحَقِّ ، ونعمَ الجَمَل!
  
قال: فتتبت بهذي الدنيا وبها اصطادَ فؤادي الشُّغْل
  
والمال غزا عقلي أبداً ودهنتني - بالمال - الغِيْل
  
والغني سببا كل صوابي واستشري - في القلب - الضلل
  
وحبيتُ بلا أدنى قيم وكأني حقاً مُخْتَبِل
  
وتركتُ صلاتي وزكاتي فغشاني الباطلُ والخطَل
  
وهجرتُ القبرَ أن ملياً فزها الشرُّ ، وراج الزلَل
  
وانصعتُ لأهواءِ شيتي وتحكّم - في العقل - الهبَل
  
وأضعتُ بهزلتي آخرتني وأمامي أزيّنت السُّبُل
  
وشقيقتُ ، وشقيقتُ خاتمتي وطفقتُ أسائل: ما العمل!؟
  
يا قبرُ يرأودني عشيمٌ ويُداعِبُ ذاكرتي أمل

أني سَأَعُودُ إِلَى الدنِيا      وبهذِي العِوْدَة أَبْتَهَلُ  
كِي أَصْلِحَ شَأْنِي وَحِيَاتِي      إِنْ الأَيَّامَ - بِهَـا - نُؤَلِّ  
هَلْ قَبْرٌ ضَاقَ بِمَيَّتِهِ      إِذْ أَلَمَ ضَجَعَتَهُ النُّكَلُ؟!  
فَاحْتَجِّ ، وَأَلْقِ جُثَّتَهُ      وَالرُّوحَ اسْتَقْبَلَهَا الطَّلَلُ  
فاسْتَبْدَلْ بِالسُّوَى الحُسْنَى      نَعَمَ الفِعْلُ! وَنَعَمَ البَدَلُ!  
والتَّقْوَى بِاتَمَّتْ دَيْدَنُهُ      وَبِهِ - فِيهَا - ضُربَ المَثَلُ  
هَلْ يَا قَبْرِي يَحْدُثُ هَذَا؟      أَنْاصِ ارْحَتَكَ ، مَا بِي خَبَلُ!  
وَاحْتَدِ القَبْرَ ، وَقاطِعُهُ!      وَابْتَأَيْتُ - بِالخِزْلِ - الوَسْلُ  
لَا يَرْجِعُ مَقْبُورٌ أَبَدًا      لَيْسَ لَهُ - بِالعِوْدَة - قَبَلُ!  
لَيْسَ يُرَدُّ إِلَى ذِي الدنِيا      مَنْ أَيْقَنَ ذَلِكَ مُخْتَبِلُ!  
وَإِذَا رَجَعَ المَيِّتُ سَيَعَصِي      وَسَيُغْوِيهِ القِوَمُ وَالسَّفَلُ  
كَذِبَ العائِدُ فِي ذِي الدَعْوَى!      هَلْ سَيَرُوجُ الكَذِبُ المَجِلُ؟!  
نَفْسٌ - فِي باطِلِهَا - غَرِقَتْ!      عَدِمَتْ مِغْوَاراً يَنْتَشِلُ  
كَيْفَ تُلَامُ عَلَيَّ مَا ارْتَكَبْتُ؟      لَنْ يُجِدِي لَوَمٌ أَوْ عَزَلُ!  
رُوحٌ كَرَّرَ اللهُ لِقَاهَا      لَمْ تَكُ بِالمَوْلَى تَتَّصِلُ  
يَا رَبَّ الطِّفْلِ ، وَاغْفِرْ ، وَارْحَمْ      قَوْمًا وَفِيقَ الشَّرْعِ عَمَلُوا  
وَاتَّبِعُوا الحَقَّ ، وَمَا وَهَنُوا      وَعَلَى المَوْلَى الحَقِّ اتَّكَلُوا



## المقابر تتكلم! (5) ميّت يطردُ المُعزّين فيه!

عاش محسناً لمن حوله ، وقوبل إحسانه بالإساءة من بعضهم. ووصلت الإساءة إلى حد القطيعة التي دامت عقوداً من الزمان! وحاول الإصلاح وإعادة العلاقات عدة مرات. وباعت كل محاولاته بالفشل. وعجب من قوم قد قصروا زياراتهم له على المناسبات النادرة كالأفراح والجنائز! وحتى إن حضروا هذه المناسبات لا يسلمون عليه ولا يصافحونه ، بل يحضرونها أجساماً دون قلوب أو أرواح أو ضمائر أو عواطف أو أحاسيس! وتوقع بفراسته أن يأتي هؤلاء المتخاذلون الأصاغر ليعزوا أبناءه من بعده ، فقام بتسجيل وصية صوتية هي الأغرّب من نوعها في تاريخ البشرية! في هذه الوصية يسميهم بأعيانهم وأسمائهم ويلومهم لوماً شديداً ويحثهم على الرحيل وتركب موكب العزاء على المقبرة ، وأنه عليهم أن يكملوا مسيرة القطيعة له وهو ميت كما كانت وهو حي! وعهد بهذه الرسالة الصوتية إلى أكبر أبنائه ، وأوصاه بأن يذيعها على الملأ ليُسمع القاصي والداني أنه لا يرحب بهم في مشهد عزائه ويرفض تعزيتهم ومواساتهم لذويه قائلاً: من لم يهتم بي وأنا حي لا حاجة لي به وأنا ميت. اذهبوا أيها الوضعاء المتخاذلون فإنه لا خير فيكم، قاطعتموني عقوداً حتى إذا ما مت جنتم لتعزوا أهلي. اذهبوا عن هذا المشهد فإني وأهلي لا نرحب بكم! إنه لا مكان للغدر والغادرين المخادعين في موكب الجنائز إلا بعد أن يعتبروا بها وبأهلها! قال تعالى: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً) ، قال القاسمي: (لا تنقضوا العهود الجائزة بينكم وبين من عاهدتموهم ، فتخفروها وتغدروا بمن أعطيتموه إياها). وقال الراغب: (ولكون الوفاء سبباً لعامة الصلاح ، والغدر سبباً لعامة الفساد ، عظم الله أمرهما ، وأعاد في عدة مواضع ذكرهما ، فقال: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً) ، وقال: (وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ)! وقال ابن رجب: (ويدخل في العهود التي يجب الوفاء بها ، ويحرم الغدر فيها: جميع عقود المسلمين فيما بينهم ، إذا ترأصوا عليها من المبيعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة التي يجب الوفاء بها ، وكذلك ما يجب الوفاء به لله عزّ وجلّ ممّا يعاهد العبد ربّه عليه من نذر الثبرّ ونحوه). - قال تعالى: (وَأِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) قال ابن كثير: (يقول تعالى لنبيه ، صلوات الله وسلامه عليه وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ قَدْ عَاهَدْتَهُمْ خِيَانَةً أَي: نقضاً لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود ، فانبذ إليهم أي: عهدهم على سواء أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم ، وهم حرب لك ، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء ، أي: تستوي أنت وهم في ذلك). قال تعالى: (وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) ، والمعنى: أي تجعلون أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم موفون بالعهد لمن عاهدتم- خديعةً ، وغروراً ، ليطمئنوا إليكم ، وأنتم مضمرون لهم الغدر ، وترك الوفاء بالعهد ، والنقطة إلى غيرهم ، من أجل أنهم أكثر منهم عدداً وعدداً وأعز نفراً ، بل عليكم بالوفاء بالعهد ، والمحافظة عليها في كل حال).  
أورد صاحب الدرر السنية عن الغدر والغادرين: (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكل غادر لواء يوم القيامة ، يقال: هذه غدرة فلان)! قال ابن بطال: (وهذه مبالغة في العقوبة وشدة الشهرة والفضيحة). وقال النووي: (لكل غادر لواء. أي: علامة يشتهر بها في الناس ؛ لأن موضوع اللواء الشهرة مكان الرئيس علامة له ، وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق الحفلة لغدرة الغادر ؛ لتشهيره بذلك)! (وفي هذا الحديث دليل على أن الغدر من كبائر الذنوب ، لأن فيه هذا الوعيد الشديد). - وعن عبد الله بن عمرو ، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر). قال المناوي: (وإذا عاهد غدر) أي: نقض العهد. وقال العظيم آبادي: (وإذا عاهد غدر) أي: نقض العهد وترك الوفاء بما عاهد عليه. وقال ابن عثيمين: (... (وإذا عاهد غدر) يعني: إذا أعطى عهدًا على أي شيء من الأشياء غدر به ، ونقض العهد ، وهذا يشمل المعاهدة مع الكفار ، والمعاهدة مع المسلم في بعض الأشياء ثم يغدر بذلك. - وفي حديث هرقل الطويل مع أبي سفيان عندما سأله عن النبي: (فهل يغدر؟ قال: لا ، ثم قال هرقل: وسألتك هل يغدر؟ فزعمت أن لا ، وكذلك الرسل لا يغدرون). قال ابن بطال: (قد جاء فضل الوفاء بالعهد ، وذم الختر في غير موضع في الكتاب والسنة ، وإنما أشار البخاري في هذا الحديث إلى سؤال هرقل لأبي سفيان ، هل يغدر؟ إذ كان الغدر عند كلِّ أمة مذمومًا قبيحًا ، وليس هو من صفات رسل الله ، فأراد أن يمتحن بذلك صدق النبي ؛ لأن من غدر ولم يف بعهد لا يجوز أن يكون نبيًّا ؛ لأنَّ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أخبرت عن الله بفضل من وفى بعهد ، وذم من غدر وخرت). - وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حرًّا ثم أكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ، ولم يعط أجره). قال المهلب: قوله: (أعطى بي ثم غدر) يريد: نقض عهدًا عاهده عليه. وقال المناوي: (...ثم غدر) أي: نقض العهد الذي عاهد عليه ؛ لأنَّه جعل الله كفيلاً له فيما لزمه من وفاء ما أعطى ، والكفيل خصم المكفول به للمكفول له). وقال الصنعائي: (فيه دلالة على شدة جرم من ذكر ، وأنه تعالى يخصمهم يوم القيامة نيابة عن ظلموه ، وقوله أعطى بي ، أي: حلف باسمي وعاهد ، أو أعطى الأمان باسمي وبما شرعته من ديني ، وتحريم الغدر والنكث مجمع عليه). - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به). قال ابن بطال: (دلَّ أنَّ الغدر حرام لجميع الناس ، برهم ، وفاجرهم ؛ لأن الغدر ظلم ، وظلم الفاجر حرام كظلم البرِّ التقي. فإن قال قائل: فما وجه موافقة حديث ابن عباس للترجمة؟ قيل: وجه ذلك- والله أعلم- أنَّ محارم الله عهود إلى عباده ، فمن انتهك منها شيئًا لم يف بما عاهد الله عليه ، ومن لم يف فهو من الغادرين ، وأيضًا فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة منَّ على أهلها كلهم ، مؤمنهم ، ومنافقهم ، ومعلوم أنه كان فيهم منافقون ، ثم أخبر صلى الله عليه وسلم ، أنَّ مكة حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وأنَّه لا يحلُّ قتال أحد فيها ، وإذا كان هذا ، فلا يجوز الغدر ببرِّ منهم ولا فاجر ؛ إذ شمل جميعهم أمان النبي وعفوه عنهم). - وعن أبي سعيد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة) ، وفي رواية: (لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة). قال النووي: (وفي هذه الأحاديث بيان غلظ تحريم الغدر ، لاسيما من صاحب الولاية العامة ؛ لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثيرين). إن الغدر والغادرين والمصرين على القطيعة ينبغي أن يراجعوا أنفسهم المريض من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله! فما زالت هناك الفرصة ، بل الفرص أمام التائبين والتائبات!)

مَلَلْتُ عِتَابَ الْغَدْرِ الْجَبَانَ وَمَالِي بِرَدِّ التَّجْنِي يَدَانِ  
لَقَدْ شَرَّقَ الْوَعْدُ مُسْتَنْكَفًا وَغَرِبَتْ كَيْيَ أَتْحَاشِي الطِّعَانَ  
وَحَصَّنْتُ نَفْسِي مِنْ كَيْدِهِ بِتَرْكِ الْجِدَالِ وَهَجْرِ الْمَكَانِ  
فَمَا اتَّعِظَ الْخَبُّ مَنْ فَعَلْتِي وَلَمْ يَسْتَعْ أَنْ يُكْفِ اللِّسَانَ

يميناً لقيت الأُمَـرِينَ مِن غـدورِ خـوونِ خـذولِ جـبان  
فكم لآك عِرضي بِحَبُّـكَ الفِـرَى وأمسى برئياً وغيـرَ مُـدان!  
وكم دسّ عنـي أكاذيبُـة وأطـلقَ - للشـانعات - العـنان!  
وكم شـوّه المُـفـتـري سـمـعـي وبـالغِ فـي الـافـتـرا بـامـتـهـان!  
وكم أجـجَ العِـر نارَ العـدا وأتقنَ - فـي الحـرب - نفـخ الـدخان!  
وكم سـعَرَ النـذلَ حـرباً طغـتْ وأمسـك فـي سـاحـها بالسـنان!  
لماذا؟ وكيف تبيـعُ الإخـا وتـمـعـنُ - فـي بـغـضـنا - يا فلان؟!  
ألم أقسـم الـدارَ تُـؤوي فتـى لـيـنـعـم - فـي أمـهـا - بالأـمان؟!  
ومخـدع نومـك صـمـمـة وزخرفـتْ - بـالود - أحـلى مـكان  
ألم أكُ - فـي الجـود - مسـتـكـثراً؟ ألا اسـألُ ضـمـيرك يا ثـعلبـان!  
لماذا القطيعة أشـهـرتـها حُـسـاماً يُـقـطـعُ أو هـي صـيـان؟  
وكنـتُ تناسيتُ ما قـد مـضـى وما كان منـك قـديماً ، وكمـان  
لنبـداً عهـداً جـديداً الصـووى! ونعـفو عـن الصـل كـاد وخـان!  
وسـاقَ الفـحـيخَ لإرـعابـنا وبـالرغمِ ضـاق - بـه - الفـرقـدان  
ولمـا نخـفُ ، بـل صـمـدنا لـة وكمـان لنا منـه أشـقى امتحـان  
فهل غيـرَ الصـل جـداً ثـوى لـيـصـبـحَ ذا مـكـرمـاتٍ وشـان؟!  
وأرسـلتُ مـن أصـلحوا بيـننا فأعـطيتـهم - فـي اللـقاء - الضـمان  
وأعـطيتُ عهـداً لـمـن صدقوا ونقضـتُك للعهد فـي التـوبـان  
وأسـقـيتني الخـمـلَ مُـسـتـغنياً بـمالـك عـني فبـئس القـرـان  
وغـولـتُ حـيلاً كـمـن قـد قـضى ومـكـرُك بـي - يا غـوي - اسـتـبان  
وأسـلمتُ أمـري لـرب السـما وأشـفقتُ أن أبـتـلى بـافتـان

وكنت اتخذت القرار الذي يُجنبني ذلتي والهوان  
فقد هدمت النذل كُموخ الإخفا وبان الخداع تمام البيان  
ولم يُبق وصلاً ولا ملتقى لأن الوصال شقيق الحنان  
وليس حناناً بقالب جفا ولمّا أهان المروءات بان  
وأسوار إيلافها هُدمت ولم يبق للود أي كيان  
إذا أدرك السرور تهديماً فماذا يُفيدُ بقاء الدهان؟!  
ومرت عموذ على غدركم لعناً للكرامة والصولجان!  
وراهنت يوماً على عودةٍ نرجعُ مجدداً ثوى واستكان  
ولكن رهائي خبا وانزوى فقد كسب الجعظري الرهان  
وميت ومظلمتي لم تموت ستبقى تُهدد كل جبان  
وتشكو السنين العجاف التي سَقتني الأذى والشقا والهوان  
بشؤم جهودك يا ظالمأ بعرضي وحقّي وشأني استهان  
وتأتي الجنازة مُستعبراً وتصحبُ بعضَ الشمامات الحزان  
لماذا أتيت تُعزّي هنيأ؟ وهل أنت منأ؟ أجب يا فلان!  
وكم من جناز شيعتها! فلا اعتبرت بأنك فنان؟!  
ألا ارجعُ وحيداً بلا عودةٍ مجيئك عكراً صفو المكان!  
وعند المليك غداً نلتقي وتلقى جزاءك يا أفعوان!

## المقابر تتكلم! 6 (العفو عند المقبرة!)

(إن تناقض أحوال الناس في الدنيا أمرٌ اعتدناه وألفناه! وهذه عادة ممقوتة استشرثت في الآونة الأخيرة بشدة! وإن كانت في الأصل غابرة حاضرة ، فلقد كبر عليها الصغير وشاب عليها الكبير! ألا وهي أن أكثر الناس يذمون فلاناً بغير حق طبعاً ، بل ويقاطعونه ويكرهونه وهو حي يُرزق! فيهضمون جميع حقوقه معنوية ومادية. ويجهرون بالسوء في حقه ، ويعادونه معادة شديدة. فإذا مات خلعوا عليها ألقاب الصحابة والتابعين وتابعي التابعين! وأحبوه حباً جماً ، وعفوا عنه وسامحوه ، وراحوا يذكرون له مناقب إن بحق أو بغير حق ، ومضوا يبالغون في وصفه بصفات ربما ليست لأبي بكر وعمر ، وكأنه شخصية مختلفة عن التي كانت بينهم مهدرة الحقوق مهضومة الواجبات! ولولا أن النبي - صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله لقلت بأن هذا الميت كان قد عمل كل هذه الصالحات بعد وفاته! حتى إذا جيء بالطعام في مجلس عزائه راحوا يتندرون وينكتون ويطلبون ما لذ وطاب من اللحم والمرق والليمون والأرز والمعكرونة والخبز! ومن بين هؤلاء ربما أصدقاء له كان ينبغي أن تخلع قلوبهم حُزناً على صديقهم ، ولو من الناحية الشكلية والصورية ، كان ينبغي أن تعاف نفوسهم الطعام والشراب حُزناً ووجداً على فقيدهم! فتخيلت أحد الموتى الذين هذا حالهم راح ينكر عليهم هذا التناقض الفج المقيت الصارخ في معاملته ، وأخذ يعتب عليهم كيف انحدروا إلى ذلك النفاق البغيض المريض! فكانت رسالته من قبره لهم أن عفوك عني جاء في غير وقته وكانه! وأنه ليس يقبله منهم مطلقاً لأنه لا خير في عفو لم يكن عند المقدرة بل كان عند المقبرة! وكانت هذه القصيدة ترجمة لكلمات هذا الميت في مشهده العتابي التوبيخي! والحقيقة أن قصائدي عن القبور ومواعظها قد تناولت القبور من عدة زوايا: ففي قصيدتنا الأولى: (المقابر تتكلم 1 - إن هذه تذكرة) تناولنا رحلة الميت منذ ولادته مروراً بطفولته وشبابه ، وانتهاءً بمشييه ورحيله إلى الدار الآخرة! على قافية الباب والبحر العروضي الكامل! وفي قصيدتنا: (المقابر تتكلم 2 - نصيحة لزائري القبور) تناولنا فيها شيئاً من الأدب النبوي الذي ينبغي أن يتحلى به كل من زار القبور من المسلمين! على قافية الرء الساكنة وبحر الرمل! وفي قصيدتنا الثالثة: (المقابر تتكلم 3 - وصية أصحاب القبور) تناولنا وصية يوصينا بها أصحاب القبور ، وذلك بعد أن عاينوا الموت وأهواله والقبر وضمته والسؤال وحيرته! على قافية الرء الساكنة والبحر المتقارب! وفي قصيدتنا: (المقابر تتكلم 4 - حوار بين ميت وقبره) تناولنا حواراً ظريفاً خاطفاً بين أحد الموتى وقبره! وذلك في قالب شعري رامز جداً ، على قافية اللام والبحر المتدارك! وفي قصيدتنا: (المقابر تتكلم 5 - ميت يطرد المعزين) تناولنا حوار أحد الموتى وهو يطرد بعض المعزين فيه من لحاقدين السفلة الذين كانوا يترقبون مماته ليأتوا ليؤدوا مراسيم العزاء التي لم تبع من القلوب ولم يكن الدافع إليها حبه والتعلق به! وبينما أنه لا يرحب بهم في مجلس العزاء! بالعكس إذ كان المجلس خلواً منهم فإن هذا يسعده جداً! على قافية النون الساكنة والبر المتقارب! وفي قصيدتنا: (المقابر تتكلم 6 - العفو عند المقبرة) تناولنا أحد الموتى الذي ابتلي بأقارب أوباش ، وانتسب إلى أهل ليسوا منه وليس منهم في الدين ولا الإيمان ولا القيم! وكانوا قد ادعوا العفو عنه ومسامحته! ولست أدري العفو والمسامحة على ماذا؟! ما هي الجرائم التي ارتكبها في حقهم؟ وما هي المحن التي أنزلها بهم؟! لقد كان الرجل سبباً مباشراً في سعادتهم وسعادة من يعولون ، بينما كانوا هم سبباً في شقائه وشفاء أسرته! ولو سلمنا جدلاً بأنهم أصحاب عفو ومسامحة لتقصير منه في حقهم ، فهل

يكون ذلك منهم في حياته أم بعد مماته؟! والعادة أن يكون العفو عند المقدرة ، وليس عند المقبرة! لقد كان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول: ما أحسن ظواهرك ، إنما الدواهي في بواطنك. وقال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة ، فلما نظر إلى القبور بكى ، ثم أقبل عليّ ، فقال: يا ميمون ، هذه قبور آبائي بني أمية ، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشتهم ، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات ، واستحكم فيهم البلى ، وأصابت الهوام أبدانهم ، ثم بكى. قال الإمام الغزالي رحمه الله: "تفكر أولاً فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفح الصور ، فإنها صيحة واحدة ، تنفجر بها القبور عن الموتى ، فيثورون دفعة واحدة. قال تعالى: (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ). فتفكر في الخلاق ، وذلمهم وانكسارهم ، واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة ، وانتظاراً لما يقضى عليهم من سعادة أو شقاوة ، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم ، متحير كتحيرهم ، بل إن كنت في الدنيا من المترفين ، والأغنياء المتنعمين ، فملوك الأرض في ذلك اليوم أذل أهل الأرض وأصغرهم وأحقرهم ، فتفكر في حالك ، وحال قلبك هنالك. قال بشر الحارث رحمه الله: نعم النزل القبر لمن أطاع الله عز وجل. ويتساءل كثيرون عن الأسباب المنجية من عذاب القبر: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "من أنفعها: أن يجلس الإنسان عندما يريد النوم لله ساعة ، يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله ، فينام على تلك التوبة ، ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ ، ويفعل هذا كل ليلة ، فإن مات من ليلته مات على توبة ، وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل ، مسروراً بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ، ويستدرك ما فاتته. وليس للعبد أنفع من هذه التوبة ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم ، حتى يغلبه النوم ، فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك ، ولا قوة إلا بالله". والحقيقة المرة أن أكثر أصحاب القبور معذبون: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "أكثر أصحاب القبور معذبون ، والفائز منهم قليل ، فظواهر القبور تراب ، وبواطنها حسراتٌ وعذاب ، وظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبيئات ، وفي باطنها الدواهي والبليّات تغلي بالحسرات ، كما تغلي القدور بما فيها ، ويحق لها ، وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيتها. تالله لقد عظمت ، فما تركت لواعظ مقالاً ، ونادت: يا عمار الدنيا لقد أعمرتم داراً موشكة بكم زوالاً ، وخربتم داراً أنتم مسرعون إليها انتقالاً ، عمرتم بيوتاً لغيركم منافعها وسكنها ، خربتم بيوتاً ليس لكم مساكن سواها". والعمل الصالح يعتبر مما يؤنس العبد في قبره: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والعبد إنما يؤنسه في قبره عمله الصالح ، فكأما أكثر من الأعمال الصالحة - كالصلاة والقراءة والذكر والدعاء والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - كان ذلك هو الذي ينفعه في قبره". ونسأل فنقول: ما هو السر في تخصيص البول والغيبة والنميمة بعذاب القبر كما في الحديث؟ قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "وقد ذكر بعضهم السر في تخصيص البول والغيبة والنميمة بعذاب القبر ، وهو أن القبر أول منازل الآخرة ، وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب. والمعاصي التي يعاقب عليها العبد يوم القيامة نوعان: حق الله ، وحق العباد ، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة ، ومن حقوق العباد الدماء. وأما البرزخ فقضى فيه في مقدمات هذين الحق ووسائلهما، فمقدمة الصلاة: الطهارة من الحدث والخبث ، ومقدمة الدماء: النميمة والوقية في الأعراض ، وهما أيسر أنواع الأذى ، فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والمعاقبة عليهما". وهناك

أجساد في التراب , قد أمنت من عذاب الله تعالى , وتنتظر ثوابه عز وجل: قال صفوان بن عمرو: "أنعم الناس أجساداً في التراب قد أمنت العذاب تنتظر الثواب". والعاقل من ينظر إلى قبور غيره فيرى مكانه بين أظهرهم: قال الإمام الغزالي رحمه الله: "البصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم , فيستعد للحوق بهم , ويعلم أنهم لا يبرحون مكانهم ما لم يلحق بهم , وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له كان أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها , لأنهم عرفوا قدر الأعمار , فإنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره , فيتخلص من العذاب , فإنهم عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه , فحسرتهم على ساعة من الحياة , وأنت قادر على تلك الساعة , ثم أنت مضيع لها).هـ. والإنسان في قبره إما في نعيم دائم وإما في عذاب دائم: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والإنسان منذ أن تُفارق روحه بدنه هو إما في نعيم وإما في عذاب , فلا يتأخر النعيم والعذاب عن النفوس إلى حين القيامة العامة , وإن كان كماله حينئذٍ , ولا تبقى النفوس المفارقة لأبدانها خرجة عن النعيم والعذاب ألوفاً من السنين إلى أن تقوم القيامة الكبرى. ولهذا قال المغيرة بن شعبة: أيها الناس! إنكم تقولون: القيامة , القيامة , وإنه من مات فقد قامت قيامته).هـ. وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: برزخ , هو الحاجز بين الشينين , فهو هنا: الحاجز بين الدنيا والآخرة , وفي هذا البرزخ , يتنعم المُطيعون , ويعذب العاصون , من ابتداء موتهم واستقرارهم في قبورهم , إلى يوم يبعثون. أي: فليُعدوا له عُذته , وليأخذوا له أهبتة).هـ. ولا شك في أن الإيمان له أثر كبير في عذاب القبر ونيعمته: قال العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله: الميت يعذب في البرزخ أو ينعم , سواء قُبر أم لم يُقبر , فإن كان من أهل الخير ناله النعيم والفرح والسرور , وإن كان من أهل الشر ناله العذاب والألم والحزن الشديد , ويبقى كذلك كل منهما في هذا البرزخ الذي هو بين الدنيا والآخرة. ويؤمن المؤمنون بأن هذا البرزخ حاجز بين الدنيا والآخرة , وأن الإنسان بعد مفارقاته للدنيا لا تنعدم روحه , أما بدنه فإنه يندم ويفنى , قد تأكله الأرض ويصير تراباً ورفاتاً , وقد يحرق ويذرى ولا يبقى له بقية , ولكن روحه تبقى , وهي التي يكون عليها العذاب والنعيم , ويقدر الله أن يوصل إلى بدنه - ولو كان تراباً - ما يتألم به أو ما يتنعم به. والعبد متى آمن بهذا استعد له , فمتى صدقت بأن هذا القبر إما نعيم , وإما جحيم , حملك ذلك على أن تتأهب بالأعمال الصالحة وبالعقيدة السليمة , حتى تتجو من العذاب , وحتى تسلم منه , وحتى تتظفر بالنعيم الذي هو مقدمة بين يدي نعيم الآخرة! والاضطجاع في القبر من باب الموعدة عمل غير سديد: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: بعض الناس يذهب إلى المقابر , ويضطجع في القبر , يقول: إني أفعل ذلك من باب الموعدة نقول: هذا ليس بسديد , والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل: اضطجعوا في القبور فإنها تُذكّر الآخرة بل قال: (زُوروا القُبُور) , فزيارة القبور يحصل بها من الاتعاض وتذكّر الآخرة ما لا يحصل بهذا , فهذا لا ينبغي فعله والإنسان إذا كان لا ينعظ إلا إذا اضطجع في القبر , فهذا معناه أن قلبه أقسى من الحجر).هـ. وقال رحمه الله: كان بعض الناس فيما سبق يحفرون قبوراً لهم , ومن الناس من أحدثوا في هذه بدعة , وصار كل يخرج يوم إلى هذا القبر الذي حفر ويضطجع فيه , ويزعم أن هذا موعدة وتذكير , ولا شك أن هذا بدعة).هـ. وبدعة أخرى وهي حفر الإنسان لقبوره قبل أن يموت: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (لا يُستحب للرجل أن يحفر قبره قبل أن يموت , فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك هو ولا أحد أصحابه , وأيضاً فإن الله تعالى يقول: (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّأَدًا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ)

والعبد لا يدري أين يموت ، وكم من أعد له قبراً وبنى عليه بناءً ، وقُتِلَ أو مات في بلد آخر ، وإذا كان مقصودُ الرجل الاستعداد للموت فهذا يكون بالعمل الصالح).هـ. هذا ، ولقد صرف الله تعالى أبصار العباد عن مشاهدة ما يحدث للميت في قبره لنلا يتدفنوا: قال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: الميت قد يُشاهد في قبره ، حال المسألة ، لا أثر فيه من إقعاد وغيره ، ولا ضيق في قبره ولا سعة. والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك ، وستره عنهم إبقاء عليهم لنلا يتدفنوا. وتم وجود قبور أجساد أصحابها صحيحة في سنة (276هـ) ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: في هذه السنة انفرج تل بنهر الصلة في أرض البصرة يعرف بتل بني شقيق عن سبعة أقبير في مثل الحوض ، وفيها سبعة أبدان صحيحة أجسادهم وأكفانهم يفوح منها ريح المسك ، أحدهم شاب وله جمة ، وعلى شفته بلل كأنه قد شرب ماء الآن ، وكان عينيه مكحلتان وبه ضربة في خاصرته ، وأراد أحدهم أن يأخذ من شعره شيئاً فإذا هو قوي الشعر كأنه حي فتركوا على حالهم).هـ. وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: قال بعضهم : إذا أردت صورة مصغرة ليوم القيامة فاخرج إلى المقبرة تجد فيها الشريف والوضيع ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير ، كلهم سواء ، كلهم تحت التراب...ما هناك أحد له قصر ، ولا أحد عنده خدم ، ولا أحد عنده شيء ، ولهذا قيل : أول عدل الآخرة القبور ، ومما يدل على ذلك قصة الأعرابي حيث جاء أعرابي إلى بلد فيها حاكم ، فإذا الحاكم قد مات ، فسأل عنه فقالوا : إنه مات ، قال : أين ذهب؟ قالوا: ذهب إلى المقبرة ، فجاء إلى المقبرة يري الأبهة يريد الخدم والحشم ، فلما دخل لم يجد إلا حفار القبور ، قال : أين الحاكم الفلاني؟ قال الحاكم الفلاني هذا ، قال: يا ويله ، ثم قال: وهذا الذي بجواره ما هو؟ قال : هذه امرأة عجوز ناقصة عقل مشهورة في السوق ، وكان قبرها مرشوشاً إذ إنها قد دفنت قريباً ، وقبر الحاكم يابس ، قال : يا ويله هذه تسقى ماء وهذا لا يسقى ماء ، وجلس يتعجب ، فقال له حفار القبور: هذا الأمر كما رأيت...فهذا هو العدل رجل حاكم لا يدخل عليه إلا باستئذان وامرأة ناقصة العقل هما سواء).هـ. وتحت عنوان: (المقابر عظة وعبرة) يقول أستاذنا خالد بن عبد الله الشايع ما نصه بتصرف: (القبر والمقبرة اسمان لهما وَقَع في قلوب الناس ، خصوصاً من اتسم بالغفلة عن أمر الله ، وغرق في الدنيا ؛ لأنه يعلم - كما يعلم كل حي - أن مصيره إلى تلك البقعة التي ليس بها أنيس من الخلق ، ولا داعٍ من الأحياء ، بل هي دار صمتها كلامٌ ، وسكونها حركةٌ ، ونورها ظلامٌ ، أعني في ظاهر الحياة ، أما داخل القبور فحياة برزخية ، فالقبور أشبه ما تكون ببوابات لدار البرزخ يلج من خلالها الموتى. إن المتأمل في هذه الحياة يجد أنها تسير بنظام وتدبير من المولى القدير ، فاشتملت على الخير والشر ، والحلو والمر ، والفتنة والعصمة ، والشهوة والعفة ، ولكلِّ طرقٍ وأساليب ، فما أوجد الله من فتنةٍ للخلق إلا جعل لها عصمة ، وما خلق الله من شهوةٍ إلا جعل لها عفةً تُقابلها ، وجعل هذه الدار متقلبة لا تثبت لأهلها على حال ؛ ليتبين لهم حالها ، وليجدوا منها واعظاً عن الشر وداعياً للخير. إن حديثنا عن المقابر هو حديثٌ عن أحد العواصم التي جعلها الله كالسياط تضرب في ظهور الخلق ؛ ليستقيموا على الحق ، إنها المقابر ، نعم دار الأموات ، دارٌ جعلها الله عبرةً لكل معتبر ، وحثَّ المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم على زيارتها ، وأودع الله فيها عبرةً وعظةً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. إن المقابر مرّت بمراحل بتعاقب الأجيال ؛ ففي الجاهلية لم تكن المقابر تعني لهم شيئاً سوى أنها مدفن للموتى ؛ لتمنع عنهم الروائح الكريهة والمناظر البشعة ؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ، ويقولون: إن القبر هو المنزل الأخير لكل



حي ، فلا يكثرثون به ، ولما جاء الإسلام أوضح للناس الحقيقة التي تكتنفها هذه المقابر ، فبيّن أنها دارٌ يسكن فيها الأموات ، ينتقلون من خلالها لدار البرزخ ، فيعدّبون ويُعَمّون ، على قدر أعمالهم ، ثم يوم القيامة يُبعثون ويُساقون لأرض الحشر ، ويُقضى بينهم ، ثم يصيرون للجنة أو النار ، فالقبر أول منازل الآخرة. إن هذه القبور ممتلئة ظلمة كما هي مظلمة في الخارج ، فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «إن هذه القبور ممتلئة على أهلها ظلمة ، وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم» ، ومن هذا الحديث نستفيد أن دعاء الأحياء ، خصوصاً الصالحين ، ينور على أهل القبور قبورهم ، ومن هذا الحديث نعلم أن الأصل في زيارة المقابر: الدعاء لأهلها ، وأخذ العظة والعبرة من ذلك ، وإن المسلم ليأسف كثيراً عندما يرى بعض الدول وقد انتشرت عندهم بدع عقديّة كثيرة في مقابرهم ، وذلك كدعاء الموتى ، والاستغاثة بهم ، وطلب الحوائج منهم ، وتفريج الكربات ، والتمسح بعثبات القبور ، واعتقاد فضلها ، بل البعض جعلها كالكعبة يطوف بها ، وأعظم من ذلك كالذين يذبحون عندها ، وينذرون لها ، وغير تلك الصور التي يندى لها الجبين ، ويكون التوحيد عندها غريباً! إن السنّة في زيارة القبور أن يذهب الميت إما لقبرٍ معين ، أو للمقبرة كلها ، ويكون ذهابه لأخذ العبرة وتذكّر الآخرة ، والدعاء لأهل القبور ؛ فإنهم بحاجة ماسّة لذلك ، فإذا دخل على المقبرة قال ما ورد ، كما أخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة قالت: ألا أحدثكم عني وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلنا: بلى ، قال: قالت: لما كانت ليأتي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه ، فوضعهما عند رجليه ، وبسط طرف إزاره على فراشه ، فاضطجع ، فلم يلبث إلا ريثماً ظن أن قد رقدت ، فأخذ رداءه رويداً ، وانتعل رويداً ، وفتح الباب فخرج ، ثم أجأفه رويداً ، فجعلت درعي في رأسي ، واختمرت وتقتعت إزاري ، ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع ، فقام فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفت ، فأسرع فأسرعت ، فهورول فهورولت ، فأحضر فأحضرت ، فسبقته ، فدخلت فليس إلا أن اضطجعت ، فدخل فقال: «ما لك يا عائش؟ حشياً رابية!» قالت: قلت: لا شيء ، قال: «لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير». قالت: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته ، قال: «فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟» قلت: نعم ، فلهمني في صدري لهدة أوجعتني ، ثم قال: «أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟» قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله؟ قال: نعم ، قال: «فإن جبريل أتاني حين رأيت ، فناداني فأخفاه منك ، فأجبتة فأخفيتة منك ، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك ، وظننت أن قد رقدت ، فكرهت أن أوقفك ، وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم». قالت: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: قل: «السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون». وكما أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى ، وأبكى من حوله ، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها ، فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها ، فأذن لي ، فزوروا القبور ؛ فإنها تذكّر الموت». ومن هذا الحديث يتبين لنا أصل الزيارة ؛ حيث إن أصلها تذكّر الموت ، ولهذا جاز زيارة قبر المشرك لأخذ العبرة والعظة. غير أن زيارة القبور خاصة بالرجال ، ولا يجوز للنساء زيارة المقابر ؛ لضعفهن ، وللافتتان بهن ، بل ورد الوعيد في ذلك كما أخرج أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله زوّارات القبور» ، وعلى من زار قبراً معيناً أن يدعو له واقفاً ، وإن

جلس فلا بأس ، ويستقبل القبلة أثناء دعائه. ومن أحكام المقابر أن القبور لها حُرمة ، فلا يجوز الجلوس عليها ، ولا الصلاة إليها ؛ كما أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي مرثد قال: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلُّوا إليها». كما لا يجوز تجصيصها ولا إسراجها ، ولا رفعها عن الأرض أكثر من شبر ، فلا يُوضع على القبر ترابٌ أكثر من ترابه الذي أُخرج منه ، ولا يُبنى ولا يُكتب عليه شيء ، كما لا يجوز قضاء الحاجة بين القبور ، ولا المشي بالنعل بينها ، كما أخرج أبو داود في سننه من حديث بشير بن الخصاصية قال: أبصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يمشي بين القبور وعليه سبتيتين (وهما ضربٌ من النعل) فقال له: «يا صاحب السبتيتين! ويحك! ألق سبتيتك». وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال صلى الله عليه وسلم: «لأنَّ يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه ، فتخلص إلى جلده ؛ خيرٌ له من أن يجلس على قبر». لقد انتشر بين الناس هجران المقابر ، فلا يكاد البعض من الناس يدخل المقابر إلا أن يموت أحد أقاربه ، فيضطر للذهاب ، والبعض من الناس تجده يذهب للمقابر لدفن قريب له ، فلا يفجؤك إلا والأحاديث الجانبية والضحكات التي تدل على الغفلة وعلى تبدل الإحساس ، بل ربما تكلموا في البيع والشراء ، وهذا خلاف الهدى النبوي ، وخلاف ما كان عليه سلف الأمة من الصحابة ومن بعدهم ؛ حيث كان للمقابر نصيبٌ في وقتهم ، بل كان بعضهم يمر بالمقابر يومياً. قال الثوري: "عمرو بن قيس هو الذي أدبني ؛ علمني قراءة القرآن والفرائض ، وكنت أطلبه في سوقه ، فإن لم أجده ففي بيته ؛ إما يصلي ، أو يقرأ في المصحف ، كأنه يبادر أمراً يفوته ، فإن لم أجده وجدته في مسجده قاعداً يبكي ، وأجده في المقبرة ينوح على نفسه". هـ. ولقد كان المسلمون الغابرون يخافون من القبور ويعدون أنفسهم لسكنائها ، وذلك بالأعمال الصالحة خوفاً من أهوالها والشقاء الذي ينتظر أصحاب المعاصي فيها! ولقد وقفتُ على الكثير من أخبارهم في ذلك! وعتبتُ جداً على المسلمين الحاضرين المعاصرين وهم لا يكادون يذكرون القبور ، ولا يزورونها اللهم إلا لدفن من ينتسب إليهم أو تربطهم به علاقة منفعة أو مصاهرة! وأبغض الحديث عندهم ما يتعلق بالقبر والموت والآخرة! وتحت عنوان: (موعظة عند قبر) يقول أستاذنا حفيظ بن عجب الدوسري ما نصه بتصريفٍ يسير: (إن القبر هو أول منزل من منازل الآخرة ، روي عن عثمان أنه كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته ، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟! فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن القبر أول منزل من منازل الآخرة". وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما في الحديث المتفق عليه: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغدأة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة". فهل أعدنا لهذا المقعد عملاً صالحاً؟! وهل قمنا بتوبة تقربنا إلى الله؟! هل أمرنا بمعروف؟! هل نهينا عن منكر؟! هل انتصبتنا في عبادة الله وطاعته؟! هل جاهدنا أنفسنا وجاهدنا في سبيله؟! وعذاب القبر ونعيمه مما يجب الإيمان به والاستعداد له: (فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ \* فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ \* وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ \* فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ \* وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكذِّبِينَ الضَّالِّينَ \* فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ \* وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ \* إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ). وهذه الأحوال عند الاحتضار ، إما أن يكون العبد من المقربين، وإما أن يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين ، وإما أن يكون من المكذبين بالحق ، الضالين عن الهدى ، الجاهلين بأمر الله تعالى! إن كان من هؤلاء المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، أي: فلهم روح وريحان ،

وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ، نسأل الله من فضله. وعذاب القبر حق واقع بالجميع ، وما يعافى منه إلا من عافاه الله ، يجب الإيمان به ؛ ولذلك قال تعالى عن آل فرعون: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) ، تعرض أرواحهم على النار صباحًا ومساءً إلى أن تقوم الساعة ، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار. فأين المعدون؟! وأين المجتهدون؟! وأين الجادون؟! وأين أهل التقوى؟! وأين أهل الإخلاص؟! في حديث أسماء بنت أبي بكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ولقد أوحى إليّ أنكم تفتنون في القبور قريبًا أو مثل فتنة المسيح الدجال - لا أدري أي ذلك قالت أسماء - فيوتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟! فأما المؤمن أو الموقن - لا أدري أي ذلك قالت أسماء - فيقول هو محمد ، هو رسول الله جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وأطعنا ، ثلاث مرار ، فيقال له: نم قد كنا نعلم أنك تؤمن به ، فم صالحًا. وأما المنافق أو المرتاب - لا أدري أي ذلك قالت أسماء - فيقول: لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته" ، لا يستطيع أن يقول شيئًا لأنه كان في الدنيا من المرتابين ، من الضالين ، من المعرضين عن منهج رب العالمين. في حديث عائشة أن يهودية دخلت عليها - كما في الصحيحين - فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن عذاب القبر فقال: "نعم ، عذاب القبر حق" ، قالت عائشة: "فما رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك صلى صلاة إلا تعوذ بالله من عذاب القبر". لقد بين الحبيب - صلى الله عليه وسلم - صورة هذا البلاء في القبر وجلاله لذوي العقول والألباب إن كانوا يعقلون ، وفي الحديث يتأملون ، وبأخباره - صلى الله عليه وسلم - يتعظون فيعملون. فعن أنس - رضي الله عنه - أن الحبيب - صلى الله عليه وسلم - قال: "العبد إذا وضع في قبره ، وتولى وأذهب أصحابه ، حتى إنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد - صلى الله عليه وسلم -؟! فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار ؛ أبدلك الله به مقعدًا من الجنة ، فيراها جميعًا. وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس! فيقال: لا دريت ولا تليت! ثم يُضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه ، إلا الثقلين". لقد خرجنا من المقابر وتركنا صالحًا ، نراه صالحًا ممن نشهد له بخير ولا نزكي على الله أحدًا ، وشاهده أن هذه الجموع الغفيرة صلت عليه ، رحمه الله وتقبله مع الشهداء. نحن قدمنا صالحًا ، نرى ذلك منه ، ولا ندري ، أيسلّى علينا بهذا العدد أم لا يُصلى؟! وهل تقبل أعمالنا أم لا تقبل؟! وهل نثبت أم لا نثبت؟! عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) ، يقال له: من ربك؟! فيقول: ربي الله ، ونبيي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، فذلك قوله - عز وجل -: (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ). لقد شرع النبي - صلى الله عليه وسلم - للأمة أن يستغفروا للميت ويسألوا له الثبات ، فعن ابن عفان أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: "اسْتَغْفِرُوا لِأَحْيِكُمْ ، وَسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ". يُسأل ، وهو يحتاج إلى استغفاركم وأن تسألوا الله له التثبيت ، نسأل الله أن يثبت أخانا ونستغفر الله له ، نسأل الله أن يثبته ، وأن يرحمه وأن يغفر له. كان حبيبنا - صلى الله عليه وسلم - يكثر الاستعاذة من عذاب القبر ، وقد أمر بذلك أصحابه - عليه الصلاة والسلام - ، فعن أبي سعيد الخدري أن حبيبنا - صلى الله عليه وسلم - قال: "إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُثَبَّلَى فِي قُبُورِهَا ،

فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا ، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ". قال زيد: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ: "تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ". قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، فَقَالَ: "تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ" ، قَالُوا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. عن عائشة - رضي الله عنها - أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: "إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً ، وَلَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا نَجَا مِنْهَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ". رضي الله عن سعد بن معاذ. فهل ننجو نحن من الضغطة؟! والله لن ننجو منها! ولن ننجو إلا بأن نعمل الصالحات ، وكل تقع له هذه الضغطة ، وشتان بين الصالحين والظالمين! بين المقربين وبين أصحاب اليمين وبين الضالين المكذبين! يا قوم: تصوروا أنفسكم وقد حُملت على أكتاف الرجال ووضعت في هذه الحفرة الضيقة المظلمة التي لا أنيس فيها ولا جليس ولا مال ولا ولد ، وأصبح القبر مسكنكم ، والتراب فراشكم ، والدود أنيسكم ؛ في ذلك الموقع وفي ذلك الموضع لا تنفع الأموال ولا المناصب ولا الشهادات ، الرؤساء والملوك والكبراء والخلفاء والصغار والكبار كلهم يدخلون هذا القبر: (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ). وإذن فلا بد من الإيمان ، ولا بد من العمل الصالح ، فأولئك لهم جزاء الضعف ؛ بماذا يا ربنا؟! بما عملوا من صالح الأعمال ومن الطاعات ، ومن المسابقة في الخيرات: (لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ). يتبع الميت - كما أخبر الحبيب صلى الله عليه وسلم في الصحيح -: "يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله". ماذا ينفك؟! الأهل؟! وماذا ينفك؟! المال؟! لا ينفك إلا العمل الصالح الذي عملته في هذه الدنيا. نبني لخراب الدار ، نبني لزوالها ، والموت يطلبنا ، وما دام الموت في أثرنا فإنه يكفي من الحياة ما يبلغنا المقييل ، إنها ظل مقييل زائل ، يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله ، وقد دفننا صاحبنا اليوم وصلينا عليه واستغفرنا له - رحمه الله - ورجعنا ، وها هم أهله قد رجعوا معنا ، وماله صار بعده لورثته ، ولكن عمله معه! إننا ينبغي أن نتدارك أنفسنا ، وأن نبادر بالتوبة النصوح ، وأن نلزم أنفسنا بالطاعات والتقوى ، وأن نكون على استعداد للقاء ربنا - جل وعلا - ، وأن نسعى بالصالحات في ليلنا ونهارنا. لو قيل لأحد الناس: إنك تموت غدًا ، فإنه سيفعل كل عمل صالح في يومه وليلته لعله أن يتدارك نفسه ، وما دام الموت يأتي بغتة فلماذا لا نكثر من الأعمال الصالحة؟! ولماذا لا نتسابق في الخيرات وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟! لماذا لا نبادر إلى الطاعات؟! لماذا لا نكون أسبق الناس في الخيرات؟! إننا في زمن انتكس فيه كثير من الناس عن الهدى إلا من رحم الله ، فأين الذين يأخذون الكتاب بقوة؟! وأين الذين ينتصرون لهذا الدين؟! وأين الذين يعملون العمل الصالح الحق؟! وأين الذين يقومون آتاء الليل وأطراف النهار؟! وأين الذين يتسابقون إلى كل خير؟! أين هم؟! إنهم قليل ، نسأل الله أن نكون منهم! "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم". نسأل الله أن نكون منهم. وفي زماننا أصبح الناس يموتون على فرشهم ، فما نامت أعين الجبناء! وإخواننا المسلمون في كل مكان يضطهدون ويسجنون ويعذبون ويقتلون ، ونحن لا نتنصر حتى بالكلام والدعاء ، ونضن عليهم بأموالنا بعد أن ضننا بأنفسنا ، والموت سيأتينا. ألا إن الذين يستشهدون هم خير أهل الأرض - نحسبهم والله حسبيهم - في ذا الزمان ، وهم الذين يسلمون من عذاب القبر ، نسأل الله أن يسلمنا وإياكم من عذاب القبر. إن من يعمل الصالحات ينج ، ومن يستقم على الطريقة ينج ، ومن يسارع ويسابق بالخير ينج ، فسابقوا وسارعوا إلى

جنة عرضها السماوات والأرض ، أعدت لمن؟! أعدت لأولياء الله الصالحين ، للمتقين ، للمجاهدين ، للمحسنين ، لأولياء الله الصابرين من المؤمنين والمؤمنات. بادروا وسابقوا وتسابقوا إلى الخير ، وأعدوا لهذا المصراع واستعدوا ، أسأل الله أن يختم لنا وإياكم بالخاتمة الحسنة ، وأن يجعلنا من الصالحين. "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء" ، هكذا علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وعلمنا أصحابه. يقول الحبيب لأصحابه: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" ، وبماذا يفسرها صاحب النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء". فهل نحن على هذا؟! لقد قيل لصاحب النبي - صلى الله عليه وسلم - علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : يا أمير المؤمنين: لو أنك تُخبر أنك تموت غداً ؛ ما تفعل؟! قال: "والله! لا أزيد على ما أعمل شيئاً". أفنحن هكذا؟! فورب الكعبة لسنا هكذا! نسأل الله أن نكون ممن ختم لهم بخير ، وأن يسبق علينا الكتاب بالخاتمة الحسنة). هـ. إن أسلافنا الكرام كانوا يكثرون من ذكر القبور والبلا ، ويشفقون على أنفسهم من ذكر الموت! وكان هذا دافعاً لهم للإكثار من الصالحات! إن عبداً لا يهزه القبر ولا يرجه الموت لقاسي القلب لا خير فيه! وينبغي أن يراجع إيمانه وتوحيده وعقيدته! وتحت عنوان: (من أقوال السلف عن عالم القبور وأحوال أهلها) يقول أستاذنا فهد بن عبد العزيز بن عبد الله الشويرخ ما نصه بتصريف كبير: (القبور ظاهرها تراب ، وهي في الحقيقة إما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار. فما هي حال المشيعين للموتى إلى تلك القبور؟ يقول الإمام الغزالي رحمه الله: " اعلم أن الجنائز عبرة للبصير ، وفيها تنبيه وتذكير ، قال أسيد بن حضير: ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به ، وما هو صائر إليه. وقال الأعمش: كنا نشهد الجنائز ، فلا ندري من نعزي لحزن الجميع. هكذا كان خوفهم عند الموت ، والآن لا ننظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلب بكثرة المعاصي والذنوب حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر ، والأهوال التي بين أيدينا ، فصرنا نلهو ، ونغفل ، ونشتغل بما لا يعنينا ، فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة ، فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز. بكاؤهم على الميت ، ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم ، لا على الميت." كم في القبور من مواعظ وعبر ، لو كانت القلوب حية ، نسأل الله الكريم الرحيم أن يوظف قلوبنا من غفلتها. والعمل الصالح مهاد الإنسان في قبره: قال الله سبحانه وتعالى: (مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ). قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: قال بعض السلف: في القبر ، يعني: أن العمل الصالح يكون مهاداً لصاحبه في القبر ، حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهاد ، بل كل عاملٍ يفتersh عمله ويتوسده من خيرٍ أو شرٍ. ولقد يكشف لبعض الناس عن عذاب القبر: قال العلامة العثيمين رحمه الله: عذاب القبر ثابت بالقرآن ، والسنة ، والحس ، أدلة الحس: أنه قد يكشف لبعض الناس عن عذاب القبر وأسأل الذين يكونون ليلاً عند المقابر تسمع عنهم ما يُعجَبُ فأحياناً يسمعون صياحاً عظيماً وإفطاعاً وأهواً مما يدلُّ على ثبوت عذاب القبر. وعذاب القبر عذاب دائم ، وعذاب منقطع: قال العلامة ابن القيم رحمه الله: عذاب القبر نوعان: نوع دائم ، سوى ما ورد في بعض الحديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين ، فإذا قاموا من قبورهم قالوا: (يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا). ويدل على دوامه قوله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا). ويدلُّ عليه ما تقدم في حديث سمرة الذي رواه البخاري في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وفيه:

(فهو يفعل به بذلك إلى يوم القيامة). والنوع الثاني: إلى مدة , ثم ينقطع , وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم , فيعذب بحسب جُرمه , ثم يخفّف عنه , كما يعذب في النار مدة , ثم يزول عنه العذاب. وقد ينقطع عنه العذاب بدعاءٍ أو صدقةٍ أو استغفار , أو ثواب حج. قال العلامة صالح بن فوزان الفوزان: عذاب القبر على نوعين: النوع الأول: عذاب دائم وهو عذاب الكافر كما قال تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا). والثاني يكون إلى مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة من المؤمنين فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه وقد ينقطع عنه العذاب بسبب دعاء أو صدقة أو استغفار. ومن قيل له في قبره: نَمَّ صالِحاً , فهذا حاله أحسن من الدنيا بألف مرة: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: (أبدله داراً خيراً من داره). الدار الذي سينتقل إليها أول ما ينتقل من الدنيا هي القبر ؛ لكن هل يمكن أن تكون خيراً من داره؟ والجواب: نعم ، ولولا ذلك ما دعا الرسول بها ؛ إذ إن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدعو بأمر محال ، والقبر يكون خيراً من الدنيا إذا فُسِحَ للإنسان مد بصره ، وقيل له: نم صالحاً ، وفتح له باب الجنة ، أتاه من روحها ونعيمها ، وفرش له من الجنة ، فمن كانت هذه حاله ، فوالله إنها أحسن من الدنيا بألف مرة ، بل ولا ينسب). هـ. وختاماً فالقبور فيها مواظ وعير لأصحاب القلوب الحية ، فهذا ثالث الخلفاء الراشدين ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، كان إذا وقف على قبر يبكي ، حتى يبيل لحيته ، فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي ، وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه ، فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه ، فما بعده أشد منه). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما رأيت منظرأ قط إلا والقبر أظع منه). [أخرجه الترمذي وابن ماجه ، وحسنه العلامة الألباني]. هـ. إن هذه القصيدة تتناول في حقيقتها موضوعاً شاع في كثير من الأسر اليوم ، وأخذ شكل الظاهرة التي هي بحاجة ماسة إلى علاج! ومن هنا حاولت جاهداً أن أبين هذا الموقف المخزي لكثير من الأقارب الأختة الراذل الذين لا يرتفعون بالقرابة عن المنفعة الخسيسة! ولا تعرف قلوبهم التضحيات ولا المروآت ولا الإخلاص ولا البذل! ولا تدرك عقولهم مبدأ الحياد الإيجابي ولا التعايش السلمي لتعامل بالمعروف! ولا يعرفون مطلقاً مبدأ التنازل عن الحق الشخصي من أجل الحق العام! ومن هنا تقع المسؤولية الكبرى على الأبوين الذين يشيطانان ابناً لهم كشفت الأيام أنه كان أبر الناس بهم! ولما شيطنوه راحوا يقتصون الفرص ويضخمون أخطاهه ، ليثبتوا أحقيتهم في شيطنته! فيمقته إخوانه وأخواته ويصبح عدواً! ويتنكر بعض إخوته الصغار ليأخذوا مكانه ، كأنه قد مات ولحق بالرفيق الأعلى ، ويسطون على ممتلكاته كأنه قد مات وهم له ورثة! ويتزلفون عند الأبوين لنيل ما ادخره الأبوان لهذا الابن من الحنان والاحترام والمال بوصفه الابن الأكبر! ويحاول هذا الابن الأكبر المسكين التقرب لهم بكل ما يستطيع ، في محاولة منه لإزالة شيطنة الأبوين له عند إخوته! ويكون أحياناً خسيساً ندلاً وضيعاً من يستغل خلاف أبويه مع أخيه الأكبر ليشارك في الجريمة التي هي شيطنة أخيه الأكبر ليأخذ مكانه عندهما! فبدلاً من أن يصلح ويزيل الغمة بين الأبوين وبنهما الذي هو أخوه الأكبر ، راح يوسع الهوة ، ويزيد من الفجوة ، ويغذي الشقوة ، لتقع الكبوة لينتفع الخسيس الوضع النذل! ثم تكشف الأيام مروءة الأول ونذالة الثاني! ويعيد الكرة في الإصلاح الابن الأكبر الذي شيطنوه فيعمد إلى أن يصلح متنازلاً عن كثير من حقوقه ، ولكن هيهات هيهات! كيف له ذلك والموج أكبر منه ، والحب لا يشتري بالمال! والنخوة والمروءة والنجدة كلها أشياء لا تشتري بالمال!

إنما هي مخلوقة في الإنسان وتولد معه ولا يمكن لها أن تفارق صاحبها مهما كان! وقرأنا في كتب الأدب العربي والغربي عن أناس عندهم مروعة ومعايير إنسانية سامية! وإن كان بعضهم من عبدة الأصنام وطوائف الكفر المعروفة وغير المعروفة! إن الأخلاق والمعايير الإنسانية لا دين لها ، ولا زمن ، ولا مكان ، ولا قوم! فتصدر من أي قوم ، في أي زمان ، وفي أي مكان!

رأوني غداة الروع لستُ بمجرم وماجاوزتُ نفسي حدودَ التآثم  
رأوني ملاكاً طاهراً ومطهراً بأخلاق صديق وترجيح مُخرم  
ودارتُ رحي الإطراء والمدح والثنا بتحبير مفتون وتدشيين مُغرم  
كأنِّي لم أخطئ ، وما كنتُ مُذنباً وبالسوء لم أجهز ، ولم أتكلم  
رأني بريئاً كل خب مغالطٍ فهل كان عمّا قاله اليومَ بالعمي؟!  
وكم كال أوصافاً نكرتُ بريقها وغالى بلا حدٍ بلفظٍ مُنعم!  
وبالغ أقوامٍ ، فلم يتورعوا ومازلتُ أعلو في رؤاهم وأستمي  
فمن قائل: هذا أصيلٌ مُكرمٌ وكان يراني قبل غير مُكرم!  
ومن قائل: هذا صاحبي عصرنا فهل كنتُ حقاً للصحابة أنتمي؟!  
ومن قائل: هذا حكيمٌ مؤدبٌ وأعدتُ مسوول ، وخيرُ مُحكم  
ومن قائل: هذا فريدُ زمانه فليس له في عالم الإنس من سمي!  
ومن قائل: هذا تقويٌ وديينٌ ونفديته بالأموال والنفس والدم  
ومن قائل: هذا خطيبٌ مفاوة فأكرمُ به من نابغ متكلم!  
ومن قائل: هذا المبجلُ خيرُنا له في قلوب الكل حبٌ مُتيم  
ومن قائل: كم كان يعطي تفضلاً ويبذل ماء الوجه طوعاً لمُعدم  
ومن قائل: كم كان ينفق ماله يريد النجا من حر نار جهنم  
ومن قائل: كم كان ينصح من غفا بقول لطيفٍ من سنا الذكر مُحكم  
ومن قائل: كم كان يفتح داره لمن حل ضيفاً أو طريداً ليحتمي  
ومن قائل: كم عاش شهماً معززاً وأنى نرى من مثل هذا بأشهم

ومن قائل: كم صدّ غُدوانَ مُفتر وأودى بفضّ مقرف الطبع مُجرم!  
 ومن قائل: كم بلغ الحق واضحاً بأقوى دليل ليس قط بمبهم!  
 ومن قائل: ما غيرتُه مواقفَ بل كان يبيلوها بدون تجهّم  
 ومن قائل: لم يعرفِ الكِبَرِ قابُةً ويلقى مَراراتِ القضا بتخلم  
 ومن قائل: عَف السجايا موحّدٌ وأكرمُ به من طيب السمّت مُسلم!  
 رأوني بعد الموت أسأهل الرضا ولستُ الذي كم خصّ فوه بعلقم  
 فقلتُ: هـ دادايكم ، وردوا تسأولي بمنطق أفذاذٍ بدون توهم  
 ألم تقطعوا وصلي بدون مبرر؟ فأبسن بجمع عن سنا الوصل مُحجم  
 ألم تهدموا داراً بمالي ابتنيتهَا؟ ودمعي جرى يأسى لبيتٍ مهّدم  
 ألم تسرقوا أرضاً بأحقر حياةٍ بعقدٍ بحبر الزيف عمداً مُرقم  
 ألم تنهبوا مالي بغير جريرةٍ ولما يكن للغاصبين بمغنم؟!  
 ألم تسلبوا الأسفار كانت أمانة كأن ليس في دين الهدى بمحرّم!  
 ألم تجرحوني بالتجني تشفياً بلفظٍ فظيع من لظى الكيد مؤلم؟!  
 ألم تشمتموا لما دهنتني مصائبي؟! فهل هذه السواى تليقُ بمسلم؟!  
 أما حكتمُ البهتان عني تطاولاً وصوبتمُ نحوي به شر أسهم؟!  
 تناقضكم يُزري بغر أماجيدٍ ولا تستوي الأعنابُ قيستُ بخصرم  
 وحاولتُ جهدي أن أغير طبعكم وما كان لي من مارب أو مزعم  
 سوى أن أراكم في البرايا أعزة وخابت ظنوني والحجا باللظى رُمي  
 وأنذرتكم: عُقبى التدني فظيعة ولما أكن في الوعظ بالمتوهم  
 ألم تجعلوا مني مثلاً لسُخفكم وكلتم عذاباتي بكل تبرم؟!  
 وأهدرتُم حقي ، وشهدتم كآبتي فعانيتُ من عيش مريّر وخلكم  
 وجرّعتوني الشيح قسراً بلا حيا ولم تقدروا قدري بكل تجهّم!



ولو تم صيأتي وعرضي وسُـمعتي فهل كنتُ فيكم يا غثا كابين مُلجم؟!  
 فلا أنتم مني ، ولا أنا منكم لقد بعتم ودي بأبخس درهم  
 فهيا اغربوا عني ، فقلبي قلاكُم ومن ينتسب للبهت ينصب ويندم!  
 ولا تشتملوا قبيري بأي زيارة سيفضحكم قبيري قلبيس بأبكم  
 أنا لم أكن شيطان قومي لتعتدوا أما ضيف لاسمي بينكم لفظ مُلهم؟!  
 وما عشتُ فيكم دون أدنى كرامةٍ لتدحض أخلاقي أباطيل لوم  
 ولا كنتُ نذلاً أسـتهين بعثرتي ولم أتناول عيب قومي بمرقمي  
 وما كنتُ هتاكاً لحرمة خلتني وعشتُ ألقى خذلها بالتبسـم  
 فهل كنتُ أستجدي الرضا متحملاً بلاء أناس - في العزائم - قوم؟!  
 رموني بما هم أهلُه من رذائل ولما يكن أمرى عليهم بمبهم  
 وهنتُ عليهم ، ثم هانت شرافتي وكنتُ على هجرانهم غير مرغم  
 ولكنني ناولتهم ما توسموا من البعد ، إذ فيه انطلاقي وبلسمي  
 وإذ مت قد أصبحتُ بدرأ بليلهم وأمسيتُ بين الناس غير مُذمم  
 وقد أصدروا عفواً يُعري انحطاطهم وإن انحطاط المرء يُزري بمغامم  
 وأجمل بعفو يُجتني بعد قدرة! فمقدرة المغوار تسـموبقـيم  
 وماذا يُفيد العفو إذ شرف الردى وجاد به الأوغاد في ساح ماتم؟!  
 وما العفو إن كان العداً مُبيتاً ولا يُظهر المظالم أي تظلم؟!  
 ومن قال: إن الود يصفو بعفوكم؟! ندمتم ، ولكن لات ساعة مندم!  
 وما عفوكم ، والعبد أدخل قبره؟! ألا نبوننا يادعاة التفهم!  
 ألا إنني لا أقبل اليوم وذكـم وإن ادعاء الصـفح يُنبـي بمأزم  
 كفاني هواناً أن شهدتم جنازتي وكنتم بها عبئاً يزيدُ تألمي!

ولو لم أكن ميّتاً ، لكنّ طردتكم وبالغثُ في زجري ، ولم أتلوم  
لماذا أتيتم تُزعجون جنّازتي ومالي بها حام ، ومالي بها كمي!  
يذودُ عن المجنوز ، يحمي صيانه ويُزري بدهقان خذول غشمشَم  
يُنْفذ ما أوصى ، ويرعى ذمّاره رعايةً فذِي يزدرى كل أيهم  
ومَن عابني حياً ، وأزرى بهمتي وصوّبَ نحوِي في التلاحي بأسهم  
ولمّا يَصُن وُدّي ويأسى لنكبتِي ويرثى لفقْداني ، ويهفو لمقْدمي  
فعن أي شيء عفوهِ اليوم يا تُرى وخذلانهُ بادٍ ، وليس بطلسم؟!  
حرامٌ عليه اليوم أن يُشهرَ الوفا لأن شحيحَ النفس عن بذله عمي  
أثم إذا متت احترمتم أخوتي وعزيتم أهلي بقول مُنمّنم؟!  
وكَلِمتم أماديحي ، وذَعمتم مناقبي بترجيح إنشادٍ وسجّع مفخّم؟!  
كأنّي بكم أدركتموها مؤخراً وجئتم بنص مستتبين منظم  
عجيبٌ يأتي العز والفخر ميّت يُعرف بين العالمين كضايغم؟!  
أوقرتم المسكينَ بعد رحيله أوقفتم التجريح كي تحقنوا دمي؟!  
أهداكم الجسم المسجى مواعظاً فأبديتم الإطراء بعد التندم؟!  
أبكاكم النعش استكانت جباله وأخفى دموع الزيف بعض التكم؟!  
أحزاكم عطراً كفيين مُمددٌ ففأبت فلوبّ من ضلال مُخيم؟!  
أغراكم نومي وحيداً مُجنّداً؟! فعمّا قريب أنتم شرّ نوم!  
لقائي بكم عند المليك ، فأبشروا ورب السما في الحُكم ليس له سمي!

## المقابر تتكلم! 7 – الإسراف في البناء

(لقد أسرف كثير من الناس في تصميم المقابر والمبالغة في تزيينها وزخرفتها وإنارتها ، حتى وصلت تكلفة القبر الواحد 300 ألف جنيه ، على حد ما ذكر لي من أثق في كلامه وتقوم الحجة بقوله! وفي زيارة لي للمقابر ، حاولت أن أستوثق من مدى مصداقية هذا الكلام ، فرأيت عجباً. فوالله لقد رأيت مقابر لا تختلف كثيراً عن بيوت الأحياء ، إلا أن تُمدد لها خطوط الكهرباء والماء والإنترنت والغاز! فتساءلت: لماذا الأعمدة والسقف الخرساني والرخام والسيراميك والقيشاني والفسيفساء المنحوتة والمعدنية والمدهونة ، ناهيك عن المشربيات والفسقيات والبوابات والأسوار والأبواب والنوافذ؟! هل الموتى يستفيدون من هذه الأشياء؟ هل تُفيدهم الفُرش والورود والزهور والخوص والريحان والياسمين والفل والثمار والأشجار والزرع المختلفة؟ ثم من أمر الناس بالبناء على القبور بهذا الشكل المكلف الذي يصرف من ينظر إليه عن تذكر الآخرة ولو للحظة؟! ومن أمرهم بتشييد المقامات والمساجد على القبور؟ ومن أمرهم بتجسيص القبور وزخرفتها وتزيينها وإنارتها بالمصابيح الكهربائية؟ ومن أمرهم أو أجاز لهم أن ينقشوا المعلقات والمدائح والقصائد على بعض القبور؟ ومن أمرهم أو أجاز لهم كتابة قصة حياة الميت ومناقبه وإنجازاته على قبره؟ ومن أمرهم أو أجاز لهم كتابة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحكم الندية والمقطوعات الشعرية والعبارات المسجوعة البهية تلك على القبور؟! بل ينبغي أن تُمحي هذه الأشياء وتُطمس! ويجب عدم الإسراف في القبور بهذه الصور المزرية المخالفة للكتاب والسنة. ألا إن الأحياء أولى بهذه التكاليف يا قوم! وعبر زيارتي للقبور أحسست بها تتكلم بلسان حالها وتقول لي عاتبة: أليس الأحياء بهذه الفخامة والأبهة والرخام والجرانيت والفسيفساء والدهانات والقيشاني والسيراميك والخرسانات والمصابيح الكهربائية والزرع والثمار وأشجار الفاكهة كالتوت والرمان والتين؟ فقلت لها: صدقت أيتها المقابر. فلقد مررتُ بمئات المقابر ، فلو افترضنا أن كل قبر كانت تكلفته مائة ألف جنيه: (أرضاً وبناءً وزينة ورسومات وكتابة وزخرفة) فنحن نتكلم عن ملايين أنفقت على المقابر! بدون أدنى داع ولا فائدة. ألم يكن التصديق عن هؤلاء الموتى أولى؟ وقبل أن نبرح ساحة المقابر نشير إلى بدعة المآتم واستنجار قارئ ليقراً القرآن بعشرات الآلاف من الجنيهات ، ولربما بمئاتها! ناهيك عن أن هناك بعض المقامات المبنية على القبور ، وهذه تتكلف أكثر من هذا ، وتستقبل النور عندها ، ويُدعى موتاه من دون الله تعالى! وصدق حافظ إبراهيم عندما قال:

أحيأوننا لا يرزقون بديرهم      وبألف ألف تُرزق الأموات

من لي بحظ النائمين بحفرة      قامت على أحجارها الصلوات

يسعى الأنام لها ويجري حولها      بحر النذور وتقرأ الآيات

ويقال هذا القطب باب المصطفى      وسيأله تفضي بها الحاجات

وأرى أن الأمر يحتاج لإيضاح وتفصيل شرعي مستفيض ، قبل أن نخوض في التفصيل الشعري المستفيض! جاء في إسلام ويب حول مسألة بناء القبور والتأنيق المفرط فيه ما نصه: (إن الذي جرى عليه عمل المسلمين في الأزمنة المتقدمة ، أن تكون المقبرة وقفاً على جميع المسلمين ، ومن مات منهم دُفن في تلك الأرض الموقوفة ، لا فرق بين غني وفقير أو قبيلة

وأخرى ، ولم يكن من سنة المسلمين الأوائل أن يجعلوا لكل أسرة مقبرة خاصة يدفن فيها أفراد العائلة ، وهذا يؤدي إلى أن كل مقبرة تبني بناء مستقلاً عن الأخرى حتى لا تختلط قبور العوائل والعشائر ، وهذا لا شك أن فيه مفاصد كثيرة. فمن هذه المفاصد البناء على المقابر ، ومنها التباهي والتفاخر في بنائها ، ومنها الكتابة على القبور: "هذا مدفن أو قبر عائلة فلان بن فلان" ، ومنها ما يفعله بعض الجهلة من بناء غرفة للاستقبال بجوار المقبرة ، يجلس فيها أهل الميت بالساعات وربما بالأيام! يتجادبون أطراف الحديث يظنون بجهلهم أن ذلك يؤنس الميت ، ولا شك أن كل ذلك من المنكرات التي لم ترد في شرع الله ، ويجب على العلماء إنكار ذلك حتى لا يكون ذريعة لوقوع الناس في المحاذير الشرعية ، ومن اضطر إلى شراء مقبرة له ولأسرته كمن كان في دولة تلجئ الناس إلى ذلك فلا حرج عليه حينئذ. وهل يبني حول مقبرته سوراً لحمايتها من الاعتداء أو نحو ذلك؟ الذي يظهر أنه لا حرج في ذلك ، بحيث لا يزيد في البناء على قدر الحاجة ، ومن الزيادة على قدر الحاجة تسقيف المقبرة أو رفع السور فوق الحد الذي به يحمي من الاعتداء ، وننبه إلى أن الأصل في القبور حرمة البناء عليها ، لما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبني عليه. وروى مسلم في صحيحه أن ثمامة بن شقي قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفي صاحب لنا ، فأمر فضالة بقبره فسوي ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها. وروى عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته. رواه مسلم. قال الإمام الشوكاني يرحمه الله: وفي هذا أعظم دلالة على أن تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة على القدر المشروع واجبة متحتمة ، فمن إشراف القبور أن يرفع سُمكها أو يجعل عليها القباب أو المساجد ، فإن ذلك من المنهي عنه بلا شك ولا شبهة ، ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم بعث لهدمها أمير المؤمنين علياً ثم أمير المؤمنين بعث لهدمها أبا الهياج الأسدي في أيام خلافته. انتهى. فلا يجوز البناء على القبور إلا لضرورة. وأما صفة اللحد وعمقه ، فإنه يكون بقدر ما يمنع السيول أن تجرف الميت ، ويمنع السباع من نبشه والوصول إليه. ويستحب أن يكون عميقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: احفروا وأوسعوا وأحسنوا. رواه الترمذي وقال حسن صحيح ، والنسائي ولفظه: احفروا وأعمقوا وأحسنوا. هذا ولا حرج أن تكون قبور النساء بجانب قبور الرجال. فما زالت مقابر المسلمين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم مختلطة رجالاً ونساءً بلا تكبير ، وعليه فليس هناك ما يدعو إلى تقسيم المقبرة إلى نصفين. بل يدفن الرجل بجوار المرأة ولكن لا يجمعان في قبر واحد إلا لضرورة. وللأسف في بعض البلاد توجد مشاريع لبناء مقابر ، حيث تكون المقبرة بمساحة تقريباً 20 متراً مربعاً ، وتشمل سوراً خارجياً حول هذه المساحة ، بارتفاع حوالي 2.5 متر ، وباب حديد لهذا السور ، وعند الدخول من الباب ، يوجد بلاط يغطي تقريباً كامل المساحة تلك ، ما عدا سلم ينزل لأسفل تحت مستوى الأرض ، حيث توجد غرفتان منفصلتان ، إحداها للرجال ، والأخرى للسيدات. فأما بناء المقبرة على هذه الهيئة ، فلا ريب في مخالفتها لسنة. وقد نص بعض أهل العلم على حرمة الدفن في الفساق (وهي بيوت تحت الأرض) لأنها لا تمنع رائحة الميت ، ولما يكون فيها من إدخال ميت على ميت ، وهتك حرمة الأول ، مع ما فيها من البناء ، والتجصيص. جاء في المنهج القويم ، شرح المقدمة الحضرمية للهيتمي: لأن حكمة الدفن الشرعية: صونه عن

انتهاك جسمه ، وانتشار رائحته المستلزم للتأذي بها ، واستنقذار جيفته ؛ فاشتترط حفرة تمنعها ، ومن ثم لم تكف الفساقى وإن منعت الوحش ؛ لأنها لا تكتم الريح ، وخرج بالحفرة ما لو وضع على وجه الأرض ، وبني عليه ما يمنعهما ، فإنه لا يكفي إلا أن تعذر الحفر كما لو مات بسفينة ، والساحل بعيد أو ... اهـ. وقال في (الفتاوى الفقهية الكبرى): قال السبكي: في الاكتفاء بالفساقى نظر ؛ لأنها ليست معدة لكتم الرائحة ، لأنها ليست على هيئة الدفن المعهود شرعاً. قال: وقد أطلقوا تحريم إدخال ميت على ميت ؛ لما فيه من هتك حرمة الأول ، وظهور رائحته. فيجب إنكار ذلك. اهـ. وجاء في (الموسوعة الفقهية): يكره الدفن في الفساقى ، وهي كبيت معقود بالبناء ، يسع لجماعة قياماً ؛ لمخالفتها السنة ، والكراهة فيها من وجوه وهي: عدم اللحد ، ودفن الجماعة في قبر واحد بلا ضرورة ، واختلاط الرجال بالنساء بلا حاجز ، وتجسيصها ، والبناء عليها ، وخصوصاً إذا كان فيها ميت لم يبيل ، وما يفعله جهلة الحفارين من نبش القبور التي لم تبل أربابها ، وإدخال أجانب عليهم ، فهو من المنكر الظاهر ، وليس من الضرورة المبيحة لدفن ميتين فأكثر ، في قبر واحد. ويرى بعض الفقهاء أنه يكره ذلك حتى إذا صار الميت تراباً ؛ لأن الحرمة باقية. اهـ. وسئل الشيخ ابن باز في فتاوى نور على الدرب: تبنى مدافن على شكل بيوت تحت الأرض ، يوضع فيها الأموات. هل هذا العمل جائز؟ فأجاب: أما البناء على القبور ، واتخاذ البناءات عليها ، وتجسيصها: فهذا منكر ، لا يجوز. أما جعل حفرة في الأرض يجعل فيها الأموات: فهذا خلاف السنة ؛ السنة أن يكون كل ميت في قبر لوحده ، يلحد له. اهـ. وإذا كان بناء المقابر بهذه المواصفات لا يجوز ، فلا يجوز العمل في بنائها ؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل إذا حرم أكل شيء، حرم ثمنه. رواه أحمد وأبو داود ، وصححه الألباني. وقال الشيخ ابن عثيمين: كل حرام ، فأخذ العوض عنه حرام ، سواء ببيع ، أو بإجارة ، أو غير ذلك. اهـ. وأما عن جواب ابن باز بالتفصيل فنصه: (لا يجوز البناء على القبور لا بصبة ولا بغيرها ، ولا تجوز الكتابة عليها. لما ثبت عن النبي ﷺ من النهي عن البناء عليها والكتابة عليها ، فقد روى مسلم رحمه الله من حديث جابر قال: نهى رسول الله ﷺ أن يُحصص القبر وأن يُقعد عليه وأن يُبنى عليه وخرجه الترمذي وغيره بإسناد صحيح ، وزاد وأن يكتب عليه ولأن ذلك نوع من أنواع الغلو فوجب منعه. ولأن الكتابة ربما أفضت إلى عواقب وخيمة من الغلو وغيره من المحظورات الشرعية ، وإنما يُعاد تراب القبر عليه ويرفع قدر شبر تقريباً حتى يُعرف أنه قبر ، هذه هي السنة في القبور التي درج عليها رسول الله ﷺ وأصحابه. ولا يجوز اتخاذ المساجد عليها ، ولا كسوتها ، ولا وضع القباب عليها لقول النبي ﷺ: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد متفق على صحته. ولما روى مسلم في صحيحه عن جندب بن عبد الله البجلي قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس يقول: إن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. ولما سئل الشيخ ابن باز سؤلاً يقول: يوجد في بلدتنا رجل صالح متوفي قد بني له مقام على قبره ، وله عادة عندنا في كل عام ، نذهب مع الناس إليه رجالاً ونساءً ، ويقيمون عنده ثلاثة أيام بالمدح والتهليل والأذكار ، ويستمر بالأوصاف المعروفة ، فهل هذا جائز؟ نرجو التوجيه والإرشاد. فكان تعقيب الشيخ بالنص: (هذا العمل لا يجوز ، وهو من البدع التي

أحدثها الناس ، فلا يجوز أن يقام على قبر أحد بناء سواء سمي مقاماً أو قبة أو مسجداً أو غير ذلك. وكانت القبور في عصر الرسول ﷺ وعصر الصحابة في البقيع وغيره مكشوفة ليس عليها بناء ، والنبي ﷺ نهى أن يبني على القبر أو يجصص وقال: لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. متفق على صحته. وقال جابر بن عبد الله الأنصاري: نهى رسول الله ﷺ أن يُجصص القبر ، وأن يُقعد عليه ، وأن يُبنى عليه. رواه الإمام مسلم في صحيحه. فالبناء على القبور وتجسيصها ووضع الزينات والبهارج عليها أو الستور كله منكر ووسيلة إلى الشرك ، فلا يجوز وضع القباب أو الستور أو المساجد عليها ، وهكذا زيارتها على الوجه الذي ذكره السائل من الجلوس عندها ، والتهايل وأكل الطعام ، والتمسح بالقبر والدعاء عند القبر ، والصلاة عنده كل هذا منكر وكله بدعة لا يجوز ، إنما المشروع زيارة القبور للذكرى والدعاء للموتى والترحم عليهم ثم ينصرف. والمشروع للزائر للقبور أن يقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وما أشبه ذلك من الدعوات فقط ، هذا هو المشروع وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي الذي علمه النبي ﷺ. أصحابه ﷺ على قبور المدينة فقال: السلام عليكم يا أهل القبور ، يغفر الله لنا ولكم ، أنتم سلفنا ونحن بالأثر. وأما الإقامة عند القبر للأكل والشرب أو للتلهيل أو للصلاة أو قراءة القرآن ، فكل هذا منكر لا أصل له في الشرع المطهر. وأما دعاء الميت والاستغاثة به وطلب المدد منه ، فكل ذلك من الشرك الأكبر ، وهو من عمل عباد الأوثان في عهد النبي ﷺ من اللات والعزى ومناة وغيرها من أصنام الجاهلية وأوثانها ، فيجب الحذر من ذلك وتحذير العامة منه وتبصيرهم في دينهم حتى يسلموا من هذا الشرك الوخيم ، وهذا هو واجب العلماء الذين من الله عليهم بالفقه في الدين ومعرفة ما بعث الله به المرسلين ، كما قال الله سبحانه: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وقال سبحانه: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) وقال: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وقال سبحانه: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ، والآيات في هذا المعنى كثيرة. ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وفي رواية للبخاري رحمه الله: فادعهم إلى أن يوحدوا الله ، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن أجابوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب. متفق على صحته. فأمره أن يبدأهم بالدعوة إلى التوحيد والسلامة من الشرك مع الإيمان بالرسول ﷺ والشهادة له بالرسالة. فَعَلِمَ بِذَلِكَ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى إِصْلَاحِ الْعَقِيدَةِ وَسَلَامَتِهَا مُقَدِّمَةٌ عَلَى بَقِيَّةِ الْأَحْكَامِ ؛ لِأَنَّ الْعَقِيدَةَ هِيَ الْأَسَاسُ الَّذِي تُبْنَى عَلَيْهِ الْأَحْكَامُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ: (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، وقال سبحانه: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) والآيات في هذا المعنى كثيرة. فالواجب على أهل العلم في كل مكان وزمان مضاعفة الجهود في ذلك حتى يبصروا العامة بحقيقة

الإسلام ويبينوا لهم العقيدة الصحيحة التي بعث الله بها الرسل عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم إمامهم وخاتمهم وسيدهم محمد ﷺ. وفق الله علماء المسلمين وعامتهم لكل ما فيه رضاه ؛ إنه خير مسؤول).هـ. وجاء في الدرر السنية حول موضوع القبور وبدعها وبنائها وزخرفتها وإنارتها وتجسيصها ما نصه: (يحرّم البناء على القبر ، وهو قول ابن حزم ، والقرطبي وابن تيمية ، وابن القيم ، والشوكاني ، والشنقيطي ، وابن باز ، وابن عثيمين ، والألباني. والأدلة: **أولاً**: من السنة: عن جابر رضي الله عنه ، قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبني عليه). فما وجه الدلالة؟ والجواب: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن البناء على القبر ، والأصل في النهي التحريم. وعندنا حديث أبي الهيثم الأسدي أن علياً رضي الله عنه قال له: (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ألا تدع تمثلاً إلا طمست، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته). **ثانياً**: لأن هذا وسيلة إلى الشرك ؛ فإنه إذا بُني عليها عظمت ، وربما تُعبَد من دون الله. الفرع الثاني: بناء المساجد على القبور: لا يجوز بناء المساجد على القبور ، وهو مذهب الحنابلة ، وقول بعض المالكية ، وبعض الشافعية ، واختاره ابن تيمية ، وابن القيم ، والصنعاني ، والشوكاني ، والشنقيطي ، وابن باز ، وابن عثيمين ، والألباني. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. يحذر مثل ما صنعوا)). وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، ومن يتخذ القبور مساجد). ووجه الدلالة: أن الاتخاذ المنهي عنه من معانيه بناء المساجد عليها ، وقصد الصلاة فيها. وعن عائشة - رضي الله عنها - (أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبيشة فيها تصاوير ، فذكرتا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات ، بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، وأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة). ثانياً: سداً للذريعة المؤدية إلى الشرك: يحرم تجصيص القبر ، وهو قول ابن حزم ، واختاره القرطبي ، وابن القيم ، والصنعاني ، والشوكاني ، والشنقيطي ، وابن باز ، وابن عثيمين ، وبه أفتت اللجنة الدائمة. هذا ولقد اختلف أهل العلم في حكم الكتابة على القبر على قولين: القول الأول: يُكره أن يكتب على القبر ، وهو مذهب الجمهور: المالكية ، والشافعية ، والحنابلة وقول أبي يوسف ومحمد بن الحسن من الحنفية. وأما الأدلة: فأولاً: من السنة: عن جابر رضي الله عنه ، قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبني عليه). وقال سليمان بن موسى: (وأن يكتب عليه). ثانياً: أن الكتابة لم تكن معهودة لدى السلف الكرام ؛ فلم يفعل ذلك صحابي واحد. ثالثاً: أن الكتابة على القبر قد تؤدي إلى الفخر والمباهاة. والقول الثاني: لا يجوز أن يكتب على القبر شيء ، وهو قول الشوكاني ، وابن باز. الفرع الأول: الجلوس على القبر: ويحرم الجلوس على القبر ، وهو مذهب الظاهرية ، وقول بعض الشافعية ، وبعض الحنابلة ، وقالت به طائفة من السلف ، وهو قول الصنعاني ، والشوكاني ، وابن باز ، وابن عثيمين ، والألباني. عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه ، فتخلص إلى جلده ؛ خير له من أن يجلس على قبر). عن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تصلوا إلى القبور ، ولا تجلسوا عليها). ووجه الدلالة من الأحاديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ، والنهي يقتضي التحريم. وعن عمرو بن حزم رضي الله

عنه، قال: (رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا مُتَكَيِّ على قَبْرِ ، فقال: لا تُؤذِ صاحبَ القبرِ). ووجه الدلالة: أنه نُهي عن أذية المقبور من المؤمنين ، وأذية المؤمن محرمة بنص القرآن. الفرع الثاني: وطء القبر: يحرم وطء القبور ، وهو قول عند الحنابلة ، واختاره ابن باز وابن عثيمين. والأدلة: أولاً: من السنة: عن عُقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال: قال صلى الله عليه وسلم: (لأن أمشي على جمرة أو سيف أو أخصيف نعلي برجلي ؛ أحب إلي من أن أمشي على قبر). ثانياً: من الآثار: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال: (لأن أظأ على جمرة أحب إلي من أن أظأ على قبر رجل مسلم). وإذن فحكم البناء على القبور وتزيينها تدل الأحاديث الصحيحة دلالة صريحة على تحريم هذه الأمور كلها! وإذا اجتمعت تكون الحرمة أشد! وهذا ما عليه جمهور الفقهاء. وكان الواجب أن تنفق هذه الأموال في أمور أخرى تنفع الميت كالصدقة عنه أو عمل صالح ينتفع به . يقول فضيلة الدكتور حسام الدين بن موسى عفانة – أستاذ الفقه وأصوله – بجامعة القدس – فلسطين ما نصه بتصريف في النص: (إن ما آلت إليه مقابر كثيرة من المسلمين في وقتنا الحاضر ليُشعر بالأسى والحزن لُبعد الناس عن هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وإن الزائر لهذه القبور ليرى أموراً عجيبة من حيث البناء على القبور! فيرى هذا القبر قد بُني من الرخام الإيطالي الفخم ، وذلك بُني بأعلى أنواع الحجارة ، وهذا بُني برخام أبيض ، وذلك بأسود ، حتى إن كثيراً من الناس أصبحوا يتفاخرون بالبناء على قبور موتاهم ، وسمعنا أن بعض هذه القبور كلف بناؤها مبالغ طائلة ، وكل ذلك سببه المباشر هو الابتعاد عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى باتباع نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام فقال: (وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ). وقال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) ، وقال تعالى: (وَاطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) ، وغير ذلك من الآيات. لقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن البناء على القبور وقد ثبت ذلك عنه في أحاديث! وكذلك جماهير علماء المسلمين متفقون على أن البناء على القبور من المحرمات. قال الإمام الشوكاني رحمه الله: (اعلم أنه اتفق الناس سابقهم ولأحقهم وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضي الله عنهم إلى هذا الوقت ، أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله لفاعلها. ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين). شرح الصدور بتحريم رفع القبور ص 8. ولا بد للمسلم أن يعرف هدي النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة ، فلم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم تعليية القبور ، ولا بناؤها بأجر ولا بحجر ، ولا تشييدها ولا بناء القباب عليها فسنته صلى الله عليه وسلم تسوية القبور المشرفة كلها ، ونهى عن تجصيص القبور والبناء عليها والكتابة عليها. وكانت قبور الصحابة رضي الله عنهم وما زال كثير منها غير مبني عليه ، كما هو الحال إلى الآن في شهداء بدر وشهداء أحد وقبور الصحابة في البقيع وغيره. وينبغي أن يعلم أن القبور ليست محلاً لتفاخر الناس في البناء عليها ، وزخرفتها وتخطيط اللوحات التي توضع عليها ، ويكتب فيها آيات من القرآن الكريم وغير ذلك. وإن الميت لا ينتفع بالبناء على قبره أو وضع الرخام عليه ، وإن إنفاق الأموال في هذا المجال إنفاق فيما حرم الله.هـ. وإذا عدنا إلى الفقه على المذاهب الأربعة: في باب: (اتخاذ البناء على القبور) وجدنا النص: (يكراه أن يبني على القبر بيت أو قبة أو مدرسة أو مسجد أو حيطان تحديق به - كالحيشان - إذا لم يقصد بها الزينة والتفاخر ، وإلا كان ذلك حراماً ، وهذا إذا كانت الأرض غير مسبلة ولا موقوفة ؛ والمسبلة هي التي اعتاد الناس الدفن فيها ، ولم يسبق لأحد ملكها ؛ والموقوفة: هي ما وقفها مالك بصيغة



الوقف ، كقرافة مصر التي وقفها سيدنا عمر رضي الله عنه. أما المسبلة والموقوفة فيحرم فيهما البناء مطلقاً ، لما في ذلك من الضيق والتجبر على الناس ، وهذا الحكم متفق عليه بين الأئمة ، إلا أن الحنابلة قالوا: إن البناء مكروه مطلقاً ، سواء كانت الأرض مسبلة أو لا ، والكراهة في المسبلة أشد ؛ وبذلك تعلم حكم ما ابتدعه الناس من التفاخر في البنين على القبور ، وجعلها قصوراً ومساكن قد لا يوجد مثلها في مساكن كثير من الأحياء ، ومن الأسف أنه لا فرق في هذه الحالة بين عالم وغيره. كما يكره القعود والنور على القبر ، ويحرم البول والغائط ونحوهما ، كما تقدم في باب "قضاء الحاجة" وهذا متفق عليه بين الشافعية ، والحنابلة ؛ أما الحنفية ، والمالكية ، ويكره المشي على القبور إلا لضرورة ، كما إذا لم يصل إلى قبر ميتة إلا بذلك ، باتفاق وخالف المالكية. الحنفية قالوا: القعود والنوم على القبر مكروه تنزيهاً ، والبول والغائط ونحوهما مكروه تحريماً. والمالكية قالوا: الجلوس على المقابر جائز ، وكذا النوم ، أما التبول ونحوه فحرام. والمالكية قالوا: يكره المشي على القبر إن كان مسنماً والطريق دونه ، وإلا جاز ، كما يجوز المشي عليه إذا لم يبق من الميت جزء مشاهد ، ولو كان القبر مسنماً. والمالكية قالوا: يجوز نقل الميت قبل الدفن وبعده من مكان إلى آخر بشرطين: أولها: أن لا ينفجر حال نقله ، ثانيها: أن لا تهتك حرمة بأن ينقل على وجه يكون فيه تحقير له).هـ. وأما مسألة الإنارة للمقابر فقال عنها ابن باز ما نصه: (إذا كان لمصلحة الناس عند الدفن أو كان في السور فلا بأس ، أما وضع السرج والأنوار على القبور فلا يجوز ؛ لأن رسول الله ﷺ: لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. وإذا كانت الإضاءة في الشارع الذي يمر بقربها فلا بأس ، وإذا وضع لمبة عند الحاجة تضيء لهم عند الدفن أو أتوا بسراج معهم لهذا الغرض فلا بأس. رواه الإمام أحمد في مسند بني هاشم) ، والترمذي في (الصلاة) ، والنسائي في (الجنائز) ، وأبو داود في (الجنائز). وقد ورد الشرع بالنهي عن اتخاذ السرج على القبور ، قال ابن قدامة في المغني: ولا يجوز اتخاذ السرج على القبور لقول النبي صلى الله عليه وسلم: لعن الله زوارات القبور ، والمتخذات عليهن المساجد والسرج. رواه أبو داود والنسائي ولفظه: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولو أبيع لم يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من فعله ، ولأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة ، وإفراطاً في تعظيم القبور أشبه تعظيم الأصنام. انتهى. ونبه على أن لفظ (زوارات) لم يرد في سنن أبي داود ولا سنن النسائي ، وورد فيهما لفظ (زائرات) وورد الآخر في مسند أحمد وسنن الترمذي وسنن ابن ماجه. لكن إن كانت هنالك مصلحة شرعية من إنارة القبور كالمصلحة المذكورة بالسؤال وهي حفظها من العبث بها أو فيها ونحو ذلك ، ولم يكف كون الإضاءة خارج المقبرة فنرجو أن لا حرج في ذلك إن شاء الله تعالى ، ففي الموسوعة الفقهية الكويتية بعد ذكر عدم الجواز قولهم: فإذا كانت هناك مصلحة ظاهرة تقتضي الإضاءة كدفن الميت ليلاً فهو جائز).هـ. والخلاصة أنه يحرم إسراج القبور. والأدلة: أولاً: من الإجماع. نقل الإجماع على ذلك ابن تيمية. ثانياً: لأن في ذلك تضييعاً للمال من غير فائدة. ثالثاً: أن في إسراج المقابر تعظيماً لها ، يُشبهه تعظيم الأصنام. ولخص هذه المسائل كلها أستاذنا محمد المنجد بقوله بتصريف: (لا شك أن العناية بالمقابر والمحافظة عليها لحرمة أهلها من الأمور المشروعة ، ولكن بالقدر الذي يصونها ، وتحصل العناية به ، دون أن يتعدى ذلك إلى مخالفة شرعية من نحو تعظيمها وتزيينها وإنفاق مال في غير وجهه ، لبناء أو تجصيص أو دهان ونحو ذلك. والمشروع إبقاء القبور على حالها ؛ لأنه بذلك تحصل التذكرة عند زيارتها ، وتنتفي أسباب تعظيمها والمغالاة فيها وفي أصحابها. ولا

بأس بحمايتها بسور يحيط بها ، كما أنه لا بأس بإنارته ، وعمل اللازم لتنظيف المقابر ، وعمل ممرات بينها ، دون أن يدعو ذلك إلى إسراف في الأموال وإنفاق بغير حق ، ودون مغالاة ، فتهيأ الممرات بين القبور بلا رصف ، ولا تستخدم الأنوار فيها إلا لحاجة الدفن وقت اللزوم ، ويُنهى القائمون عليها عن تشجيرها وتزيينها والعناية بها فوق القدر المطلوب لمصلحة الدفن والحفاظ عليها من العبث والإهمال. كل ذلك صونا لجناب التوحيد ، وسداً لذريعة الشرك ، ومراعاة لحرمة موتى المسلمين ، وحفاظاً على هيئة المقابر التي بها تحصل الموعدة ويحصل التذكير الذي شرعت زيارتها من أجله. قال الشوكاني رحمه الله في "الدراري المضية": "الوقوف على القبور إن كان لرفعها أو تزيينها فلا شك في بطلانه ، وأشد من ذلك ما يجلب الفتنة على زائرها كوضع الستور الفائقة والأحجار النفيسة ونحو ذلك فإن هذا مما يوجب أن يعظم صاحب ذلك القبر في صدر زائره من العوام فيعتقد فيه ما لا يجوز". انتهى. وقال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى: بناء ما قد تهدم من سور المقبرة من الجهات المؤدية إلى أطرافها ، مع عمل الأبواب اللازمة لحجرها ، وإقامة حارس للمراقبة ، وإتمام ما يجب نحو تنظيفها ، وعمل ممر بين المقابر ، فكل ذلك لا بأس به. أما تشجير المقبرة فهو لا يجوز ، وفيه تشبه بعمل النصارى الذين يجعلون مقابرهم أشبه ما تكون بالحدائق ، فيجب إزالتها ، وإزالة صناديق الماء التي وضعت لسقيها ، ويبقى من الصناديق ما يحتاج إليه للشرب وتلين التربة. وأما إضاءة المقبرة فيخشى أن يجر ذلك إلى إسراج القبور الذي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله ، ولا سيما ونفوس الجاهل تتعلق كثيراً بالخرافات ، فتزال هذه الأنوار سداً للذريعة " انتهى. فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم. وقال الشيخ ابن باز رحمه الله على كل من له قدرة أن يساهم في إزالة هذه الأبنية والقباب والمساجد التي بنيت على القبور ، وأن تبقى القبور مكشوفة مثل القبور في البقيع في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي عهدنا الآن في المدينة ، القبور مكشوفة ليس عليها بناء لا مسجد ولا حجرة ولا قبة ولا غير ذلك ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن البناء على القبور واتخاذ مساجد عليها وتخصيصها ؛ لأن هذا وسيلة إلى أن يغلى فيها وإلى أن تعبد مع الله. وهكذا لا يهدى إليها نقودا ولا ذبائح ولا ملابس ، ولا يوضع لها سدنة ، ولكن تسور القبور ، فإذا سُورت أطراف المقبرة كلها بسور ، حتى لا تُمتن ، وحتى لا تتخذ طرقاً للدواب: فلا بأس". انتهى ملخصاً من فتاوى نور على الدرب. وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (المقبرة دور الأموات ، ليست دوراً للأحياء حتى تزين وتشيد ويصب عليها الإسمنت ويكتب عليها الكلمات الرثائية والتأبينية ، وإنما هي دار أموات يجب أن تبقى على ما هي عليه حتى يتعظ بها من يمر بها ، وقد ثبت في الصحيح من حديث بريدة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ( كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة). وإذا فتحنا الباب للناس ليقوموا بتزيين القبور وتشبيدها والكتابة عليها صارت المقابر محلاً للمباهاة ، ولم تكن موضع اعتبارٍ للأحياء ، ولهذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه وأن يجلس عليه ، فنهى صلى الله عليه وسلم عن الأمور التي يكون فيها المغالاة في القبور من البناء والكتابة ونحوها ، وعن الأمور التي فيها الإهانة للقبور وأصحابها ، فنهى عن الجلوس على القبر) انتهى. وعموماً للقبر في الشريعة الإسلامية قدر كبير من الحرمة ، لا يجوز لأحد التهاون فيه ولا الاعتداء عليه ، حتى لقد حرّم النبي صلى الله عليه وسلم الجلوس على القبر تحريماً شديداً ، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جُدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ).  
رواه مسلم. وهذه الحرمة تقتضي من المسلمين العناية بالقبر بالقدر الذي يحفظ للميت حرمة ،  
ويصون كرامته ، ولا يعرضه للأذى والامتهان ، وذلك يكون بالوسائل الآتية: **وضع شاخص**  
**عند رأس القبر** كما وضع النبي صلى الله عليه وسلم علامة عند قبر الصحابي الجليل عثمان بن  
مظعون ، رواه أبو داود ، يقول النووي رحمه الله تعالى: "السنة أن يجعل عند رأسه علامة  
شاخصة ، من حجر أو خشبة أو غيرها ، هكذا قاله الشافعي والمصنف [يعني: الشيرازي]  
وسائر الأصحاب "انتهى". **رفع القبر قدر شبر فقط** ولا يزداد عليه ، هكذا كان قبر رسول الله  
صلى الله عليه وسلم: يقول ابن قدامة رحمه الله: "يُرفع القبر عن الأرض قدر شبر ليعلم أنه  
قبر ، فيتوقى ويترحم على صاحبه ... ولا يستحب رفع القبر إلا شيئاً يسيراً "انتهى".  
"المعني". وطلاء القبر بالدهان أو الجص أو غير ذلك من أنواع الزينة مكروه ، جاء في  
"الموسوعة الفقهية": "واتفق الفقهاء على كراهة تجصيص القبر ، لما روى جابر رضي الله  
تعالى عنه: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبني  
عليه. قال المَحَلِّي: التجصيص التبييض بالجص ، وهو الجير. قال عميرة: وحكمة النهي  
التزيين ، وزاد إضاعة المال على غير غرض شرعي." انتهى. وغرس الأشجار على القبور ،  
وزراعة النبات الأخضر عليه ، فليس ذلك من عادات المسلمين في قبورهم ، بل من عادات  
النصارى ، وبناء على ما سبق ، فإن الصيانة المشروعة للقبر لا تكاد تحتاج إلى مال ينفق  
عليها ، ما دام القبر مصوناً عن الامتهان والأذى ، وأما طلاؤه وتشبيده والبناء عليه فهذا كله  
من العناية الممنوعة بالقبر ، وهكذا إحاطته بقضبان حديدية. وكون القبر عليه غبار: ليس من  
امتهان القبر في شيء ؛ بل هذا هو شأن القبور دائماً: أن يدفن أهلها تحت التراب. وبعض  
الناس يضعون غرساً على القبر مثل الصبار بحجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع ذلك  
على قبرين من أصحابه ، فما حكم ذلك؟ إنه لا يشرع غرس الشجر على القبور ، لا الصبار ولا  
غيره ، ولا زرعها بشعير أو حنطة أو غير ذلك ، لأن الرسول لم يفعل ذلك في القبور ، ولا  
خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم أما ما فعله مع القبرين اللذين أطلعه الله على عذابهما من  
غرس الجريدة فهذا خاص به وبالقبرين ، لأنه لم يفعل ذلك مع غيرهما ، وليس للمسلمين أن  
يحدثوا شيئاً من القربات لم يشرعه الله للحديث المذكور ، ولقول الله سبحانه : (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ  
شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ). اهـ. وقد يقول قائل: سمعت في أحد الأحاديث أن النبي  
صلى الله عليه وسلم وضع جريدتين على قبرين يعذب من فيها حتى يخفف عنهما! ولم أعرف  
الحكمة من هذا وهل يشرع لنا أن نفعل مثل هذا الفعل؟ نعم ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه مر بقبرين فقال: "إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ مِنْ كَبِيرٍ ، ثُمَّ قَالَ: بَلَى أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى  
بِالنَّمِيمَةِ وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ قَالَ: ثُمَّ أَحَدٌ عَوْدًا رَطْبًا فَكَسَرَهُ بِأَثْنَيْنِ ثُمَّ عَرَزَ كُلَّ  
وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى قَبْرِ ثُمَّ قَالَ : لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَسَا". رواه البخاري ومسلم. وهذا  
دليل على أنه قد يخفف العذاب ، ولكن ما مناسبة هاتين الجريدتين لتخفيف العذاب عن هذين  
المعذبين؟ قيل : لأنهما أي الجريدتين تسبحان ما لم تبيسا ، والتسبيح يخفف من العذاب على  
الميت ، وقد فرعوا على هذه العلة المستنبطة – التي قد تكون مستبعدة – أنه يسن للإنسان أن  
يذهب إلى القبور ويسبح عندها من أجل أن يخفف عنها. وقال بعض العلماء: هذا التعليل  
ضعيف ، لأن الجريدتين تسبحان سواء كانتا رطبتين أم يابستين لقوله - تعالى - : (تسبح له  
السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم).

وقد سُمع تسبيح الحصى بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، مع أن الحصى يابس ، إذا ما العلة؟ العلة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ترجى من الله عز وجل أن يخفف عنهما من العذاب ما دامت هاتان الجريدتان رطبتين ، يعني أن المدة ليست طويلة وذلك من أجل التحذير من فعلهما ، لأن فعلهما كبير كما جاء في رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم: "بلى إنه كبير: أحدهما كان لا يستبرئ من البول ، وإذا لم يستبرئ من البول صلى بغير طهارة ، والآخر كان يمشي بالنميمة يفسد بين عباد الله والعياذ بالله ويلقي بينهم العداوة ، والبغضاء ، فالأمر كبير. وهذا هو الأقرب في معنى الحديث أنها شفاعاة مؤقتة تحذيراً للأمة لا بخلاً من الرسول صلى الله عليه وسلم بالشفاعة الدائمة. ثم إن بعض العلماء – عفا الله عنهم – قالوا: يسن أن يضع الإنسان جريدة رطبة ، أو شجرة ، أو نحوها على القبر ليخفف عنه ، لكن هذا الاستنباط بعيد جداً ولا يجوز أن نصنع ذلك لأمر. أولاً: أننا لم يكشف لنا أن هذا الرجل يعذب بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فقد كشف الله تعالى له بالوحي حال هذين القبرين. ثانياً: أننا إذا فعلنا ذلك فقد أسأنا إلى الميت ، لأننا ظننا به ظن سوء أنه يعذب وما يدرينا فلعله يُنعم ، لعل هذا الميت ممن من الله عليه بالمغفرة قبل موته لوجود سبب من أسباب المغفرة الكثيرة ، فمات وقد عفا رب العباد عنه ، وحينئذ لا يستحق عذاباً. ثالثاً: أن هذا الاستنباط مخالف لما كان عليه السلف الصالح فلم يكن هذا الفعل من هديهم وسنتهم وهم أعلم الناس بشريعة الله. رابعاً: أن الله تعالى قد فتح لنا ما هو خير منه ، فكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: "استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل". انتهى. من مجموع فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله بتصريف. وإذن فلا يشرع وضع جريدة أو زهور على القبر. وَقَدْ اسْتَنْكَرَ الْخَطَّابِيُّ وَمَنْ تَبِعَهُ وَضَعَ النَّاسُ الْجَرِيدَ وَنَحْوَهُ فِي الْقَبْرِ عَمَلًا بِهَذَا الْحَدِيثِ. وَقَالَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ: هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ دَعَا لَهُمَا بِالتَّخْفِيفِ مَدَّةَ بَقَاءِ النَّدَاوَةِ ، لَا أَنَّ فِي الْجَرِيدَةِ مَعْنَى يَخُصَّةً ، وَلَا أَنَّ فِي الرَّطْبِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْيَابِسِ. اهـ. وعلى هذا ، يكون ذلك خاصاً بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلا يستحب لأحد أن يضع جريدة ولا غيرها على القبر. وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: (إن وضع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجريدة على القبرين ورجاءه تخفيف العذاب عن وضعه على قبريهما واقعة عين لا عموم لها في شخصين أطلع الله على تعذيبهما ، وأن ذلك خاص برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنه لم يكن منه سنة مطردة في قبور المسلمين ، وإنما كان مرتين أو ثلاثاً على تقدير تعدد الواقعة لا أكثر ، ولم يعرف فعل ذلك على أحد من الصحابة ، وهم أحرص المسلمين على الاقتداء به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأحرصهم على نفع المسلمين ، إلا ما روي عن بريدة الأسلمي: أنه أوصى أن يجعل في قبره جريدتان ، ولا نعلم أن أحداً من الصحابة رضي الله عنهم وافق بريدة على ذلك". اهـ. وقال الشيخ ابن باز: (لا يشرع ذلك بل هو بدعة ؛ لأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما وضع الجريدة على قبرين أطلع الله سبحانه على عذاب أصحابهما ولم يضعها على بقية القبور ، فعلم بذلك عدم جواز وضعها على القبور ؛ لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ) وفي لفظ لمسلم: (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ). وهكذا لا تجوز الكتابة على القبور ولا وضع الزهور عليها للحديثين المذكورين ؛ وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن تجصيص القبور والبناء عليها والقعود عليها والكتابة عليها". اهـ. وأما مسألة قراءة القرآن في الصيوانات والسرادقات فهذا سنننا! وأما عن بدعة استئجار قارئ يقرأ القرآن في سرادق العزاء فإن قراءة القرآن بهذه الصورة ما أثرت عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –

وسلم ، ولا عن صحابته الكرام ، ولا عن السلف الصالح! وجاء في إسلام ويب أسئلة وأجوبة حول هذا الموضوع نورد منها بتصريف زهيد: (ما حكم الدين في الأكل في المأتم ومعاونة الجيران لجارهم بمداه بالطعام لمدة أسبوع من الوفاء له وللمعزين ، كل يوم جار يقدم وجبة ، وما حكم التأليف (ختم القرآن بالمأتم كصدقة للميت)؟ والجواب: إن التجمع وعمل المأتم والولائم بمناسبة الوفاة لا يجوز ، لأنه من البدع والمحدثات التي أحدثها الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح ، ولأنه كذلك من النياحة وتعظيم المصيبة. ففي الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. وفي رواية: من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد. وعن جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام من النياحة. رواه ابن ماجه ، وعلى ذلك فلا ينبغي للمسلم أن يشارك في هذه البدع. وأما صنع الطعام لأهل الميت من بعض الأقارب أو الجيران فلا بأس به بل هو سنة ، ولكن لا ينبغي أن يكون ذلك في إطار التجمع والاحتفال. وأما مدة التعزية فلا ينبغي أن تتجاوز ثلاثة إلا لغائب لقول النبي صلى الله عليه وسلم: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاث ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً. متفق عليه. وأما قراءة القرآن في المأتم فإنها أيضاً من البدع والمحدثات ، وعلى المسلم أن يتجنب ذلك كله ، ولا بأس أن يقرأ القرآن بنفسه ويهدي ثوابه للميت ، بعيداً عن جو الاحتفال وعدم تأجير من يقرأ ، ولا بأس كذلك بالصدقة عنه ، فإن ثواب ذلك يصله إن شاء الله تعالى. وسؤال آخر ما حكم اجتماع الناس بعد دفن الميت ، وعمل صوان للعزاء ، والإتيان بمقرئ لقراءة القرآن ، والناس جالسون يستمعون ، ويشربون الشاي والقهوة ، وهناك من يطعم الناس كلها الطعام ، ثم ينصرفون بعد ذلك؟ والجواب: اختلف العلماء في مسألة الاجتماع للتعزية ، والمفتى به عندنا أنه غير مشروع ، قال النووي - رحمه الله تعالى - في المجموع: وأما الجلوس للتعزية ، فنص الشافعي ، والمصنف ، وسائر الأصحاب على كراهته ، ونقله الشيخ أبو حامد في التعليق ، وآخرون عن نص الشافعي - رحمه الله - قالوا: يعني بالجلوس لها: أن يجتمع أهل الميت في بيت فيقصدونهم من أراد التعزية ، قالوا: بل ينبغي أن ينصرفوا في حوائجهم ، فمن صادفهم عزاهم ، ولا فرق بين الرجال والنساء في كراهة الجلوس لها. صرح به المحاملي ، ونقله عن نص الشافعي - رحمه الله - وهو موجود في الأم ، قال الشافعي في الأم: وأكره المأتم ، وهي الجماعة ، وإن لم يكن لهم بكاء ، فإن ذلك يجدد الحزن ، ويكلف المؤنة مع ما مضى فيه من الأثر. هذا لفظه في الأم ، وتابعه الأصحاب عليه ، واستدل له المصنف ، وغيره بدليل آخر ، وهو أنه محدث. انتهى. وقال ابن قدامة في المغني: قال أبو الخطاب: يكره الجلوس للتعزية. وقال ابن عقيل: يكره الاجتماع بعد خروج الروح ؛ لأن فيه تهييلاً للحزن. انتهى. وأما استنجان من يقرأ للميت ، فمنكر آخر زائد على نفس الاجتماع المكروه ، قال ابن مفلح في الفروع نقلاً عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية: جمع أهل المصيبة الناس على طعام ليقروا ، ويهدوا له ، ليس معروفاً في السلف ، والصدقة أولى منه ، لا سيما على من ينتفع به في مصلحة عامة ، كالأقرباء ، ونحوهم ، فإنه قد كرهه طوائف من العلماء من غير وجه ، وقرب دونه منه عنده ، عده السلف من النياحة ، وذكر خبر جرير السابق ، وهذا في المحتسب ، فكيف من يقرأ بالكراهة؟! وأكثراء من يقرأ ويهدي للميت بدعة ، لم يفعلها السلف ، ولا استحبابها الأئمة ، والفقهاء تنازعوا في جواز الاكتراء على تعليمه ، فأما أكثراء من يقرأ ويهديه ، فما علمت أحداً ذكره ، ولا ثواب له ، فلا شيء للميت ، قاله العلماء ، قال:

وَلَا تَنْفُذْ وَصِيَّتَهُ بِذَلِكَ ، وَالْوَقْفُ عَلَى الْقُرْآنِ ، وَالْعُلَمَاءُ ، أَفْضَلُ مِنَ الْوَقْفِ عَلَيْهِ اتِّفَافًا . انتهى .  
وإذا علمت هذا ؛ فالصورة المسؤولة عنها من الاجتماع على طعام أو شراب للتعزية ، مكروهة .  
وتزداد الكراهة إذا اشتملت على استتجار من يقرأ القرآن للميت ، كما مر بك . إن قراءة القرآن  
الكريم في المآتم وسرادق العزاء من البدع ، وإذا تقرر أن فعل ذلك بدعة فإنه لا يجوز لهذا  
القارئ أن يفعل ذلك بحجة حاجته إلى المال وقلة ذات يده ، فإن ما عند الله تعالى من الرزق لا  
يطلب بمعصيته كما في الحديث: إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى  
تستوفي رزقها وأجلها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن  
يطلبه بمعصية الله ، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته . رواه أبو نعيم والطبراني  
وغيرهما . فاكْتَسَابُ الرزق بهذه الأعمال المبتدعة من المنكرات التي أولى الناس وأحقهم  
بهجرتها أهل القرآن ، فعلى أهل القرآن أن يبرهنوا على صدق توكلهم على الله عز وجل ، وأن  
ينزلوا على أحكام القرآن في شؤونهم كلها . فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الترغيب  
في قراءة سورة البقرة . ومن ذلك ما رواه أبو أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يقول: اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين  
البقرة ، وسورة آل عمران ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيابتان ،  
أو كأنهما فرقان من طير صواف ، تحاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة ، فإن أخذها  
بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة . قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة . رواه  
مسلم وغيره . أما قراءة سورة البقرة أربعين يوماً متواصلة مع الدعاء فلم نقف على حديث  
بخصوصه . ومن المعلوم أن مثل هذه الفضائل لا تقال بالرأي ، بل تتوقف على نص من الشرع .  
وهذا مستفسر يقول: عندنا ، عندما يموت الميت ، يجتمع أهل القرية في المساء ، وذلك لمدة  
ثلاث ليالٍ ، ويشكلون فريقين ، ويقروون يس ، وآخر البقرة ، وآخر الكهف ، وآخر الحشر ،  
والمك ، والإخلاص ، والفلق ، والناس ، والفاطحة ، وأول البقرة . فيبدؤون من سورة يس ،  
بحيث يقرؤون قراءة جماعية ، وكل آية بآية ، أي كل فريق يقرأ آية ، والفريق الثاني يقرأ  
الآية التي بعدها ، ويتكرر هذا المشهد ثلاث مرات في الليلة الواحدة ، لمدة ثلاث ليالي ، وفوق  
هذا يقرؤون وهم يمضغون القات . أفتونا في هذا العمل هل هو مشروع؟ وإذ كان مخالفاً كيف  
نقنع الناس حيث إنهم اعتادوا هذا العمل من آباءهم وأجدادهم؟ ففي هذا الفعل المذكور ، مخالفة  
للسنة من عدة وجوه ، أحدها: الاجتماع للتعزية ، وثانيها: قراءة القرآن بصورة جماعية ؛ فإنه  
مكروه عند بعض العلماء ، وثالثها: تخصيص هذه السور ، والآيات المعينة ، مما يشعر بأن  
لها بخصوصها فضلاً في هذا الموطن . وأما القات ، فإن تعاطيه محرم ، ويزداد قبحا ونكارة ،  
إذا اقترن بذكر الله تعالى ، وقراءة القرآن ؛ لما يوهم حينئذ من عدم تعظيم القرآن ، وعدم  
الاكتران به ، ومن التخلي عن التأدب بآداب التلاوة والذكر ، ومن ثم ، فيجب ترك هذه العادة ،  
ومناصحة من يفعلونها ، وأن يبين لهم أنها خلاف السنة ، وأن أحسن الهدى هو هدى محمد  
صلى الله عليه وسلم ، وأنه لا خير فيما خالف هديه ، وسنته صلى الله عليه وسلم . فإن كان  
المقصود هو السؤال عن حكم قراءة الفاتحة ، وإهداء ثوابها للميت . فالجواب هو: أن إهداء  
ثواب قراءة القرآن وغيره من الأعمال الصالحة إلى روح الميت ، جائز على الراجح من أقوال  
العلماء ، وهو مذهب الجمهور . ولكن قد يعرض للمشروع ما يجعله ممنوعاً كأن يخصص له  
زمان ، أو مكان ، أو هيئة ، أو عدد لم يخصصه الشارع . وعليه ؛ فإن تخصيص سورة الفاتحة  
بقراءتها والتزام ذلك ، أو اعتقاد سنيته ، كل ذلك لا دليل عليه . وما كان كذلك فإنه يعد من

المحدثات في الدين. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: إياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة. رواه الترمذي وغيره. وقال صلى الله عليه وسلم: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. متفق عليه. ولكن: هل يصل ثواب قراءة القرآن للميت لمن قرأ بأجرة: يجب التنبيه على أن القراءة التي تصل للميت وينتفع بها هي القراءة بدون أجر. وأما إذا استأجر أهل الميت قارئاً يقرأ بأجرة فلا يصل ثواب القراءة للميت ، ولا ينتفع بها ولا يصح الاستئجار على قراءة القرآن في هذه الحالة ولا ثواب في ذلك لا للقارئ ولا لذوي الميت ولا للميت. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:- (وأما الاستئجار لنفس القراءة - أي قراءة القرآن - والإهداء فلا يصح ذلك. فلا يجوز إيقاعها إلا على وجه التقرب إلى الله تعالى ، وإذا فعلت بعروض لم يكن فيها أجر بالاتفاق لأن الله إنما يقبل من العمل ما أريد به وجهه).هـ. وتحت عنوان: (قراءة القرآن في المآتم) يقول أستاذنا الشيخ إسماعيل الشرقاوي ما نصه: (قال العلامة ابن أبي العز الحنفي: "وأما استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدونه للميت! فهذا لم يفعله أحد من السلف ، ولا أمر به أحد من أئمة الدين ، ولا رخص فيه أحد ، والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف ، وإنما اختلفوا في جواز الاستئجار على التعليم ونحوه ، مما فيه منفعة تصل إلى الغير". وقال الشيخ على محفوظ - رحمه الله - : "وأما اجتماع الرجال في المآتم لداعية الحزن على الميت ، فمعلوم أيضاً ما يستلزمه هذا الاجتماع عادة من النفقات الطائلة ؛ لغرض المباهاة والرياء ، بإعداد محل الاجتماع ، وإحضار البُسُط ، والكراسي المذهبة ، ونحوها ، ولا شك في حرمة ذلك كله ؛ لما فيه من إضاعة المال لغير غرض صحيح ، ولا يفيد الميت شيئاً ، ويعود بالخسارة على أهله هذا إذا لم يكن في الورثة قاصر ، فما بالك إذا كان فيهم قاصر ، وقد يتكفون ذلك بالقرض بطريق الربا نعوذ بالله من سخطه ، وأن ما يقع بعد الدفن من عمل المآتم ليلة أو ثلاثاً مثلاً ، لا نزاع في أنه بدعة ، ولم يثبت عن الشارع ، ولا عن السلف أنهم جلسوا بقصد أن تذهب الناس إلى تعزيتهم ، وكانت سنته - صلى الله عليه وسلم - أن يدفن الرجل من أصحابه ، وينصرف كل إلى مصالحه ، هذه كانت سنته ، وهذه كانت طريقته ، والله - تعالى - يقول: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) ؛ فلنتأسس به فيما ترك ، كما نتأسى به فيما فعل". أ.هـ. وعليه ؛ فإن الله إذا حرّم شيئاً حرّم ثمنه ، وحرّم كل ما يُعِين عليه ؛ فعلى القراء الذين يفعلون ذلك أن يتقوا الله في أنفسهم ، ويتوبوا إلى الله من هذه البدعة المنكرة ، والله أعلم. والمفتي الكبير المحترم: سماحة الدكتور نوح علي سلمان رحمه الله المتوفى سنة 1432هـ لما سُئِل: ما حكم قراءة القرآن في المآتم؟ فقال بالنص: قراءة القرآن في المآتم في زماننا فيها عدة مخالفات شرعية منها: أن الحاضرين لا يُصغون إلى القرآن ، ومنها أنهم يستأجرون من يقرأ ، وكأنه لا يليق للقراءة إلا جماعة مخصصون. ويكون وضع القارئ أحياناً مزرياً بين الحاضرين ، أو يفتحون مسجلاً ولا يستمعون إليه ، ومنها أنهم يوحون إلى الناس بأن القرآن للمآتم فقط ، مع أنه للأحياء لا للأموات ، وهو كتاب هداية للخلق أجمعين ؛ فيجب تعظيمه وتدبره والعمل به. ولذا إما أن يُقرأ القرآن مع التعظيم والتدبر والإنصات ، أو لا يُقرأ).هـ. وسُئِل الدكتور نوح علي سلمان أيضاً: ما حكم العشاء للميت والأربعينية والسنوية ، وهل لذلك أصل في الدين ، وهل يلحق الميت شيء؟ فأجاب: من السنة أن يصنع أقارب الميت غير القريبين طعاماً لأهله الأقربين ؛ لأنهم مشغولون بوفاة قريبهم ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل بيته عندما استشهد جعفر: (اصنعوا لآل جعفر طعاماً ؛ فإنه قد أتاهم ما يشغلهم). رواه الترمذي وحسنه ورواه الحاكم. أما ما يفعله أهل الميت اليوم

من عشاء وأربعينية وسنوية فلا أصل له ، وإذا أرادوا الصدقة عن الميت بإطعام الطعام فينبغي أن لا يتقيدوا بيوم معين ، ولو تصدقوا على الفقراء بنقود فهو خير لهم ؛ لأنه أبعد عن الرياء وأنفع للفقراء وأبعد عن التشبه بغير المسلمين. ومما يجب الحذر منه التصدق بأي نوع من أنواع الصدقة من التركة قبل قسمتها إذا كان الورثة قاصرين ؛ لأن التبرع بمال القاصر لا يجوز ، ولا يجوز أخذ ما يتصدق به الأولياء من أموال القاصرين). هـ. وسئل الدكتور نوح علي سلمان أيضاً: ما الحكم الشرعي فيما يلي: 1. قيام أهل المتوفى ببناء الصيوانات والسرادقات وإحضار المستلزمات من كراسي كروم وسجاد أحمر بالإضافة إلى بساط أحمر ليقف عليه المعزون. 2. إقامة مأدبة غداء للأهل والأقارب يوم العيد. 3. إقامة الصواوين والسرادقات قبل أسبوع من نهاية شهر رمضان ، وتبدأ السهرات لدى أهل المتوفى مما يترتب عليه نفقات باهظة مصدرها من أموال البنوك ، وأموال الورثة القاصرين. 4. انتشرت هذه الظاهرة وأصبح فيها نوع من التفاخر والمباهاة ، وأحياناً قطع الأرحام ، كونه يتم بناء أكثر من بيت عزاء في العائلة الواحدة ، وأصبحت مصدراً للتشتت بين الأهل والأقارب. وفقكم الله لما يحب ويرضى! فأجاب: الواجب في تركة الميت الإنفاق على تكاليف دفنه ووفاء ديونه ، وما سوى ذلك من تكاليف العزاء لا يجوز أخذها من تركة الميت إلا بإذن الورثة ، فإن كان بينهم من هو قاصر ، فلا يجوز الأخذ من حقه ، ولا يعتبر إذنه لأنه قاصر لا يدرك! وأما إقامة الولائم وتكاليف الصيوانات وما ينفق أثناء العزاء مما فيه من إسراف وتبذير فلا يجوز إنفاقه من مال القاصرين. ولا ينبغي التباهي والإكثار من مظاهر الترف في العزاء ؛ لأن ذلك لا يتناسب وحال الموت. وأما التصديق عن روح الميت فجانز ولم يرد نهي عن نوع معين من الصدقات ، والسنة أن يصنع الناس طعاماً لأهل الميت لأنه أتاهم ما يشغلهم. ويجوز عمل طعام لمن قام بإكرام أهل المتوفى من الناس ، على أن لا يكون ذلك من مال الورثة ، وأن لا يكون فيه إسراف وتبذير. ولكي يكون عملنا مقبولاً عند الله لا بد من صدق النية وموافقة العمل للكتاب والسنة لإرضائه سبحانه وتعالى. والله تعالى أعلم). هـ. وتحت عنوان: (رسالة إلى قراء القرآن في المآتم وسهرات رمضان) يقول الأستاذ السيد محمد مزيد ما نصه: (هذه رسالة أهديتها إلى كل قارئ لكتاب الله تعالى ، فهو أهم كتاب وأعظم دستور ، الكتاب الذي أنزله الله هداية لعباده وسبيلاً لسعادة الخلق ، فتركه أكثرهم نسياً منسياً ، وجعلوه وراءهم ظهرياً ، واستغله آخرون فجعلوه مجال تكسب ومحل استغلال ، حتى أصبح القرآن مقترناً بالموت والقبور ، حيث لا صيانة ولا عظة ولا اعتبار ، فنجد الناس في المآتم والاحتفالات وسهرات رمضان مشغولين عن القارئ بالحديث والاستقبال والوداع والأحاديث المملة ، مخالفين قول الله تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ). يا معاشر القراء ، قال الله تعالى في كتابه الكريم مخبراً بأن كل نفس مرهونة بكسبها: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) ، ونبأنا الحق سبحانه أن المرء مرهون بعمله وكسبه ، فقال: (كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ) ، وبين عز وجل أن كل نفس تحمل وزرها ، وأن المرء ليس له من الدنيا إلا ما قدمت يداه ، ومسؤول عنه عمله ، وله جزاء ذلك ، فقال: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى \* وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى \* أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى \* أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى \* وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى \* أَلَّا تَرَى وَاِزْرَةً وَاِزْرَةً \* وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَى \* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ). هذا شيء يسير من كثير من آيات القرآن الكريم توحى بأن الإنسان ليس له في آخرته إلا ما قدمت يداه وما كسبه في دنياه ، وعلى هذا الطريق سار سلفنا الصالح ، رضوان الله عليهم ، ولكن ماذا حدث؟ اتبعنا سنن من قبلنا شبراً



بشبر ، وذراعًا بذراع ، حتى دخلنا جحر الضب الخرب ، الذي أخبرنا به رسول الإنسانية - صلى الله عليه وسلم - ، حيث قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه). قالوا: اليهود والنصارى يا رسول الله؟ قال: فمن؟ وقديماً كان الأحرار والرهبان والقساوسة والكهان يزعمون أنهم خزائن الرحمة ، وأنهم حُجَّاب على أبواب الجنة ، مما حدا بكثير من أهل الكتاب لشراء صكوك الغفران من أمناء الجنة ، وبائعى صكوك الغفران من الأحرار والرهبان والقساوسة والرهبان والكرادلة ، وما أشبه الليلة بالبارحة ، مرت الأيام وانقضت الأعوام ، فصرنا نشترى الرحمة والمغفرة والرضوان منكم يا قراء القرآن! هل تجدون في كتاب ربكم ، أو في سنة نبيكم دليلاً واضحاً وصريحاً على أن قراءة القرآن تصل للموتى؟ هل ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قرأ القرآن أو قرأ سورة منه ووهب ثوابها للأموات؟ هل تجدون في سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والسلف الصالح من قرأ آيات من القرآن وطلب ثمنها دراهم ودنانير؟ هل تجدون في سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والسلف الصالح أنه صنع سهرات رمضان؟ هل تجدون في سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والسلف الصالح صدق ما تدعون من وصول ثواب ما تقرأون إلى موتانا الميامين؟ لو كان القرآن يصل إلى الموتى لقرأه الرسول الأمين على روح خديجة أم المؤمنين ، فقد متن كرائم الرسول رقية وأم كلثوم وزينب فما استأجر لهن قارئاً ، ولا أقام لهن مأتماً ، أو أربعين ، أو سنوية! لم ترو لنا كتب التاريخ ، ولا كتب السيرة ، ولا كتب السنة أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أحيا ذكرى أربعين ، أو قرأ لهن ختمة ، أو صنع لهن عتاقة ، أو استأجر قارئاً. يا معاشر القراء ، إليكم مذاهب أئمة الدين ؛ لكي تروا ما تفعلونه للأحيين ، هل هو ابتداء ، أم من الدين؟ أولاً: مذهب أبي حنيفة ، رحمه الله: القراءة عند القبور مكروهة عند أبي حنيفة ومالك وأحمد ، رحمهم الله! ثانياً: مذهب الشافعي ، رحمه الله: استدل الإمام الشافعي على عدم وصول ثواب القراءة بقوله تعالى: (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) ، وبحديث: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله) ، وقال الإمام النووي - رحمه الله - في شرح هذا الحديث: أما قراءة القرآن وجعل ثوابه للميت والصلاة ونحوها ، فذهب الشافعي والجمهور أنها لا تلحق الميت. ثالثاً: مذهب المالكية: القراءة عند المقابر بدعة ، وليست من السنة ، وجاء في (الشرح الصغير) للشيخ الدردير: وكره قراءة شيء من القرآن عند الموت وبعده على القبور ؛ لأنه ليس من عمل السلف ، إنما كان من شأنهم الدعاء بالمغفرة والرحمة والاتعاض. رابعاً: مذهب الحنابلة: قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - لمن رآه يقرأ على القبور: يا هذا ، إن قراءة القرآن على القبر بدعة ، وقال: القراءة على الميت بعد موته بدعة ، ولم يكن من عادة السلف. يا معاشر القراء: إليكم آراء علماء المذاهب في حكم أخذ الأجر على تلاوة القرآن: أولاً: العلامة الحجاوي ، من فقهاء الحنابلة: يحرم ولا تصح إجارة على عمل يختص فاعله أن يكون من أهل القرية وهو المسلم ، ولا يقع إلا قرية لفاعله كالحج والعمرة والأذان ونحوها كإقامة الصلاة وتعليم القرآن والفقهاء والحديث ، وكذا قال ابن حمدان ، قلت: والتلاوة يختص فاعلها أن يكون من أهل القرية ، فلا تصح الإجارة عليها. ثانياً: العلامة العيني في (شرح البخاري): يُمنع القارئ للدنيا والآخذ والمعطي آثمان! ثالثاً: العلامة تاج الشريعة في شرح الهداية من فقهاء الأحناف. إن القرآن بالأجر لا يستحق الثواب لا للميت ولا للقارئ. رابعاً: العلامة خير الدين الرملي: المفتي أخذ الأجر استحساناً على تعليم القرآن لا على القراءة المجردة والإجارة في ذلك باطلة ، وهي بدعة لم يفعلها أحد من الخلفاء ولا السلف. خامساً:

الإمام البركوي من علماء الأحناف: جاء في كتاب (الطريقة المحمدية) تحت عنوان: أمور مبتدعة وباطلة أكب الناس عليها على ظن أنها قربة ، إلى ان قال: الوصية من الميت باتخاذ الطعام والضيافة يوم موته أو بعده وبإعطاء دراهم لمن يتلو القرآن الكريم لروحه أو يسبح أو يهلل له ، كلها بدع منكرة باطلة ، والمأخوذ منها حرام للأخذ وهو عاصي بالتلاوة والذكر لأجل الدنيا. سادساً: الإمام أبو الحسن اليعلبي ، من فقهاء الحنابلة: لا يصح الاستجار على القراءة وإهداؤها إلى الميت ؛ لأنه لم ينقل عن أحد من العلماء الإذن في ذلك ، وقال العلماء: إن القارئ إذا قرأ من أجل المال ، فلا ثواب له ، فأى شيء يهدى إلى الميت؟ وإنما يصل إلى الميت العمل الصالح والاستجار على مجرد التلاوة لم يقل به أحد من الأئمة. يا معاشر القراء: إليكم أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - في التآكل بالقرآن وتلاوته بأجر. أولاً: روى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني - رحمه الله - عن عبد الرحمن بن شبل أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (اقرأوا القرآن ، ولا تغلوا فيه ، ولا تجفوا عنه ، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به). ثانياً: روى الإمام أحمد والترمذي عن عمران بن حصين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (اقرأوا القرآن واسألوا به الله ، فإنه سيأتي من بعدكم قوم يقرأون القرآن ويسألون به الناس). ثالثاً: روى أبو داود عن سهل بن سعد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (اقرأوا القرآن قبل أن يقرأه قوم يقيمونه كما يقيم السهم ، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه). رابعاً: روى الإمام البيهقي في شعب الإيمان عن بريدة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (من قرأ القرآن يتآكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم). يا معاشر القراء: إليكم الشبهات التي تدور على السنة العوام والرد عليها: أولاً: حديث: (اقرأوا على موتاكم يس) ، هذا حديث معلول مضطرب الإسناد مجهول السند ، وقال بعض العلماء: لو صح الحديث فالمراد من حضرته مقدمات الموت. ثانياً: حديث: (يس لما قرأت له). وهذا حديث لا أصل له. ثالثاً: حديث: (خذ من القرآن ما شئت لمن شئت) هو حديث مكذوب. رابعاً: حديث الإمام البخاري الخاص باللدغ قال الإمام البغوي ، رحمه الله: فيه جواز الرقية بالقرآن وبذكر الله وأخذ الأجر عليه ؛ لأن القراءة والنفث من الأفعال المباحة ، وفيه إباحة أجر الطبيب والمعالج ، فجعل المأخوذ على المعالجة لا على مجرد التلاوة ، وجاء في (عون الباري لحل أدلة البخاري): وبعضهم استدل على أخذ الأجرة على الرقية ، وقال: الأخذ ليس على مجرد التلاوة ، وإنما على المعالجة والمداواة. يا معاشر القراء ، ها أنتم في شهر القرآن ، هل قرأتم القرآن خالصاً لوجه الله؟ أم أنكم تلحنونه لكي تطربون السامعين طمعاً في الدراهم والدنانير. ألم يأتكم نبأ رسولكم الكريم وصحابته الغر الميامين ماذا يصنعون بالقرآن في هذا الشهر الكريم ، كانوا يجلسون في بيوت الله وللقرآن يتلون ، ولآداب الاستماع والقراءة والإنصات يعملون ، لم تسمع لهم همساً ، لم يكونوا كمستمعي اليوم بالآهات والصراخ والضجيج. أي ثواب تهبونه للموتى ، ألم تأخذوا أجوركم عدًا ونقدًا ، أي ثواب لكم بعد الذي قبضتموه ، أي ثواب تهبون وقد أخذتم ثمن ما تقرأون ، أي رحمة ومغفرة تجلبون ، أم بعقول العباد وبأفراحهم وأحزانهم وسهراتهم تتاجرون؟ اتقوا الله في دينكم ، وفي كتاب ربكم لئلا ما أرخصتم كتاب ربكم وامتهنتم آياته حتى جعلتموها سلعة تافهة تباع بأبخس الأثمان ، وربما صادفتكم من هم فيها من الزاهدين ، وفي النهاية إذا قلت الحق وأديت الواجب فلا أبالي بمدح المادحين ولا قدح القادحين). هـ. فكانت هذه القصيدة ترجمة شعرية حية لما قالت القبور من النصائح الذهبية! حيث قمتُ بصياغتها شعراً ، وطوّفت على شيء كبير من الواقع المعاش ومن النصوص الشرعية التي جعلناها في المقدمة

لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا! إن الأمر بحاجة ماسة لأن يعود الناس فيه إلى الله! وعليهم أن يدركوا أن المقابر بيوت الدود والوحشة! وأنه ينبغي علينا عندما نزرها أن نتذكر الآخرة لا الدنيا! ولكن كيف وكل شيء فيها من بناء وزخرفة وزينة وإنارة وزروع وثمار وورود وزهور وثمار لا نتكرنا بألف باء الآخرة وهو الموت؟! لقد أصبحت القبور صوارف عن تذكر الموت والآخرة! والدليل هو عدم الاعتبار وعدم الاتعاض بمن ماتوا! لأن قبورهم بتأنقها تصرفنا عن ذلك كله! وأرجو الله أن تكون قصيدتي: (المقابر تتكلم 7 قد أدت مهمتها في هذا!)

وأهدرت في القرى بعض الفدادين  
يُفضي إلى نسق بالرصف مقرون  
تشدد بنيتيه مثل الأساطين  
شدت لتحمل سقفاً غير مدهون  
قوم يعيشون في الدنيا على الدون  
وبعضها خصه الحمقى بتزيين  
فلم يعد دربها عنا بمجدون  
أم يسهرون على علم وتدوين؟  
على القبور كباحات الدكاكين؟!  
من النصارى غدوا أو آل صهيون!  
أم كان نهياً تخفى بالأظنانين؟  
كأنها بنيت حول الدواوين  
كباب سجن حوى أشقى المساجين!  
فيها الرسومات تُذلي بالبراهين  
تسبي العيون بها أطياف تلوين  
والبعض زين بجص غير مدهون  
أمست تُحاكي دهاليز الأواوين  
والبعض قد تركوا بدون تبطين

قبوركم كلفت بعض الملايين  
بنيتوها بأحجار لها نسق  
وكل قبر به أنصاف أعمدة  
والسقف أوتأده في الأرض أربعة  
يا صاح حدث عن التكليف ضاق به  
عن المصاييح حدث كل من نظروا  
تضاء ليلاً فتستجلى القبور بها  
فهل سيسهر موتاهما على سمر؟  
أما نهينا عن اتخاذ مسرجة  
والنص ذم الألى أتوه من زمن  
وبعد طالبنا بأن نخالفهم  
واستشرفت في الفضا أسوار باسقة  
وكل باب عليه القفل يوصده  
عن الزخارف حدث كل من دهشوا  
على القبور زهت أشكال زخرفة  
وبعضها بسنا الفسيفساء زكا  
بواجهات غدا الرخام يتحفها  
والبعض بطنه الصنوع إذ أمروا

كأنما ألحقوا الموتى بتسكين  
لوح من الهند ، والثاني من الصين  
يكاد يُذهل ذا فهم وتفتين  
حتى يقى كل تبريدٍ وتسخين!  
دقت كمثل تماثيل الفراعين  
وللمزاليح حصد كالكساكين  
تطال ساكنها أيدي الدهاقين  
لزائري القبر ، رفقا بالمساكين!  
وفوقها بسط مثل البطاطين  
أسماء موتاه فيها كل تبين  
وكل مدح وإطراء وتدشين  
عن النفوس تُعاني قسوة الرون  
بخاطر من سعير الوجد محروم  
على تحمل ما يلقي من الهون!  
كان كاتبه من المجانين!  
وليس ميثم - حاشا - بمغبون  
هل جل من كتبوا من الملعين؟!  
حول المقابر تُزري بالبساتين  
فيها من التوت والرمان والتين  
من الثمار نمت في الماء والطين؟  
أرواح من رجعت إلى الجثامين!؟

ومن حديد هنا أبوابها صُنعت  
وللقيشاني على الجدران رونقه  
وللسيراميك حُسن في تناسقه  
والبورسلين تهادي في نعومته  
وللجرافيت ألوان مزركشة  
وللنوافذ حُسن في مقابضها  
شدت متارسها على الخُوق ، فلا  
وتحتها بُنيت مقاعد رُصدت  
وبينها صالة ما كان أوسعها  
وكل قبر له رُخامة شملت  
وعنهم سُطرت آيات مجدهم  
وبعض أي من القرآن تسرية  
وبعض شعر يُسلي من يطالعه  
وحكمة نصها يُعين قارئها  
وقد نطالع سبباً للقضا علناً  
تالله ما غبن القضاء من أحدٍ  
ومن يطالع يجد آثار مخبئة  
والبعض شادوا رياضاً جد عامرة  
فيها ثمار ورب الناس يانعة  
فهل سيأكل موتى القوم ما زرعوا  
أم هل يُعيد الرخا أرواح من ذهبوا؟

أيدي المعاتيه من عذب الرياحين؟  
ومن بنفسجكم - يوماً - ويسمين؟!  
على المقابر ، أو أوراق يقطين؟!  
رجاء تخفيف ما قد كان من هون!  
فليس هذا الذي جئتم بمسنون!  
والبعض حاكاه في بذل الملايين  
والبعض يقصدُها كل الأحيين  
للأولياء ذوي البأس الميامين  
حتى يجودوا على الهلكى بتحسين  
من أمره كله بالكاف والنون  
مثل التي نذرت من قبل للزون  
وعندهم قلبت كل الموازين  
فأخلصوا دينهم بدون تدجين  
بنص ورد حوى أخزى المضامين!  
وما تعادل ذو تقوى بمفتون!  
تقول: أحياءكم أولى بتمكين  
فاز الألى آمنوهم خير تأمين  
وفاز قوم رعوا حق المساكين  
والنهي عنها أتى بكل تبين  
أكرم بنص بوحي الله مقرون!  
لم استجبتم لوسواس الشياطين؟  
وحصلوا المال بين الحين والحين

هل يستفيد الألى ماتوا بما غرست  
أم هل يشمون من ورد ومن زهر  
ماذا يقيدون من جرائد نثرت  
قالوا: النبي أتى ما نحن نفعله  
فقلت: خصيصة هذي لأحمدنا  
والبعض شيد مقصورات مبدع  
سل المقامات في قرى وفي حضر  
والبعض شيد في الديار أضرحة  
يدعوهم الناس في سر وفي علن  
فيشركون برب الناس خالقهم  
ويدفعون نذوراً للألى قبروا  
ويذبحون لغير الله صبح مسا  
شنتان بين أناس ربهم سألوا  
وأخريين دعوا موتاهم رغباً  
والله ما استويا هادٍ ومفتتن  
هي القبور تناديننا وتحرجننا  
فأمنوا عيشهم من كل نائبة  
فاز الألى أحسنوا لكل مبتئس  
لا تبذلوا المال يا أقوام في بدع  
والنص في كئيب الثقافات متضح  
لم ابتدتم وقد بانيت شريعتم؟  
وفي المآتم جئتم بالألى قرأوا

وبعضهم قد غدا مثل القوارين  
والأجر أصبح في حفظ وتصوين!  
من العذاب أتى بالضنك والهون؟!  
في يوم ماتت فجدوا في البراهين  
فليس يأتي بمال غير مصوون  
والبنك جاد بمال جد مضمون  
تقول: حيز رصيّد بعد عربون!  
يحبّر النص تجويداً بتلحين  
مالم نجد حله في الشرع والدين  
تمام دفن ليُرَجِي خيّر تلقين  
بالآي باتت كأشبه القارابين  
كي تخلص الروح من أصفاد مسجون  
حتى يخلص الوري ببعض تهوين  
حتى يُذكرهم بخير تأبين  
من أين جئتم بهاتيك الأظنانين؟  
أكرم بنصح صريح النص موزون!  
ولا تؤدوا له أدنى العرابين  
وليس ينفعه بريق تزيين!  
لا يستفيد بها غير الهوامين  
وسوف تحيون في عز وتمكين  
وأجركم إن أطعتم غير ممنون

وبالغوا في أجور لا حدود لها  
جاؤوا السرادق لما الحجز تم لهم  
فهل قراءتهم تُنجي الألى قبروا  
هل النبي تلا آياً على ابنته  
والقارئ اليوم محظوظ بمن جهلوا  
لما اطمأن إلى الألوف قد رُصدت  
على موبائله جاءت رسالته  
فجاء يقرأ أي الذكر في طرب  
عاز على زمرة القراء ما ابتدعوا  
فقارئ عند فم القبر منتظر  
وقارئ يغمر الصيوان دندنة  
وقارئ ينشد العتاقة ارتصدت  
وقارئ نذروا للأربعين أتى  
وقارئ جاءهم وقد مضت سنة  
كأنما الذكر للأموات تذكره  
هي المقابر تُهدىكم نصيحته  
تقول: كفوا عن البناء يُعضلكم  
لن تنفع الميت المجنوز بدعتكم  
حتى متى بدع تُزري بطاعتكم  
عودوا إلى الشرعة السمحا تبصركم  
وزايلوا بدعاً تُعمي بصائرکم

كم توهن البدع الشنعاء عزائمكم!      فلا تعيشون كالأسد العرانيين!  
 إني نصحت ، ونصحي غير ملتبس      وينفع الناس نصح غير مدخون  
 يارب فاهد الورى للحق ينتفعوا      فإن أمرك بين الكاف والنون

### بعض الكلمات غير المطروقة

أهدرت: أضاعت. الفدادين: وحدة قياس الأراضي. نسق: أي تناسق. يفضي: يؤدي. مقرون: مقترن. الأساطين: الأصول والأسس والأعمدة. على الدون: على أقل القليل. تستجلي: أي تظهر وتبين. مدجون: مظلم وختفي. تدوين: كتابة. مسرجة: سراج يضيئ. الفسيفساء: الأشكال الهندسية سواء مرسومة أو منحوتة. حص: هو الجبس المشكل. يتحفها: يزينها ويخرفها. الأواوين: الدواوين ومنه إيوان كسرى. الصناعات: المحترفون. تسكين: جعل المساكن للموتى. القيشاني: بلاط رقيق لامع أملس. رونقه: جماله وبهجته. المزاليج: الترابيس. متارسها: أفعالها الخشبية. الحلوq: جمع حلق وهو ما يتخذ لتركيب الأبواب في الجدران. الدهاقين: الحذاق. بسط: جمع بساط وهو الفراش يفرش على الأرض. إطراء: مدح. تدشين: ثناء. أي: آيات القرآن. تسرية عن النفوس: ترويحاً عنها. الرن: الشدة والبلاء. يطالعه: يقرأه. الوجد: شدة الحزن. الهون: الهوان والذل. غبن: ظلم. الملاعين: أعني بها كل من سب قضاء الله وقدره عامداً متعمداً بدون إكراه. السيراميك والبورسلين والجرانيت: أنواع من البلاط والأحجار. تفتين: فطنة ونكاه. مزركشة: عذبة الألوان. استشرفت: علت وارتفعت. شادوا: بنوا. رياضاً: حدائق. الجثامين: الأجساد. الألى: الذين. المعاتيه: المجائين. الرياحين: جمع ريحانة وهي زهرة عطرية. جرائد: جمع جريدة وهي سبابة النخل. يقطين: القرع العسلي. خصيصة: أي أمر خص نبينا - صلى الله عليه وسلم - له وحده. مسنون: أي نصت عليه سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - المقامات: أبنية فوق القبور يتخذوها أصحابها لدعاء ميت مدفون تحتها والنذر والذبح له من دون الله. حاكاه: قلده. حضر: جمع حاضرة وهي المدينة. الأحايين: جمع حين وهو الوقت. يقصدها: يتجه إليها. تحسين: أي تحسين الحال من السيئ للأحسن. الزون: الصنم. شتان: بعد. تدجين: تحريف ومجاملة. ورد: نص ألفه قوم واتخذوه مأثوراً عن أشياخهم ما نص عليه كتاب ولا سنة. آمنوا عيشهم: جعلوه آمناً. القوارين: جمع قارون وهو رمز إلى كل عابد للمال. قبروا: دفنوا في قبورهم. الضنك: الشقاء! مصوون: مصان. زمر: جماعات. موبايله: هاتفه. عربون: مقدم الاتفاق مع القارئ المأجور المرتزق. يحبر النص: يجود تلاوته. الأظانين: الظنون. تابين: تعزية. قم القبر: عينه وهو المكان الذي يدخل منه الجثمان. يزجي: يقدم. الورى: الخلق. الأربعين والسبوع والسنوية: سبعة أيام أو أربعون يوماً أو سنة على الميت في قبره. العتاقة: اعتقاد العوام عتق روح الميت بقراءة القرآن وهذه بدعة وضلال قديم. تلقين: هي ترويسة يلتفتها أحد المرتزقة على شفير القبر بعد الدفن. الصيوان والسرادق: خيمة كبيرة من الخشب والقماش تعلوها المصابيح والزينات تتخذ للعزاء وللأفراح. أصفاد: جمع صفا وهو القيد أو الغل. دندنة: الصوت المترنم الشجي. كفوا: امتنعوا. الهوامين: جمع هامان وهو كل عات في التسلط. الفراعين: جمع فرعون وهو كل عات في التجبر. العرائين: الآساد القوية. يعضلكم: يجهدكم فلا تطيقونه.

## المقابر تتكلم! 8 - بدع الجنائز والمقابر

(لقد تكلمت عن المقابر في سبغ قصائد سبقت! وكانت قد تنوعت موضوعاتها كما تنوعت قوافيها وبحورها! وتأتي هذه القصيدة الثامنة ، والتي تحمل عنوان: (المقابر تتكلم 8) لتتكلم بدع الجنائز والمقابر معاً ، وبهذا نغلق ملف المقابر والمقبرين للأبد! لقد كنت أعتقد أن أفراح القوم وحدها هي التي طالت مراسيم وطقوس الجاهلية المخالفة عن هدي الكتاب والسنة! فإذا بي أكتشف أن جنائز القوم وقبورهم قد أثرت عليها الجاهلية ، وخالفت عن شريعة الله كتاباً وسنة ، فلم تعد بها عبرة ولا موعظة! فما أن يموت الميت ، حتى يخرج على الناس المرتزقة ما بين مغسل ومكفن وقارئ للقرآن ولحاد وحانوتي وحمال وحارق للبخور وموشح وداع! وكانت سنة قديمة أن يُغسل الميت أهله ، فهم أولى الناس به! فأصبحت اليوم مهنة تشملها بدع التمسيل والتكفين والتابوت والخطب الأربع: فالخطبة الأولى قبل الصلاة على الميت ، والخطبة الثانية بعد الصلاة عليه ، والخطبة الثالثة هناك عند القبر ، والخطبة الرابعة بعد الدفن ، وهذه الأخيرة أطولهم بإطلاق ، حيث يذكر المرتزق مناقب الميت ويعدد أعماله التي يجزم هو بصلاحها وقبولها عند الله تعالى! وبعد الخطب الأربع يكون الدعاء الجماعي بصوت جهوري مسموع للقاصي والداني! فيدعو المرتزق ويؤمن قطيع الجهلاء الذين لو فيهم عالم أو رجل يقول الحق ، لنهاهم عن البدع وعظم شعائر الله إن هو آنس فيهم رُشداً! أو اعتزلهم واعتزل جنائزهم وبدعهم إن ظن أنهم سيغلبون جاهليتهم ، ليسلم له دينه وعقيدته! وقد أذهلني اصطفاؤهم عند المقبرة كصفوف الصلاة تماماً بتمام! رافعين أيديهم! والعجيب أن يستمر الدعاء قرابة الساعة شاملاً الدعاء على الكفار بأنواعهم ، والدعاء للمسجد الأقصى ، والدعاء للناس بأن يرفع الله عنهم الغلاء والوباء والسقام والأمراض! وإن هو إلا قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه بعد الدفن: (استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل)! وإتمام الفائدة نقدم لهذه القصيدة بملخص خاطف وسريع لبدع الجنائز للشيخ الألباني! وقد طالت البدع فيما طالت زيارة القبور! والحقيقة المسلم بها قطعياً أن زيارة القبور مشروعة! ولكن تخصيص وقت معين للزيارة لأن له فضلاً على غيره من الأوقات ومنفعة الزيارة فيه أكبر ، هذا التخصيص من البدع الإضافية ، والاجتماع على قراءة القرآن وإهداء ثوابها للميت من البدع المحدثه كذلك ، واجتماع المعزين في بيت الميت أو غيره ، أو عند القبر أو في الأربعينية ، فكل ذلك من البدع! وأما ختم القرآن وإهداؤه للميت دون اجتماع على ذلك ، فالراجح من أقوال أهل العلم جوازه ، وأن ثوابه يصل بإذن الله تعالى إلى الميت ، وأما قراءة القرآن على القبر دون اجتماع ، فقد ذهب جمهور العلماء إلى كراهتها. وأيضاً ما يسمى بالأربعينية ، وهي قراءة أهل الميت القرآن أو زيارة القبر أو التصديق بعد مرور أربعين يوماً على موته ، من البدع المنكرة ، لأن ذلك لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة أو السلف الصالح ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد). رواه البخاري ومسلم. فيجب على المسلم الحذر كل الحذر من البدع والمحدثات ، والتمسك بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والسلف الصالح ، ففي ذلك الخير كله ، وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال: (فإنه من يعيش منكم فسيروى اختلافاً كثيراً ، فليكن بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة). رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وصححه الترمذي والألباني. وهذه جملة من بدع



الجنائز التي انتشرت بين الناس ، أذكرها للعلم بها والابتعاد عنها ، ذكرها الشيخ الألباني رحمه الله في كتابه أحكام الجنائز: أولاً: غسل الميت: وضع رغيف وكوز ماء في الموضع الذي غُسل فيه الميت ثلاث ليال بعد موته! ثانياً: إيقاد السراج أو الفتيل في الموضع الذي غُسل فيه الميت ثلاث ليال من غروب الشمس إلى طلوعها ، وعند بعضهم سبع ليال ، وبعضهم يزيد على ذلك ، ويفعلون مثله في الموضع الذي مات فيه. ثالثاً: ذكر الغاسل ذكراً من الأذكار عند كل عضو يغسله. رابعاً: الجهر بالذكر عند غسل الجنازة وتشيعها. خامساً: سدل شعر الميتة من بين ثدييها. وكذلك هناك بدعٌ تتعلق بالكفن والخروج بالجنازة. سادساً: نقل الميت إلى أماكن بعيدة لدفنه عند قبور الصالحين كاهل البيت ونحوهم. سابعاً: قول بعضهم: إن الموتى يتفاخرون في قبورهم بالأكفان وحُسنها ، ويُعللون ذلك بأن من كان من الموتى في كفنه دناءة يُعايرونه بذلك. ثامناً: كتابة اسم الميت وأنه يشهد الشهادتين ، وأسماء أهل البيت رضي الله عنهم بترية الحسين إن وجدت ، وإلقاء ذلك في الكفن! تاسعاً: كتابة دعاء على الكفن. عاشراً: تزيين الجنازة وحمل الأعلام أمام الجنازة. حادي عشر: وضع العمامة على الخشبة ، ويلحق به الطربوش وإكليل العروس وكل ما يدل على شخصية الميت. ثاني عشر: حمل الأكاليل والآس والزهور وصورة الميت أمام الجنازة. ثالث عشر: ذبح الخرفان عند خروج الجنازة تحت عتبة الباب ، واعتقاد بعضهم أنه إذا لم يفعل ذلك مات ثلاثة من أهل الميت. رابع عشر: حمل الخبز والخرفان أمام الجنازة وذبحها بعد الدفن وتفريقها مع الخبز. خامس عشر: اعتقاد بعضهم أن الجنازة إذا كانت سالحة خُف ثقلها على حاملها وأسُرعت. سادس عشر: إخراج الصدقة مع الجنازة ، ومنه إسقاء العرقسوس والليمون ونحوه. سادس عشر: التزام البدء في حمل الجنازة باليمين. سابع عشر: حمل الجنازة عشر خطوات من كل جانب من جوانبها الأربعة. ثامن عشر: الإبطاء في السير بها ، والتزاحم على النعش ، وترك الاقتراب من الجنازة. ثامن عشر: ترك الإنصات في الجنازة ، وهذا النص يشمل رفع الصوت بالذكر كما في الفقرة بعدها ، وتحدث الناس بعضهم مع بعض.. ونحو ذلك. تاسع عشر: الجهر بالذكر أو بقراءة القرآن أو «البردة» أو «الدلائل الخيرات» ونحو ذلك: كالذكر خلف الجنازة باسم الجلالة (الله) أو «البردة» أو «الدلائل» والأسماء الحسنى. عشرون: القول خلفها: «الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، سبحانه من تعزز بالقدرة والبقاء ، وقهر العباد بالموت والبقاء. حادي وعشرون: الصياح خلف الجنازة بـ «استغفروا له يغفر الله لكم» ونحوه. ثاني وعشرون: الصياح بلفظ الفاتحة عند المرور بقبر أحد الصالحين ، وبمفارق الطرق. ثالث وعشرون: قول المشاهد للجنازة: (الحمد لله الذي لم يجعلني من السواد المخترم)! رابع وعشرون: اعتقاد بعضهم أن الجنازة إذا كانت سالحة تقف عند قبر الولي عند المرور به على الرُغم من حاملها. خامس وعشرون: القول عند رؤيتها: «هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، اللهم زدنا إيماناً وتسليماً! سادس وعشرون: اتباع الميت بمجرة. سابع وعشرون: الطواف بالجنازة حول الأضرحة - يعني أضرحة الأولياء أو الطواف بها حول البيت العتيق سبعاً. ثامن وعشرون: الإعلام بالجنائز على أبواب المساجد. تاسع وعشرون: إدخال الميت من باب الرحمة في المسجد الأقصى ، ووضعه بين الباب والصخرة ، واجتماع بعض المشايخ يقرؤون بعض الأذكار. ثلاثون: الرثاء عند حضور الجنازة في المسجد قبل الصلاة عليها أو بعدها ، وقبل رفعها أو عقب دفن الميت عند القبر! حادي وثلاثون: التزام حمل الجنازة على السيارة وتشيعها على السيارات ، أو حمل بعض الأموات على عربة المدفع. ثاني وثلاثون: الصلاة

على جنازات المسلمين الذين ماتوا في أقطار الأرض صلاة الغائب بعد الغروب من كل يوم. ثالث وثلاثون: قول بعضهم عند الصلاة عليها: (سبحان من قهر عباده بالموت ، وسبحان الحي الذي لا يموت). رابع وثلاثون: نزع النعلين عند الصلاة عليها ولو لم يكن فيهما نجاسة ظاهرة ثم الوقوف عليهما. ووقوف الإمام عند وسط الرجل وصدر المرأة. خامس وثلاثون: قراءة دعاء الاستفتاح. سادس وثلاثون: الرغبة عن قراءة الفاتحة وسورة معها ، والرغبة عن التسليم فيها. سابع وثلاثون: قول البعض عقب الصلاة عليها بصوت مرتفع: ما تشهدون فيه؟ فيقول الحاضرون كذلك: كان من الصالحين ، ونحوه! ثامن وثلاثون: ذبح الجاموس عند وصول الجنازة إلى المقبرة قبل دفنها وتفريق اللحم على من حضر! تاسع وثلاثون: وضع دم الذبيحة التي دُبحت عند خروج الجنازة من الدار في قبر الميت. الذكر حول سرير الميت قبل دفنه! أربعون: الأذان عند إدخال الميت في قبره. حادي وأربعون: جعل شيء من تربة الحسين مع الميت عند إنزاله في القبر لأنها أمان من كل خوف. ثاني وأربعون: فرش الرمل تحت الميت لغير ضرورة. جعل الوسادة أو نحوها تحت رأس الميت في القبر. ثالث وأربعون: رش ماء الورد على الميت في قبره. رابع وأربعون: إهالة الحاضرين التراب بظهور الأكف مسترجعين. خامس وأربعون: قراءة (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ) في الحثوة الأولى ، (وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ) في الثانية ، (وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى) في الثالثة. سادس وأربعون: القول في الحثوة الأولى: بسم الله ، وفي الثانية: الملك لله ، وفي الثالثة: القدرة لله ، وفي الرابعة: العزة لله ، وفي الخامسة: العفو والغفران لله ، وفي السادسة: الرحمة لله تعالى ، ثم يقرأ في السابعة قوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَانٍ) ، ويقرأ قوله تعالى: (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ). سابع وأربعون: قراءة السبع سور: الفاتحة ، والمعوذتين ، والإخلاص ، (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) و(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) و(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) ، وهذا الدعاء: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي هُوَ قَوَامُ الدِّينِ ، وَأَسْأَلُكَ... وَأَسْأَلُكَ.. وَأَسْأَلُكَ.. وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي إِذَا سُئِلْتُ بِهِ أُعْطِيتُ ، وَإِذَا دُعِيتُ بِهِ أُجِبتُ ، رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل... الخ ، كل ذلك عند دفن الميت! وكذلك قراءة فاتحة الكتاب عند رأس الميت، وفاتحة البقرة عند رجليه. وقراءة القرآن عند إهالة التراب على الميت. ثامن وأربعون: تلقين الميت. تاسع وأربعون: نصب حجرين على قبر المرأة. خمسون: الرثاء عقب دفن الميت عند القبر. حادي وخمسون: نقل الميت قبل الدفن أو بعده إلى المشاهد الشريفة. ثاني وخمسون: السكن عند الميت بعد دفنه في بيت في التربة أو قريها. ثالث وخمسون: امتناعهم من دخول البيت إذا رجعوا من الدفن حتى يغسلوا أطرافهم من أثر الميت. رابع وخمسون: وضع الطعام والشراب على القبر لياخذه الناس. خامس وخمسون: الصدقة عند القبر ، وصب الماء على القبر من قبل رأسه ، ثم يدور عليه ، وصب الفاضل على وسطه). هـ. وأختم بكلام الإمام الشوكاني - رحمه الله - عندما علق على حديث أبي الهياج الأسدي عن علي رضي الله عنه أنه قال: (أَلَا أُبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ وَمَنْ رَفَعَ الْقُبُورَ الدَّاحِلَ) «عليه وسلم؟ لَا تَدَعُ تَمَثَّالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ). تحت الحديث دخولاً أولياً القبر والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم فاعل ذلك ، وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفسد يبكي لها الإسلام ، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام ، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر ، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب ، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم ، وشدوا إليها الرحال وتمسحوا

بها ، واستغاثوا ، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ، فإننا لله وإنا إليه راجعون. ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب الله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً، ولا أميراً ولا وزيراً ، ولا ملكاً ، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً ، فإذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني أو العلاني تلغثم وتلكأ ، وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال إنه تعالى ثاني اثنين ، أو ثالث ثلاثة، فيا علماء الدين.. أي رزء للإسلام أشد من الكفر ، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ، وأي مصيبة يُصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن هذا الشرك البين واجباً. من هذه البدع ما يلي: أولاً: ما يسمونه بالإسعاد ، وذلك بأن تقوم المرأة بالنواح على الميت ، فتقوم معها نساء أخريات يساعدها على النياحة ، وهذا من فعل الجاهلية وعاداتها التي جاء الشرع فأبطلها ؛ فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما مات أبو سلمة ، قلت: غريب ، وفي أرض غريبة ؛ لأبكيه بكاء يُحدث عنه فكننت قد تهيأت للبكاء عليه ، إذ أقبلت امرأة من الصعيد - عوالي المدينة - تريد أن تسعدني - أي تساعدي على البكاء والنوح - فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «أتريدين أن تدخلني الشيطان بيتاً أخرجه الله منه؟» مرتين، فكففت من البكاء، فلم أبك" (رواه مسلم وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ على النساء حين بايعهن أن لا يُنحن ، فقلن: يا رسول الله إن نساءً أسعدتنا في الجاهلية أنفسعدهن؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «لا إسعاد في الإسلام» (رواه النسائي). ، وأحمد. وقال محققو المسند: "إسناده صحيح على شرط الشيخين: البخاري ومسلم" ، ثانياً: الأذان عند القبر عند دفن الميت ، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: "الأذان عند القبر بدعة منكرة ، ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا فعله أحد ممن يقتدى به" (الدرر السنوية في الأجوبة النجدية. ثالثاً: تلقين الميت والقراءة على القبر ، المقصود بتلقينه: تذكير الميت بعد دفنه بالشهادتين ، وما سوف يسأل عنه: "من ربك ، ما دينك ، من نبيك... إلخ". قال ابن القيم رحمه الله: "وكان إذا فرغ من دفن الميت قام على قبره هو وأصحابه ، وسأل له التثبيت ، وأمرهم أن يسألوا له التثبيت ، ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر ، ولا يلقي الميت كما يفعله الناس اليوم" (زاد المعاد). رابعاً: قراءة "الفاتحة" و"يس" وغيرهما ، قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: "لا تشرع قراءة "يس" ولا غيرها من القرآن على القبر بعد الدفن ، ولا غير الدفن ، ولا تشرع القراءة في القبور ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك، ولا خلفاؤه الراشدون، كل ذلك بدعة" (مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله. وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "قراءة الفاتحة على الموتى لا أعلم فيها نصاً من السنة ، وعلى هذا فلا تُقرأ ، لأن الأصل في العبادات الحظر والمنع ، حتى يقوم دليل على ثبوتها، وأنها من شرع الله عز وجل" (مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. خامساً: وضع الشجر ، أو جريد النخل على القبر ، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "لا يشرع غرس الشجر على القبور، لا الصبار ولا غيره، ولا زرعها بشعير أو حنطة ، أو غير ذلك ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك في القبور ولا خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم ، أما ما فعله مع القبرين اللذين أطلعه الله على عذابهما من غرس الجريدة ، فهذا خاص به صلى الله عليه وسلم وبالقبرين ؛ لأنه لم يفعل ذلك مع غيرهما، وليس للمسلمين

أن يحدثوا شيئاً من القربات لم يشرعه الله عز وجل" (مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله. سادساً: الاجتماع في مكان للتعزية ؛ قال ابن القيم رحمه الله: "وكان من هديه صلى الله عليه وسلم تعزية أهل الميت ، ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء، ويقرأ له القرآن، وقال ابن عثيمين رحمه لا عند قبره ولا غيره ، وكل هذا بدعة حادثة مكروهة" (زاد المعاد الله: "والتعزية في الحقيقة ليست تهنئة، كما ظنها بعض العوام يحتفل بها، ويوضع لها الكراسي، وتوضع لها الشموع، ويحضر لها القراء والأطعمة ، لا ، التعزية تسلية وتقوية للمصاب أن يصبر" (شرح رياض الصالحين للنووي). سابعاً: اتخاذ الضيافة من الطعام من أهل الميت ، والمستحب أن يعد جيران الميت طعاماً، ثم يبعثوا به إلى أهل الميت ؛ لحديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال: لما جاء نعي جعفر رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اصنعوا لأهل جعفر طعاماً، فإنه قد جاءهم ما يشغلهم» (رواه الترمذي) ، وقال: "حسن صحيح"، وابن ماجه: ، وأحمد: ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب. ثامناً: جعل المصاحف عند القبور للقراءة للأموات ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما جعل المصاحف عند القبور لمن يقصد قراءة القرآن هناك وتلاوته فبدعة منكرة، لم يفعلها أحد من السلف" (مجموع الفتاوى). تاسعاً: وقف الأوقاف لتلاوة القرآن الكريم وتثويبه للميت ، قال الألباني رحمه الله: "من البدع وقف الأوقاف سيما النقود لتلاوة القرآن العظيم ، أو لأن يصلي نوافل ، أو لأن يهتل ، أو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويهدي ثوابه لروح الوافق أو لروح من زاره" (أحكام الجنائز ؛ ص استتجار من يقرأ القرآن للأموات ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "استتجار الناس ليقربوا ويهدوه إلى الميت ليس بمشروع ، الحادي عشر: الختم على هيئة الاجتماع :ولا استحبه أحد من العلماء" (مجموع الفتاوى وتثويبها ، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "اجتماع الناس في البيوت للقراءة على روح الميت لا أصل له ، وما كان السلف الصالح رضي الله عنهم يفعلونه ، والاجتماع عند أهل الميت وقراءة القرآن ووضع الطعام ، وما شابه ذلك ؛ فكلها من البدع " (مجموع فتاوى ورسائل الثاني عشر: رفع القبور وتخصيصها ؛ فعن أبي الهياج فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن: «لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»" (رواه مسلم)؛ وعن جابر رضي الله عنه قال: "نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها ، وأن يبني عليها ، وأن توطأ" (رواه الترمذي). وقال: "حديث حسن صحيح" ، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح. قال ابن القيم رحمه الله: "ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم تعزية القبور ولا بناؤها بأجر ، ولا بحجر ، ولبن ، ولا تشييدها ، ولا تطيينها ، ولا بناء القباب عليها، فكل هذا بدعة مكروهة مخالفة لهديه صلى الله عليه وسلم... فسنته صلى الله عليه وسلم تسوية هذه القبور المشرفة كلها ، ونهى أن يجصص القبر ، وأن يبني عليه ، وأن يكتب عليه ، وكانت قبور أصحابه لا مشرفة ولا لاطنة ، وهكذا كان قبره الكريم، وقبر صاحبيه، فقبره صلى الله عليه وسلم مسنم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء ، لا مبني ولا مطين ، وهكذا كان قبر صاحبيه ، وكان يعلم قبر من يريد تعرف قبره بصخرة" (زاد المعاد) الثالث عشر: تخصيص زيارة المقابر يوم وليلة العيد ، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "والخروج إلى المقابر في ليلة العيد ، ولو لزيارتها بدعة فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد عنه أنه كان يخصص ليلة العيد ، ولا يوم العيد لزيارة المقبرة ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار»  
 فعلى المرء أن (رواه أبو داود: ، والنسائي ، وابن ماجة ، وصححه الألباني في ظلال الجنة  
 يتحرى في عبادته ، وكل ما يفعله مما يتقرب به إلى الله عز وجل" (مجموع فتاوى ورسائل  
 فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمينالرابع عشر: الذكرى الأربعينية ، قال العلامة ابن باز  
 رحمه الله: "لأصل فيها عادة فرعونية ، كانت لدى فرعون قبل الإسلام ، ثم انتشرت عنهم  
 وسرت في غيرهم وهي بدعة منكرة لا أصل لها في الإسلام" (مجموع فتاوى ابن باز) ، ولم  
 يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه رضي الله عنهم، ولا عن السلف الصالح  
 إقامة حفل للميت مطلقاً ، لا عند وفاته ولا بعد أسبوع ، أو أربعين يوماً ، أو سنة من وفاته ،  
 بل ذلك بدعة. وبدع الجنائز أكثر مما ذكرنا ، ولكن هذه أشهرها - فيما نعتقد - ، فيجب على  
 المسلم أن يتبع ولا يبتدع ، وأن يسير على ما سار عليه رسول الله صلى الله عليه وآله سلم  
 وصحابته الكرام ، وعلماء الأمة الربانيين الذين ساروا ويسيرون على ما سار عليه رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم. والآن لنطالع ما من الله به علينا في قصيدتنا الموسومة بـ: (المقابر تتكلم !8)

بماذا أسـتهل لكم مَقـالي؟! وكيف أجيبُ عن هذا السـؤال؟!  
 وهل تُجـدي المواعظ والوصايا إذا اسـتـعرت أباطيل الجـدال؟!  
 وهل سـتُغـيـرُ الذكـرى فـنـامـاً بما ابتدعوا غـدوا في شر حال؟  
 وهل سـيُفـيـدهم لـوـمٌ وزجـرٌ وتـوـبـيـخٌ يُنـدِّدُ بالضلال؟!  
 وهل سـيُـقـيـمُ حُجـتـه علـيـهم بصـيـرٌ بالدليل وبالـمقال؟!  
 أم الإقـتـاعُ أصـبـحَ مسـتـحـيلاً فقد أمسى التفاهمُ كالخيال؟  
 يـمـينَ الله بـذـلـم كـثـيـراً من الأحكام - عمداً - باحتيال  
 وعمـت فتنة في كل صـقع يُوجـج نارها عـادٍ وقـالي  
 وزاحمَ الابتـداعِ نـصـوصَ وحـي وتوصـيفي له فوق احتمالي  
 دهـى عـيشَ الأنـام ، وبيات نهجاً ومهـدَ - إلى الجنائز - شر كـفٍ  
 فأرسـل نـعيـة في كل وادٍ فسـرـبـلها بألوان الخبـال  
 وأصلح بوقه من كل عيب ليُخـبـرَ كل أصحاب المعالي  
 وفي النـعي القـبـيـلة والمزايـا ليُـعـلم كل غـاليـةٍ وغـالي  
 وفيه الأصـدقاء مع الأهـالي

إلى الأخرى ورحمة ذي الجلال  
له فيها العرائس والموالي!  
ويُسهبُ في التوسّع في المقال  
لثُبَي عن خواتيم المآل؟!  
فما التابوتُ يملأ عينَ سالي!  
تُعَلِّمنا موعظ الانتقال  
تَجَنِّدنا إشارات الزوال!  
وينتظرون قارئ الابتغال  
بإطراءٍ يُشاطرُ ، أو يُمالي  
تظاهرة بالبعاء والاعتلال  
وأغلبها أتاه بالارتجال  
يُرَوِّجها الجهولُ لنهب مال؟  
ويَمْضِي موكبٌ ، والصوتُ عالي  
تُرَدِّدُ بين مُستمع وتالي  
ويخترعُ المناقبَ باعتمال  
ودمغُ العين سأل على الرمال  
بأصواتٍ طغيت في الانفعال  
طوتُها اليوم طارقة الزوال  
ولم يحسب حساباً لارتحال  
وأمسى الاكتراث من المحال  
بالأبيرحوا حاداً اعتدال  
فشرعُ الله يزخرُ بالكمال

يقول: فلان ودعنا ، وولى  
وفي الجنات يرتع مسـتريحاً  
ويقطع - في الكلام - بلا احتراز  
ومن أدراك بالغيب المخبيا  
ويؤتى بالجنـازة قد توارت!  
ولا التابوتُ يُخـدثُ أي ذكري  
ولا التابوتُ يُدمغُ أي قلب  
ويبتدئ المعزون التحايا  
ويسـتمعون مرتزقاً يُعززي  
وخطبة واعظٍ لم يأل جهداً  
وأقوال نأت عن كل رُشدٍ  
وهل بدعٌ تروق لذي رشادٍ  
ومرتزقٌ بمن جاؤوا يُصلي  
بتكبير وتهليل وآي  
وعند القبر مرتزقٌ يسري  
وبعد الدفن مرتزقٌ يلاحى  
وأقوام - على التأمين - صرعى  
فلا عينٌ بكث لمصاب عبدي  
فأمسى في التراب نزيل قبر  
ولا قلبٌ تـأثر بالمنايا  
لعالمٍ للميت لم يُوص الندامى  
وأن يتقيدوا بالشـرع طوعاً

وشاهدت ابتداعاتِ المـوالي؟!  
فها هم يدفعونك للنكـال!  
وليس لمنكـر أدنى مـجال  
أفي القرآن والسبع الطـوال؟!  
وليس لسنةٍ أدنى امتـثال؟  
لماذا طعمتم أهل الضلال؟!!

ألم تتبـع جنائز قبـل شـتى  
وأنكـرت الذي صنع الخزايا  
ففاتحة الكتاب عليك تُتلى  
فهل - في الدين - جاز الأمر هذا؟  
لماذا يُدعون لِمـا أرادوا  
كفـأكم ربكم بنصوص وحي

## حياة القبور رحلة طويلة!

(كل مسافر يستعد لسفره بالمال والزاد واللباس! فإذا سافر إلى قبره كانت رحلته طويلة وشاقة! وكان الاستعداد لها بالخيرات وعمل الصالحات! وإنها لقصيرة تلك الحياة! وأنا راحلون عنها شننا أم أبينا! وأنا أعلم علم اليقين أن شعري هذا أطول مني عمراً! وما أعذبه وصاحبه تحت أطباق الثرى! ورحلة القبور الطويلة بعذابها أو نعيمها ثابتة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -! وعذابها ونعيمها واقع على الروح والبدن معاً! وهذا هو الراجح من أقوال أهل العلم! يقول تاج رؤوسنا ودرة علمائنا وبقية سلفنا ابن باز - رحمه الله - واصفاً رحلة القبور وحال الإنسان أو الجثمان فيها ما نصه: (ينبغي أن يعلم أن الواجب على كل مؤمن ومؤمنة: التصديق بما أخبر الله به في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ من جميع الأمور المتعلقة بالآخرة والحساب والجنة والنار ، وفيما يتعلق بالموت والقبر وعذابه ونعيمه ، وسائر أمور الغيب مما جاء في القرآن الكريم أو صحت به السنة المطهرة ، فعلينا الإيمان والتسليم والتصديق بذلك ؛ لأننا نعلم أن ربنا هو الصادق فيما يقوله سبحانه وفيما يخبر به جل وعلا ، لقوله تعالى: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً) ، وقوله سبحانه: (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا)! ونعلم أن رسول الله ﷺ أصدق الناس ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، فما ثبت عنه في الأحاديث الصحيحة ، وجب التصديق به ، وإن لم نعرف حقيقته. فالواجب علينا أن نصدق بما جاء به من أمر الآخرة ، وأمر الجنة والنار ، ومن نعيم أهل الجنة ، وعذاب أهل النار ، وكون العبد في القبر يعذب أو ينعم ، وترد إليه روحه ، كل هذا حق جاءت به النصوص ، فعلى العبد ، أن يسلم بذلك ، ويصدق بكل ما علمه من القرآن ، أو صحت به السنة ، أو أجمع عليه علماء الإسلام. ثم إذا من الله على المؤمن والمؤمنة بمعرفة الحكمة في ذلك والأسرار ، فهذا خير إلى خير ، ونور على نور ، وعلم إلى علم ، فليحمد الله وليشكره على ما أعطاه من العلم والبصيرة في ذلك ، تلك التي من الله عليه بها حتى زاد علمه وزادت طمأنينته. أما ما يتعلق بالسؤال في القبر ، وحال الميت: فإن السؤال حق ، والميت ترد إليه روحه وقد صحت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ ، وحياة الميت في قبره غير حياته الدنيوية ، بل هي حياة خاصة برزخية ، ليست من جنس حياته في الدنيا ، تلك التي يحتاج فيها إلى الطعام والشراب ونحو ذلك ، بل هي حياة خاصة يعقل معها السؤال والجواب ، ثم ترجع روحه بعد ذلك إلى عليين ، إن كان من أهل الإيمان ، وإن كان من أهل النار إلى النار ، لكنها تعاد إليه وقت السؤال والجواب ، فيسأله الملكان: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فالمؤمن يقول: ربي الله ، والإسلام ديني ، ومحمد نبيي ، هكذا يجيب المؤمن والمؤمنة ، ويقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ (محمد ﷺ) ، فيقول: هو رسول الله ، جاءنا بالهدى ، فأمانا به وصدقناه ، واتبعناه ، فيقال له: قد علمنا إن كنت لمؤمناً ، ويفتح له باب إلى الجنة ، فيأتيه من روحها ونعيمها ، ويقال: هذا مكانك حتى يبعثك الله إليه ، ويرى مقعده من النار ، ويقال: هذا مكانك لو كفرت بالله ، أما الآن فقد أعاذك الله منه وصرت إلى الجنة. أما الكافر ؛ فإذا سئل عن ربه ودينه ونبيه ، فإنه يقول: هاه هاه لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين: يعني: الجن والإنس ، وتسمعها البهائم ، فيفتح له باب إلى النار ، ويضيق عليه قبره ، حتى تختلف أضلاعه ، ويكون قبره عليه حفرة من حفر النار ، ويفتح له باب إلى النار يأتيه من سمومها وعذابها ، ويقال: هذا مكانك حتى يبعثك الله إليه ، ويفتح له باب إلى الجنة فيرى مقعده من الجنة ، ويقال له: هذا مكانك لو هداك الله. وبذلك يعلم أن القبر ؛ إما روضة من رياض الجنة ، وإما حفرة من حفر النار ، والعذاب والنعيم للروح والجسد جميعاً في القبر ، وهكذا في الآخرة في الجنة أو في النار. أما من مات بالغرق أو بالحرق أو بأكل السباع:



فإن روحه يأتيها نصيبها من العذاب والنعيم ، ويأتي جسده من ذلك في البر أو البحر ، أو في بطون السباع ما شاء الله من ذلك ، لكن معظم النعيم والعذاب على الروح التي تبقى إما منعمة ، وإما معذبة ، فالمؤمن تذهب روحه إلى الجنة ، قال النبي ﷺ: إن روح المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة يأكل من ثمارها ، والكافر تذهب روحه إلى النار فالواجب على كل مسلم ومسلمة الاطمئنان إلى ما أخبر به الله عز وجل ، وأخبر به رسوله عليه الصلاة والسلام ، وأن يصدق بذلك على الوجه الذي أراده الله عز وجل ، وإن خفي على العبد بعض المعنى ، فله الحكمة البالغة سبحانه!). هـ. والآن لنطالع وصفنا شعراً لحياة القبور الطويلة حسب اجتهادنا!

سـ نرحلُ لا محالة للقبور! ونُبْعَثُ كلنا يومَ النشـور  
وبعد الموت نُصْبِحُ بعضَ ذكـرى وينسـانا الصـغيرُ مع الكـبير  
وكم في القبر يا كم من عـظـاتٍ تُحَيِّرُ كل عقل مسـتـتـير!  
وكم موتى وهم أحياء فينا! وكم أحياء ماتوا من دهـور!  
علمتُ القبر يبـاـو كل عبـدٍ ويكشـفُ ما يخبـئ من أمـور  
فعبـدٌ جـاءه فرحاً فـخـوراً فيـا بُشـراه من فرح فـخـور!  
بأعمال تُشـرفُ من أتاها ثـوَاهـةٌ إـلى خـير المـصـير  
جنـان الخـلد كانت خـير عُقبـى وبـاء الفـذـبـة بالفـوز الكـبير  
لمثـل مصـيره فليسـعَ قـومٌ إذا رامـوا النـجاة من الثـبور  
ورب الناس عنـهم بعـدُ يرضـى لـذا سـعدوا بمرضاة القـدير  
وعبـدٌ جـاء مبتـسـماً لـقـبرٍ وهل يُجـدي ابتـسـامٌ في القـبور؟!  
تـنـكـرَ للهـدى ديناً ودينياً ولم يـكُ في التـنـكـر بالصـير  
وجـاهـرَ بالكـبـائر والـدنـايا تماماً مثـل أصـحاب السـعير  
وأوغـلَ في الضـلال بكـل عمـدٍ وهل تـأتي الضـلالة بالخـيور؟!  
وتـابـعَ من طغـوا سـمـتاً وهـدياً وخـالفَ سـنة الهـادي البـشير  
وعانـدَ لـم يُطـعَ لله أمـراً ولم يـحـفـل بنـصـح أو نـذير  
وبالغ في اللـجـاج بـدون جـدوى فما جـدوى العـتـو أو النـفـور؟!

وقضَى العَمَرَ فِي قَيْلٍ وَقَالَ      وَكَمْ خَرَبَ الْبَيْتَ بِقَوْلِ زور!  
كأنَّ الحَقَّ مُتَمَسِّكٌ عَلَيْهِ      فَعِشْ لَغِيَاةٍ مِثْلَ الْأَسِيرِ  
فَادْخُلْ قَبْرَهُ فِي شَرِّ حَالٍ      وَفِي يَوْمِ عِبَسٍ قَمَطِيرِ  
فَمَنْ يُنْجِيهِ فِي شَأْنِ كَهَذَا؟      يَقِينًا مَا لِهَذَا مِنْ مُجِيرِ!  
إِذَا غَضِبَ الْمَلِيكَ عَلَى شَقِي      فَهَلْ يُنْجِيهِ مِنْ حَالِ عَسِيرِ؟!  
وَقَبْرُ الْعَبْدِ إِمَّا الرُّوضُ أَمْسَى      مِنَ الْجَنَاتِ يَنْعَمُ بِالسَّرِيرِ  
وَإِمَّا حَفْرَةٌ مِنْ نَارِ رَبِّي      تُصَلِّي مِنْ تَوَشَّحٍ بِالشَّرِيرِ  
فَبَادِرْ بِالْمَتَابِ مِنَ الْمَعَاصِي      تُخَلِّفُكَ الْمَعَاصِي بِالسَّرِيرِ  
فَذُرْهَا ، وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهَا      وَلَا تَنْصَبْ لَوْ سَوَسَاةَ الْغُرُورِ  
وَأَبْصُرْ دَرَبَ مَنْ رَكِبُوا الْعَالِي      وَجِدُوا فِي التَّقْدِيمِ وَالْمَسِيرِ  
فَمَا اسْتَوَى الْبَصِيرُ يَجُوسُ دَرَبًا      بَأَخْرَ عَنِ مَسَالِكِ الضَّرِيرِ  
حَيَاةَ الْقَبْرِ مَعْتَرِكٌ طَوِيلٌ      فَجَدَّ السَّرِيرَ ، وَامْهَدْ لِلْعَبُورِ!  
وَرِحْلَةَ قَبْرِكَ الْمَحْتَمُومِ طَوِيلِي      أَلَمْ تُدْفِنْ جِسْمَ مَنْ عَصُورِ؟!  
وَفِي الدُّنْيَا سِرِّكَ بَعْدُ غُدَّتْ      تَأْمَلُهَا ، وَلَا تَكُ بِالْغُرِيرِ!  
وَكَيْفَ تَقِي دُنْيَانَا بِأُخْرَى؟!      وَهَلْ طَوِيلِي تُقَارِنُ بِالْقَصِيرِ؟!  
وَإِنْ نَعَى دُنْيَانَا سَيَفْنَى      وَإِنْ مَوْلَاكَ خَصَّكَ بِالْكَثِيرِ!  
وَمَا لِنَعَى دُنْيَانَا زَوَالٌ      فَكَيْفَ تَقِي دُنْيَانَا بِالْحَقِيرِ؟!  
وَقَالَ اللَّهُ طَارِقَةَ التَّنْذِيرِ      فَكُنْ فِي وَزْنِ أَمْرِكَ بِالْخَبِيرِ  
يَمِينِ اللَّهِ نَاصِحًا حَتَّى احْتَسَابًا      وَأَجْرِي عِنْدَ مَوْلَايَ الْغَفُورِ!

## مشاهد من يوم القيامة! - مساجلة عثماوية

(في وصف يوم القيامة لا تكفي مُعلقات تلو مُعلقات! وصف الدكتور العثماوي بعض مشاهد من يوم القيامة في قصيدة له تحمل العنوان ذاته: (مشاهد من يوم القيامة) ، فوفقه الله توفيقاً كبيراً حيث أصاب في الوصف! وكانت هذه المساجلة الشعرية لقصيدة الدكتور عبد الرحمن العثماوي: (مشاهد من يوم القيامة!) على ذات بحره ورويه وقافيته! حباً فيه وإعجاباً بقصيدته الجميلة التي وصفت يوم القيامة خير وصف ، وقد أبدع فيها إبداعاً! يقول مطلعها:

وقفنَّ جميعُ مشاعري تتأملُ وفمي عن النطق المبين معطلُ

ما كنتُ في حُلم ولا في يقظةٍ بل كنتُ بين يديهما أتلمل

وينطلق العثماوي من الحال التي كان فيها إلى وصف بعض مشاهد القيامة ثم يختم فيقول:

وهنا وقفنَّ وفي فؤادي دُوحَةٌ تحنو عليّ غصونها وتظلل

هي روضة الإيمان يجري ماؤها عذباً ، ويشدو في رباها البُلبُل

فقلتُ مساجلاً للقصيدة العثماوية ، وواصفاً يوم القيامة ، وعبرة الموت! ونسأل الله أن يثبتنا!

حارَ النهي فيما عليه سيقبلُ والقلبُ من ثقلِ المواجه مُثقلُ

والنفسُ أدمعها مصيرٌ مُبهمٌ كانت به - بين الوري - لا تحفل

والروحُ سرّبلها شعورٌ مُقلقٌ ماذا يخبئ يأتري المسـتقبل؟

والخاطرُ الملتاعُ حطمه الجوى فمضى يُحولق تارة ويحوقل

والأمنياتُ تبعثرت لم تتخذ مأوى لها ، فاليوم عز المنزل

من عاش ثلهمه القيامة درسها أغرره الدنيا عليها يقبل؟

ولله احتضارٌ ليس يعلم حينه وبمشهد السكّرات حتماً يكمل

أتكون خاتمة السعادة حظه وله بها مُتعلقٌ وتبتل؟

أشهادة التوحيد آخر قوليه أم لفظها أمسى يُرادُ فيعضل؟

والقبر هل هو روضة؟ أم حفرة؟ أيجابوا بـ الملكيين؟ أم يتزلزل؟

وكتابيه بيمينه هو آخذ؟ أم بالشمال وذا يشين ويُجزل؟

أيمر فوق صراطه متبختراً إذ كان للأخري يجرد ويعمل؟

هل قد نجنا ، فعن الجحيم مزحزحَ وجنان رب الناس ها هو يدخل؟  
أيرى مليك الناس في جناته؟ أم ذا عن الرؤيا هناك مؤجل؟  
أم أنه المحجوبُ عن رب الورى يرجو ، ولا يحظى بما هو يأمل؟  
إن القيامة لا تُعد دروسُها والوعظ في هذي الدروس الأمثل  
وتسوقُ من عبّر المصائرُ جملةً تسبي عقولاً في القضا تتأمل  
ما بين ميلادٍ وموتٍ عيشنا ففتى سيولد ، ثم آخرُ يرحل  
ما بين فرحتنا بمولودٍ هنا فهناك ميتٌ بالدموع يُغسل!  
أواه من تلعب دنيا بنا بنا! رأيت مفتوناً بها من يعقل؟  
سيزول زخرفها ، ويمضي حُسنها والمرء عنها ذات يوم يُعزل  
لا خلد إلا في حقائق ربنا إن الجنان هي المقامُ الأمثل  
والموتُ للإنسان جدد قيامةٍ والقبورُ منزلها الوشيك الأول  
لا بد منه ، وإن غدت مُعمرًا وإليه يوماً - رغم أنفك - تُخمل  
رباهُ فالطف يا رحيمُ بمن قضى منا ، ومنه الدودُ أصبح يأكل!

فهرست القصائد & مسرد موسيقي – (الموت والقبر والقيامة)

الصفحة	القافية	البحر	عنوان القصيدة	مسلسل
2	سليمانا	البسيط	الآن طاب الموت! (سليمان القانوني)	1
28	في عَجَابِهِ	الكامل	الموت حار الكل في أسبابه! (تابين الشربيني أبو طالب)	2
34	ألم الوداع	الوافر	إنك ميت وإنهم ميتون!	3
37	المُقْتَدِرُ	المتقارب	سنرحل ، ويبقى الأثر!	4
45	بمُستعذِبِ	المتقارب	ليس من الموت مفر!	5
47	الخبر	الرمل	ماتوا ، وعاش الخبر!	6
50	مَنْ يهربُ	الكامل	المقابر تتكلم! 1 (إنها تذكرة)	7
55	العَبْرُ	الرمل	المقابر تتكلم! 2 (نصيحة لزانري القبور)	8
77	من يَذْكُرُ	المتقارب	المقابر تتكلم! 3 (وصية أصحاب القبور)	9
100	قد غفلوا	المتدارك	المقابر تتكلم! 4 (حوار بين ميت وقبره)	10
113	يدانُ	المتقارب	المقابر تتكلم! 5 (ميتٌ يطردُ المُعزِين فيه)	11
117	حدود التائم	الطويل	المقابر تتكلم! 6 (العفو عند المقبرة)	12
131	الفدادين	البسيط	المقابر تتكلم! 7 (الإسراف في البناء)	13
152	السؤال	الوافر	المقابر تتكلم! 8 (بدع الجنائز والمقابر)	14
160	يوم النشورِ	الوافر	حياة القبور رحلة طويلة!	15
163	مثقلُ	الكامل	مشاهد من يوم القيامة! – مساجلة عشماوية	16

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته ورعايته إتمام (الموت والقبر والقيامة!)

## نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً وجداً وأعاماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله! وأما الدواوين والقصائد والمجموعات والكتب:

### أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصبر: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعضوه ، ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - عادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبث من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خالك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحّم بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).
- 27 - يا شعر كُن لي شاهداً! (ديوان شعر).
- 28 - اللهم تقبّل مني شعري! (ديوان شعر).
- 29 - الله الله في شعر أبيكم! (ديوان شعر).
- 30 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.

### ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية وشعرانها: عنتر بن شداد العيسى.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - مشاركاتي على الفيس بك والواتس آب! (لغوية وأدبية وشعرية ونحوية).
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)
- 7 - مائة ألف معلومة ومعلومة! (معلومات قيمة في مختلف فروع العلوم على هيئة سؤال وجواب!)

### ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 – القاتل البطيء! (التدخين)
- 3 – بين شوقي وحافظ!
- 4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار!
- 5 – عمير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
- 6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 – من أجل زوجي!
- 8 – هشام الشريف! (القاضي المصري الرحيم)
- 9 – فرانك كابريلو! (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 – يزيد بن معاوية! (ما له وما عليه)
- 12 – رباعيات الخيام اليمينية! (معارضة لعمر الخيام)
- 13 – ابتسم! (معارضة لإلياء أبو ماضي)
- 14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصبراً!
- 15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
- 16 – أتيناكم! أتيناكم!
- 17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحويّاً وناقداً!
- 18 – أستاذي قال لي! (عريف الكتاب – رحمه الله -)
- 19 – قراءة في أوراق الماضي! (النص الوحيد من شعر التفعيلة)
- 20 – أسماء الله الحسنى! (مدح الله تعالى)
- 21 – الآن طاب الموت! (السلطان سليمان القانوني)
- 22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة!
- 23 – موقع (الديوان) منتج الشعراء!
- 24 – فاعفوا واصفحوا!
- 25 – أبجديات شعرية!
- 26 – الشعر رحّم بين أهله!
- 27 – الله يرحم مُزنة!
- 28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف!
- 29 – امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 – تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 – برّدة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
- 33 – برّدة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
- 34 – برّدة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
- 35 – برّدة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
- 36 – برّدة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
- 37 – برّدة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
- 38 – بكائية إسماعيل علي سليم! (فقد التربية والتعليم)
- 39 – نعم الميّت ، ونعمت الميّتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

- 40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 – تغير الحال أم الخال!؟
- 43 – عزائي وتأبيني للشيخ الصابوني – رحمه الله تعالى -!
- 44 – تيس يرث نعجة! (جيء به مخللاً فورثها)
- 45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 – جاز المعلم وفيه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
- 47 – حادي القلوب! (ظفر النتيفات)
- 48 – حبيبي أقبلت! (معارضة لجاءت معدبتي لابن الخطيب)
- 49 – حرامية الشعر!
- 50 – حنين القلب! (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 – حنين بقلبي! (معارضة للعشماوي)
- 52 – خاتك الغيث! (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 – رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد) (معارضة لشوقي)
- 55 – رسالة إلى داننة! (ابنة السويدي)
- 56 – رضية الحاوية! (رماها أبوها رضية فنفعته في كبره)
- 57 – رفقا بنفسك يا صاحبة الدموع! (عائشة – رضي الله عنها -)
- 58 – رفايدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها -!
- 59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها -!
- 61 – سنسافر أنا والكتب! (عبد الرشيد صوفي)
- 62 – ضحية تعتب على قاتلها! (بعد استشراف ظاهرة قتل البنات)
- 63 – طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 – طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 – طبيب الغلابة! (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
- 66 – ظلم الشقيقتين! (كفلهما شقيقهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 – عاشق عزيز النفس! (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 – عجبث للنذل!
- 70 – عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 – غادة اليمن! (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 – وربما حار الدليل!
- 73 – الكائنات الفضائية!
- 74 – لصوص القريض!
- 75 – لقاؤنا في المحكمة!
- 76 – لوعة الرحيل!
- 77 – مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
- 78 – كفى تبرجاً وقبحاً! (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 – مصابيح الدجى! (علماء السلف – رحمهم الله -)



- 80 - مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء!
- 81 - منار الخير! (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
- 82 - ميلاد أمة بميلاد نبيها! (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
- 83 - هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
- 84 - الأطلال اليمينية! (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
- 85 - كن كما أنت! (انتصارية للشيخ الصابوني رحمه الله)
- 86 - تلميذي البار شكراً!
- 87 - القصيدة الزينية! (محاكاة لزينية ابن عبد القدوس) 2
- 88 - شمس العرب تسطع على الغرب!
- 89 - تحيتي لموقع الشعر والشعراء!
- 90 - الخلق والعلم معاً! - الأستاذ محمد الكيلاني!
- 91 - الشعر حنينٌ ورنينٌ وأنين!
- 92 - امرأتان من صعيد مصر! (هاجر & مارية)
- 93 - المقابر تتكلم 1 (إنها تذكرة!)
- 94 - زواج بالإكراه!
- 95 - شعرٌ يؤبئ صاحبه!
- 96 - وهل من مات يعود إلى الدنيا؟!
- 97 - محاكاة لامية ابن الوردي!
- 98 - امرأة تزوجت رجلين!
- 99 - أصابك عشقٌ أم رُميت بأسهم؟ (محاكاة ليزيد بن معاوية)
- 100 - مروءة ولي زمانها!
- 101 - أحب الصالحين! (محاكاة للشافعي وأحمد)
- 102 - زلزال تركيا المدمر!
- 103 - المقابر تتكلم 2 - (نصيحة لزانري القبور)
- 104 - المقابر تتكلم 3 - (وصية أصحاب القبور)
- 105 - المقابر تتكلم 4 - (حوار بين ميت وقبره!)
- 106 - دمه وماله وعرضه! (الصهر الكذاب)
- 107 - سعة علم أبي يزيد البسطامي!
- 108 - رمضان أشرق!
- 109 - يا شعرُ كن لي شاهداً!
- 110 - المقابر تتكلم 6 (العفو عند المقبرة)
- 111 - القطة وإمام المسجد! - وليد مهساس
- 112 - مكافأة لا قصاص! (عمر بن عبد العزيز)
- 113 - حلت أهلاً ونزلت سهلاً يا عيد الفطر!
- 114 - تحية للأستاذ مهدي سعد زغلول (معلم اللغة العربية بمدرسة كفر سعد الثانوية)
- 115 - المقابر تتكلم 7 (المبالغة في البناء)
- 116 - شبعة من بعد جوعاً! (رسالة إلى أسرة وضيفة)
- 117 - فإذا أمن بعضكم بعضاً! (رسالة إلى متكسب بالقرآن!)
- 118 - عظم الله أجرك في الكتب! (رسالة إلى سارق الكتب)
- 119 - لا تقولوا: ضحية زوجته!
- 120 - غادة الأزهر! (حبيبة السيد مصطفى خليفة)
- 121 - منتقبة لا منقبة!

- 122 - نقابي حشمتي!  
 123 - منتقبة لها دورها!  
 124 - النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان  
 125 - أحرزتِ عمنّ هان ردّ سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)  
 126 - لا يؤت الإسلام من قبلك يا ذات النقاب!  
 127 - النقابُ ثلاثة أنواع!  
 128 - دموع المآقي في تأبين كريم العراقي!  
 129 - ليتني أطعتُ صحابي!  
 130 - غريد القرآن عبد الباسط عبد الصمد!  
 131 - منتقبة ذات علم وخلق!  
 132 - الأعمال بالخواتيم 2 (العروس الصادقة)  
 133 - الأعمال بالخواتيم 3 (يوم عرسها ماتت!)  
 134 - المنتقبة الصغيرة!  
 135 - تدل على الرجال مواقفهم! (محمود هلال)  
 136 - وليس الغري كالستر!  
 137 - إغصار لبيبا المُدمر (دنيال)  
 138 - المنتقبة والعصفور!  
 139 - عروسة المولد!  
 140 - ما ذنب النقاب يا قوم؟!  
 141 - العدل بين الزوجات أولى!  
 142 - الأعمال بالخواتيم 3 - عروسٌ تموت وهي ترقص!  
 143 - المنتقبة الفارسة!  
 144 - ممارسات تزرّي بالمنتقبة!  
 145 - قصة المنتقبة مع قطتها!  
 146 - ذات النقاب والفراس!  
 147 - منتقبتان في الحديقة!  
 148 - المنتقبتان الضرتان!  
 149 - المنتقبة والبحر!  
 150 - المنتقبة والقطّة المبتلاة!  
 151 - المنتقبة واليتيمتان!  
 152 - دعاء مغترب!  
 153 - لباقة منتقبة!  
 154 - نسيم الشعر على عطية صقر!  
 155 - وداعا صديقي محسن مأمون رسلان!  
 156 - عندما يتبرج النقاب!  
 157 - هدية امرأة منتقبة!  
 158 - منتقبات في حلقة التحفيظ!  
 159 - منتقبة تنزود للأخرة!  
 160 - من فات قديمه تاه!  
 161 - أبتاه عُذراً!  
 162 - نقاب غطته الدماء! (رزان)  
 163 - النقاب للستر ، لا للنشر!

- 164 - أطفال تحت الأنقاض!
- 165 - مراعاة شعور الآخرين مروءة!
- 166 - القارئ المرتل ظافر التائب!
- 167 - نجومٌ في ظلمات حياتنا!
- 168 - إهدى الحسنيين!
- 169 - أرسلوا النعوش والأكفان!
- 170 - الحجاب ليس حِكراً على النساء!
- 171 - السمط الثمين في حكمة ابن عُثيمين!
- 172 - مراعاة شعور الآخرين مروءة!
- 173 - الوقت كالسيل لا كالسيف!
- 174 - النفس وظلمات التيه!
- 175 - جرح المتهم البرئ!
- 176 - رسالة إلى الشاعر (الفولي عصران)!
- 177 - البدوية المنتقبة!
- 178 - الجوهرة تُحفظ لا تُعرض!
- 179 - النصر حفيد الصبر!
- 180 - إلى خنساوات أرض الرباط!
- 181 - بريءٌ ذهته المنايا!
- 182 - فيم الصمتُ عن أرض الرباط؟
- 183 - القمرُ المنتقبُ الصغير!
- 184 - المقابرُ تتكلم 8 (بدع الجنائز والمقابر)
- 185 - الأزهري الصغير معاذ!
- 186 - المنتقبات الخمس الصديقات!
- 187 - النقاب تشريع لا تقليد!
- 188 - منتقبة تشتكى إلى الله! (نانا)
- 189 - عهد المنتقبات!
- 190 - رجل جمع القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد)
- 191 - تحية لمصانع الأزياء الإسلامية!
- 192 - لك حُبي واحترامي!
- 193 - لا وقت للذمى ، يا بُني!
- 194 - حكاية الجرسونة (روزا)!
- 195 - سنرحلُ ويبقى الأثر! (المشالي & عطية)
- 196 - لماذا تبكي النساء؟!
- 197 - هرقل والمُلك الزائل!
- 198 - هل في القزع جمال؟!
- 199 - في مكتب مدير المدرسة (1)!
- 200 - في مكتب مدير المدرسة (2)!
- 201 - إلى أين يا عدوة نفسها؟
- 202 - أختٌ من الأب!
- 203 - مالكُ بن دينار وابنته!
- 204 - تذكُر يوسف وموسى!
- 205 - التجمل الباطل في وسائل التواصل!

- 206 - حميد الله الهندي!  
 207 - البذاذة من الإيمان!  
 208 - مُحَيِّي الدين عبد الحميد!  
 209 - كلابها أصدق من أهلها!  
 210- رسالة منتقبة حكيمة!  
 211 - عليه العَوْض ، ومنه العَوْض!  
 212 - هل مات العريس؟!  
 213 - الله الله في شعر أبيكم!  
 214 - هل أصبحت وياء؟!  
 215 - من المحنة تأتي المنحة!  
 216 - الخمسة أولادي!  
 217 - رجل جمع القرآن صوتياً (الدكتور لبيب سعيد!)  
 218 - ياسمين والرحيل إلى الله!  
 219 - سامحوني أيها الأبناء!  
 220 - هل في القرع جمال؟  
 221 - كذبتني ، فهل صدقت؟!  
 222 - امرأة بألف رجل!  
 223 - الواعظة الصغيرة!  
 224 - زوجات مبتكرات!  
 225 - اللهم تقبل مني شعري!  
 226 - الكلاب في شعر أحمد سليمان!  
 227 - قالت رحاب ، وقلت! (محاكاة لرحاب المحمود)  
 228 - خياران أحلاهما مر!  
 229 - كم أعطوك؟!  
 230 - الخديعة الكبرى!  
 231 - نحن جاهزون للطلاق!  
 232 - الوريث الوحيد!  
 233 - فاعدل بينهم!  
 234 - سأعلمها وأربيها!  
 235 - الأعمى البصير!  
 236 - ذهب النشوز بالحب!  
 237 - الأخت الكبرى الضحية!  
 238 - أخبره أنني أخته!  
 239 - اذكر دراجتك وقفاصتها!  
 239 - ضحايا الروتين اليومي!  
 240 - شتان بين اللجنتين!  
 245 - الجهل سلاح المرتزقة!  
 246 - شكرٌ أتى متأخراً!  
 247 - لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً!  
 248 - لماذا خذلتني يا أبتاه؟!  
 249 - عُقبى حُب الظهور!  
 250 - صلاة التراويح الظافرية!  
 251 - تبادل الزوجات!

## رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 - الغربية سلبيات وإيجابيات!
- 2 - إلى هؤلاء أتكلم!
- 3 - آمال وأحوال!
- 4 - أمتي الغائبة الحاضرة!
- 5 - أنات محموم وآهات مكلوم!
- 6 - أوبريت هيا إلى العمل! (أوبريت غنائي للأطفال)
- 7 - تحية شعرية ، والرد عليها!
- 8 - رمضان شهر الخير والبركة!
- 9 - عندما لا نجد إلا الصمت!
- 10 - يا أماه ويا أختاه كُفا الدمع!
- 11 - بيني وبينك!
- 12 - تجاذبات مع الشعر والشعراء!
- 13 - دموع الرثاء وبكاء الحُداء! (1 & 2)
- 14 - رجالٌ لعب بهمُ الشيطان!
- 15 - رسائل سليمانية شعرية!
- 16 - شخصيات في حياتي! (1 & 2)
- 17 - شرخ في جدار الحضارة!
- 18 - شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
- 19 - ضِدَان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة! (1 & 2 & 3)
- 20 - عندما يُثْمِرُ العتاب!
- 21 - فمثله كمثل الكلب!
- 22 - قصائدٌ لها قِصصٌ مؤثرة! (1 : 10)
- 23 - كل شعر صديق شاعره!
- 24 - مساجلات سليمانية عشمائية!
- 25 - مُراودة ومُعاندة! (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
- 26 - الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور - رحمها الله -!
- 27 - الزاهية تُحدثنا عن نفسها! (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
- 28 - الشهادة خيرٌ من النفوق!
- 29 - الصبر ترياق العِلل والداءات!
- 30 - الصعيد مهد المجد والسعد!
- 31 - الضاد بين عدو وصديق!
- 32 - العيد السعيد جائزة الله تعالى!
- 33 - الغربية ذرية علي الطريق!
- 34 - الغيرة غير القاتلة!
- 35 - القصيدة ابنتي!
- 36 - اللغة العربية وصراع اللغات!
- 37 - اللقيط برئٌ لا ذنب له!
- 38 - المال والجمال والمأل!
- 39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة! (1 & 2)
- 40 - المعلم صانع الأجيال!
- 41 - الوحدة بر الأمان! (مسرحية من فصل واحد)

- 42 - اليئثم غنم لا غرم!  
43 - أمومة وأمومة!  
44 - أهازيج بين الشعر والشاعر!  
45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!  
46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا أوباش؟!  
47 - بين الفتنة والفتنة!  
48 - بين هندٍ وزيد!  
49 - جيران وجيران!  
50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)  
51 - عزة الخير! (أم عبد الله)  
52 - فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!  
53 - قصائدي القصيرة المشوقة! (1 & 2)  
54 - مدائح إلهية شعرية!  
55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم  
56 - البردات الشعرية السليمانية  
57 - عيون الدواوين السليمانية  
58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)  
59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء)  
60 - مقدمات وإهداءات شعرية  
61 - من أزاهير الكتب!  
62 - من الأجوبة المُسكتة المُفحمة!  
63 - من أناشيد الأفراح!  
64 - نحويات شعرية!  
65 - نساء صقلتهن العقيدة!  
66 - نساءً لعب بهن الشيطان!  
67 - وتبقى الحقيقة كما هي!  
68 - وصايا شعرية!  
69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان  
70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان  
71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان  
72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان  
73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان  
74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)  
75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان  
76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان  
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان  
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان  
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر!  
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟  
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!  
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3  
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان

- 84 - بر الوالدين في شعر أحمد سليمان!
- 85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
- 86 - نصيب طلابي من شعري!
- 87 - حضارة البطنة لا الفطنة!
- 88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
- 89 - لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
- 90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!
- 91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
- 92 - المترزقة في شعر أحمد علي سليمان
- 93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
- 94 - وترجون من الله ما لا يرجون!
- 95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
- 96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
- 97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
- 98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (3&2&1)
- 99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان
- 100 - لماذا؟
- 101 - (لا) كلمة لها وقتها!
- 102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
- 103 - يا جارة الوادي اليمينية! (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
- 105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (3&2&1)
- 106 - أين؟!
- 107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان
- 108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان
- 109 - الشعراء والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (2&1)
- 110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
- 111 - أيومة إلى الأبد!
- 112 - شتان بين البر والعقوق!
- 113 - الملك والأميرة!
- 114 - عنوسة مع سيق الإصرار والترصد!
- 115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
- 116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
- 117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان
- 118 - الأميرات الثلاث!
- 119 - عندما!
- 120 - تحايا شعرية سليمانية (3&2&1)
- 121 - قصائد يوتوبية سليمانية (1) & (2)
- 122 - مشاركاتي على الواتس آب والفيس بك!
- 123 - مجلس التهاني في قناة المجد الفضائية!
- 124 - رحلتي مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد!
- 125 - النقاب والمنتقبات في شعر أحمد علي سليمان!

- 126 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!  
127 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!  
128 - الأريج في شعر أحمد علي سليمان!  
129 - الأنين في شعر أحمد علي سليمان!  
130 - الطفولة في شعر أحمد علي سليمان!  
131 - القلم في شعر أحمد علي سليمان!  
132 - حسابي مع الأوباش!  
133 - ضرب الزوجات!  
134 - نصيب أسرتي من شعري!

#### خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة مختلفة الموضوعات ومتنوعة في الكم والكيف!

#### سادساً: الكتب المحققة والمخرجة

(الحب بين المشروعية والضلال) كتبه الأستاذ حمدي محمد سعد ماضي (المحامي) وحققه وخرجه أحمد سليمان

#### سابعاً: الكتب الإنجليزية

- 1 . Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 6 - Conversation Skills
- 7 - Correction Exercise (1-100)
- 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 9 - Grammar Tasks (1-77)
- 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)



**16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**

**17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**

**18. Raymond's Run – Toni Bambara**

**19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**

**20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**

**21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**

**22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)**

**In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages**

**Teaching English - Arabic and Religion only to the foreign students**

<b>Academic Rank</b>	Teacher - Coordinator – English - Programmer – Poet – Writer
<b>Degrees</b>	Bachelor of Arts .Department of English and its Literature, Mansoura University – Egypt, May 1985.
<b>Research field</b>	Teaching English as a first language. Teaching social studies.  Teaching Arabic using Arabic or English. Teaching French.  Teaching Social Studies to Non-Arabs .Teaching Literature
<b>Publications</b>	1. The Basics of Education. (Criticism) New Education Magazine  2. Education Yesterday, Today and Tomorrow. Forum  3. Modern technology and Education. Usual Reader  4. The Best Qualities of a good teacher. Forum  5. How to teach Vocabulary. (Criticism) Forum

	<p>6. How to teach a song. Forum</p> <p>7. How to teach a short story. Usual Reader</p> <p>8. How to study English with your son. Usual Reader</p> <p>9. How to present general information. Usual Reader</p> <p>10. Skimming Reading and Scanning Reading Skills.</p> <p>11. William Hazlet as a critic.</p> <p>12. Aldous Huskily as a critic.</p> <p>13. Styles of translation.</p> <p>14. How to teach Grammar.</p> <p>15. Writing Operation Skills.</p> <p>16. The Listening Lesson.</p> <p>17. Glorious Classroom Management.</p> <p>18 – How to prepare your exam paper.</p>
<p><b>Courses taught</b> <b>( last 3 years )</b></p>	<p>1. Straight Planning (European System)</p> <p>2. Strategic Planning ( American System)</p> <p>3. Poor Students Evaluation.</p> <p>4. Education Theories.</p> <p>5. Scientific Research Results.</p> <p>6. The Successful Education.</p> <p>7. Advantages of Culture and disadvantages of it.</p> <p>8. Roles of Computers in Educational Operation.</p> <p>9. English away from Classroom.</p> <p>10. How to test your students.</p>

<b>Employment</b>	* English Teacher from 1986- 1990 in Egypt ( Secondary Stage) * English Teacher since 1996 in Ajman ( Primary Stage)
	* English Teacher since 2008 in UAQ ( Preparatory Stage) * English Teacher since 2009 in RAK ( Preparatory Stage)  * English Teacher and English Coordinator since 2010 till today in the (American English) in the American Department. For the upper grades from 7, 8, 9 American.

**Honors and Awards**

1. Appreciation Certificate from faculty of Arts 1985 in Translation.
2. Appreciation Certificate from Secondary Institute in 1986.
3. Appreciation Certificate from Al-Rashidiah School in 1993
4. Appreciation Certificate in 1998.
5. Appreciation Certificate in 2008.
6. Appreciation Certificate from Modern School in 2009.
7. Appreciation Certificate from National School in 2010.
8. Arabic Protection Community 2004.

**Volumes of Poetry**

- 1 – The End of the Road
- 2 – The Confident Man
- 3 – The Hours of the Sunset
- 4 – The Bloody Snail
- 5 – A Tone on the Love's Wall
- 6 – The Perfume Aspiration
- 7 – The Tendency of Memories (Part One)
- 8 – The Upper-Egyptians had arrived!
- 9 – The Surrendering of the Beauty
- 10 – The Shoes Woman-Cleaner
- 11 – Patience Tears
- 12 – Blaming and Complaint
- 13 – Say frankly without Simulation
- 14 – Poetry is my Rosary

	15 - Yemeni Young Girl
	16 – Azzah, the Lady of Goodness
	17 – The Beacon of Goodness
	18 – Estrangement, Bayonet and Sadness
	19 – The Two Women –doctors
	20 – I wander of the Ability of Allah, The Al-Mighty
	21 - The Gentlemen of the Sacred Land
	22 – Like the One who catches Fire!
	23 - The Tendency of Memories (Part Two)
	24 – The Rain betrays you!
	25 – Poetry is a Merciful Mother among Poets!
	26 – Bye Bye, My Poetry!
	27– Oh, My Poetry, Be my Witness!
	28 – Oh, Allah, Reward my Poetry!
	29 – Allah, Allah, in your father’s Poetry!
	30 – The Life-Style of Ahmad Ali Solaiman
<b>Other Literary Books</b>	1 – Stylish Reading in the Poetry of Hassan Bin Thabit Al-Ansari – May Allah Be Pleased with Him - .
	2 - Stylish Reading in the Poetry of Antara Bin Shaddad Al-Absi.
	3 – The Story life and the Self-Road
	4 – Ahmad Solaiman's Life